

الطبعة الأولى

1446 هـ

2025 م

اسم الكتاب: نظرية العُمران في القرآن الكريم

التأليف: د. علياء العظم

موضوع الكتاب: دراسات قرآنية

عدد الصفحات: 379 صفحة

عدد الملازم: 23.6 ملزمة

مقاس الكتاب: 17*24

الطبعة: الأولى

الترقيم الدولي: 978-9957-507-60-2

القاهرة - جمهورية مصر العربية



.١٠١٢٣٥٥٧١٤

.١١٥٢٨.٦٥٣٣



elbasheer.marketing@gmail.com

elbasheernashr@gmail.com



دار البشير



جميع حقوق الطبع والنسخ والترجمة
محفوظة لدار البشير للثقافة والعلوم.
حسب قوانين الملكية الفكرية، ولا
يجوز نسخ أو طبع أو اجتزاء أو إعادة
نشر أية معلومات أو صور من هذا
الكتاب إلا بإذن خطي من الناشر



نظرية العمران في القرآن الكريم

إعداد

د.علياء العظم

إشراف

أ.د. سليمان الدقور

تقديم

أ. د. احمد نوفل أ. د. بشار شريف

دار الفرقان
للنشر والتوزيع

دار البشير

إهداء

إلى القلوب الحيّة، النابضة بالأمل، الزاخرة بالهمّة ...

إلى القامات العالية، التي تقلّب وجوهها في السماء، تبحث عن نور يحيي

الأمّة، ويعيد بناءها ...

إلى العلماء والباحثين والمهتمين، الذين يأخذون كتاب الله بقوة،

ويُمسِّكونه بشدّة ...

إلى الأقوياء من المؤمنين ... إلى صانعي القرار وقائدي التغيير ...

أهدي هذه الومضات.

شكر وتقدير

الحمد لله ذي الفضل والنعم، والجود والكرم، منزّل الكتاب، مرشد العقول والألباب، مفتّح الأبواب، منير الدروب والسبل، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، هادي الأفراد والأمم.
أما بعد

لأنه من لا يشكر الناس لا يشكر الله ... ولأنه لا يتم إنجاز فردي إلا بوجود جهات حاضنة أو داعمة، فردية أو جمعية، ظاهرة حيناً، ومخفية أحياناً، فإنه من الإنصاف والوفاء أن أتوقف في محطات شكر، أقدم فيها كبير امتناني، وجيل دعائي لمن أرشدني أو ساندني، ولمن ساعدني وأعانني، ولمن ثبّتي ودفعني، ولكل من له حقّ عليّ.

وخير بداية مع أستاذي ومشرفي الفاضل، المعلم الملهم، فضيلة الأستاذ الدكتور سليمان الدقور، الذي أمتنُّ لفضله وكرمه، بداية منذ استقبله لفكرة الأطروحة، بعميق التفهم، وواسع النظرة، وكبير التشجيع، مروراً بجهوده المبذولة في الإرشاد لبلورتها، وتوضيحها، وتهذيبها، وتنقيتها، وتجليتها بما يحقق الهدف المقصود منها، انتهاءً بملاحظات نصحت ونهت وأثرت وقوّمت، كل ذلك في أجواء من الكرم والصبر، والاحترام والستر، ومما يجدر ذكره أن فكرة الرسالة نبتت من جملة سمعتها من مشرفي الفاضل، في أولى المحاضرات التي حضرتها معه في مساق الدكتوراه، حين قال ما معناه: (لماذا لم يدُم تفاعل أمة القرآن مع هديه، بالقدر الذي يحقق مقاصده فيها، ويرفع قدرها في سلم الحضارات؟؟)، مما أثار فكري حيال الموضوع، ثم أصبح الأمر يتطور في كل مساق دراسي أحضره معه، إلى أن وصلت إلى مرحلة الأطروحة، لذا فإن لسان الشكر لكم أستاذي معقود، وحال الدعاء لكم موجود، أكرمك ربي بكل خير وجود.

والمحطة الثانية مع أستاذه وأخي الكريم، الأستاذ الدكتور جهاد النصيرات، الذي تشرفت بحضور مسابقات عدّة معه، واستفدت من علمه الغزير الذي يتكرم به في أي حين، ومن أسلوبه المميز في التعليم، حيث كان يحقق أصعب المعادلات: الجمع بين الحزم والمرونة، وبين الجد والمرح، وبين التعليم والتدريب، لذا فإن جزيل الشكر والامتنان، لمن كان أستاذاً ومدرّباً وأخاً في آن، ولمن نعى حبّ كتاب الله في القلوب، ونظّم منهج التفاعل معه في العقول.

أما المحطة الثالثة فأتوقف فيها لأشكر الأكارم في المعهد العالمي للفكر الإسلامي، مكتب الأردن، وأخص بالذكر الدكتور فتحي ملكاوي، والدكتور رائد عكاشة، إذ كانا مصدر إلهام في موضوع رسالتي، كما كانا مركز إمداد بالمراجع المفيدة، إضافة إلى فضلهما بقبول نشر بحثي حول مفهوم العُمران في الفكر الإنساني.

كذلك الشكر موصول لجميع الأساتذة الكرام، أصحاب الفضل والجود، في كليتنا الغراء، والشكر معقود ومخصوص لمن تكرّم بقبول قراءة هذه الأطروحة ومناقشتها، وشرفني بملحوظاته، ونصائحه، التي تثري وتسدد وتقوّم، فلکم مني جزيل الشكر والامتنان.

ولا أنسى شكر الزميلات والزملاء الذين كثيراً ما تكرموا بالمناصحة والمداينة، وارتقوا عن مسارات المسابقة والمنافسة.

أما أهلي وخاصتي.. فالمحطة عندهم تطول، أختصرها بكلمات موجزة؛ تبدأ عند والدي الغائب الحاضر، رحمه الله، الذي وإن فارقنا مبكراً إلا أنني أزعّم أنه ترك فيّ بذوراً، أسأل الله أن تكون قد أينعت وأثمرت وأنبتت، ألا وهي بذور حبّ العمل وإتقانه،

والصبر حتى تحقيق الهدف، رحمك الله يا والدي الكريم، ورفعك في عليين، وجزاك الله عنا كل خير، أما والدتي الطيبة التي باعدت بيني وبينها المسافات، لظروف خارجة عن الإرادات، إلا أن حبال الوصل كانت موجودة، منسوجةً بالمحبة والحنان، محمولة على أجنحة الدعاء، فجزاك الله عني كل خير، وأعاني على أحسن برٍّ، ولا أنسى والدتي الروحية؛ عمتي شقيقة الوالد، التي طالما حاولت أن تسدّ مكان أخيها الراحل، وطالما سعت لزرع القيم والأخلاق فينا، لك مني كبير الحب، وجميل التقدير والعرفان.

وأخيراً.. أسرتي الطيبة، أهل بيتي، عائلة قلبي، كم يستحقون مني الشكر والامتنان، والتقدير والعرفان! فهم من شاركوني جهدي، وتحملوا معي عناء سنين البحث والدراسة، وكانوا مثال الأسرة المتفهمة والمتعاونة، الصابرة والمتسامحة، بناتي زينة ونور لكما كل الحب والشكر والاعتذار، صهري وابني كريم لك جميل العرفان، أما زوجي ربيع فإن اللسان يعجز عن شكره، فيلهج القلب بالدعاء له، فهو كان خير صديق ورفيق، وخير داعم متعاون ومعين، له مني كل المحبة والتقدير، أسأل الله أن يجزيه عني خير الجزاء، وأن يعينني على حسن الوفاء.

د. علياء العظم

تقديم أ.د أحمد نوفل

الحمد لله الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم، وصلى الله وسلّم على خير الرسل، وخير الأمم، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم، وبعد.

فقد سررت بهذه الأطروحة التي أرجو أن تغدو كتاباً ذائعاً مشهوراً منتشراً واسع الانتشار، وقد طربت لقراءتها فوق السرور بها، لأنها في نظري سدّت فراغاً، وأوفت بحق موضوع من أهم الموضوعات: المجتمع وشؤونه وارتقاؤه ونهضته ووحدته، ومعوقات كل ذلك، وعوامل الصحة والوهن والمرض.

وتمتاز الرسالة بوفرة المراجع والمصادر، وهذه ميزة ولا شك، فلكل عين نظرة، ولكل عقل فكرة، ووفرة المراجع تؤشر على وفرة العقول التي تأملت وبحثت في الموضوع، وكيف لا تكون الرسالة بهذه القيمة والكاتبة الدكتورة عليا العظم بذلت جهداً كبيراً مع الموهبة، والتفاني في توفية الموضوع حقه، والمشرف هو النجيب الأريب الأديب الأستاذ الدكتور سليمان الدقور، فاكتمات أسباب التوفيق.

ولو كانت الأماني تجد طريقها إلى النفاذ لتمنيت أن يكون هذه الأطروحة كتاباً مرجعاً لطلاب علم الاجتماع بدل النقل عن الغربيين والمستغربين، أفما أن لنا أن يكون لنا علم اجتماعنا.

أهنئ الدكتورة على هذا البحث القيم، وأكرر الرجاء أن يكون على أرفف المكتبات في كل جامعات أردننا، لكي يطّلع طلبة الدراسات العليا على بحث نموذجي، وكيف يكون.

دعوات بمزيد من التوفيق .. والسلام

أ.د أحمد نوفل

تقديم أ.د. بشار شريف

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق، وسيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فليس لمثلي أن يكون له تقديم أو تعليق بعد تقديم أستاذ الأجيال؛ الأستاذ الدكتور أحمد نوفل، كما أنه ليس لمثلي تعليق بعد إشراف الأخ الكبير الحبيب؛ الأستاذ الدكتور سليمان الدقور، لكنني أقوم بهذا التقديم إكراماً للأخت الفاضلة الدكتورة علياء العظم، وإعجاباً بهذا البحث الرصين، والأداء المتميز، والموضوع المهم المغفول عنه من قبل الأفراد والمجتمعات.

لقد ترسّخ في العقل الجمعيّ، وفي الوجدان الجمعيّ أيضاً أن مقاصد الدين تكمن في أركانه وحسب، وبدا ذلك واضحاً في تصوّرات الناس عن دينهم، تلك التصوّرات التي انعكست بوضوح على سلوكياتهم، ولا شك أن هذه السلوكيات العامّة تنبئ عن فجوة حقيقية بين ظاهر المسلمين، وجوهر إسلامهم العظيم، ولعلّ هذا التّصور يعود إلى سيطرة خطاب دعويّ متواتر ينبذ الدنيا، ويزهّد فيها، بصورة أثّرت على سلوك المجتمعات المسلمة، لتكون مجتمعات مستهلكة لا منتجة، وقد جعلها استغراقها في الاستهلاك متعلقة بالدنيا أكثر، فلم نجنِ ثمرة من هذا النمط من الخطاب الدعوي سوى مزيد من الاستهلاك والتعلق بالدنيا في آن معاً.

لقد جاء هذا البحث الرصين ليضع النقاط على الحروف في توضيح مقصد (العُمران) في القرآن الكريم، وبيان أنه مقصد لا يقلّ أهمية عن التوحيد والتزكية، فهو بعدهما مباشرة ﴿... هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ...﴾، وقد كان هذا البحث متميزاً من وجهة نظري-ودون مجاملة- من عدّة زوايا، أهمها:

- ١- وجود الدافع الملّح لهذه الدراسة، والجميل أن الدكتوراة علياء فصّلت هذه الدوافع تفصيلاً جميلاً، فدافع منهجيّ، وآخر علميّ، وثالث واقعيّ وحضاريّ.
 - ٢- الشمول والتسلسل والتنظيم، فالبداية مع المفاهيم واللغة، ثم الحديث الموضوعي عن المقوّمات، فالمؤجّهات، فالمعيقات، فالآليّات بصورة ممتعة، منظّمة، غاية في الروعة.
 - ٣- المنهجية الشاملة من حيث الاستقراء، فالاستنباط، فالاستدلال، بعقلية منفتحة، وأفق رحيب.
 - ٤- اللغة العالية السلسة في وقت واحد.
 - ٥- المصادر والمراجع الوفيرة جداً.
 - ٦- الجدّة والجديّة في طرق الموضوع، طرّقه العباقرة من قبل ومن بعد، وعلى رأس طارحيه من الأولين ابن خلدون – رحمه الله تعالى.
 - ٧- التوصيات والنتائج عملية، قابلة للتطبيق على أرض الواقع.
- ومن ثمّ فإنّ الشكر موصول للدكتوراة علياء صاحبة العقلية المنهجية على هذا الجهد العظيم، ونسأل الله أن يكون هذا الكتاب ضمن المناهج التعليمية في الجامعات، وضمن المواد الإلزامية، والمتطلبات الجامعية.

أ.د. بشار شريف

- أكاديمي وخطيب وإعلامي

- عميد كلية الآداب سابقاً-

الجامعة الأمريكية للعلوم الإنسانية

الملخص

تناولت هذه الدراسة موضوع "العُمران" في القرآن الكريم، باعتباره مقصداً عالياً من مقاصد القرآن، بعد مقصدي التوحيد والتزكية، وهدفت إلى إثبات وجود ذلك الموضوع بشكل متكامل في القرآن، وسعت للبيان أن القرآن أشار للمفهوم المقصود به، ودعا له، واحتوى مقوماته، وموجّهاته، ومجالاته، ومعوّقاته، وآلياته، وبَيّن ثمرات تحقيقه.

بغية تحقيق الهدف المقصود؛ سلكت الدراسة المنهج الاستقرائي التام لمطأن مواضع الورد في القرآن الكريم، والمنهج الاستنباطي في استخراج دلالات الآيات، والمنهج الاستدلالي في الربط بين الآيات، والمنهج البنائي الذي يحاول رسم خريطة المشروع العمراني، انطلاقاً من تأمل الآيات القرآنية.

وقد كشفت الدراسة أن القرآن الكريم احتوى نظرية متكاملة حول موضوع العُمران، باعتباره يتمثل بمشروع إصلاحي، تشكّلت مقوماته في أمور ثلاثة: (التسخير، والتمكين، والتكليف)، وظهرت موجهاته في أمور ثلاثة كذلك، هي: (فهم مستويات الخطاب الإلهي، وإدراك ومراعاة السنن الإلهية، ومراعاة القيم الإيمانية)، أما مجالاته فتجلت في ميادين ثلاثة أيضاً، هي: (بناء الإنسان الفرد، وبناء المجتمع، ومسيرة الإنتاج)، وكانت المعوّقات تتمثل في الغفلة عن المقومات وعن الموجهات والمجالات، وجاءت الآليات تبين كيفية مواجهة المعوّقات، من جهة، وكيفية استثمار المقومات بمراعاة الموجهات ضمن ميادين المجالات من جهة أخرى، كما بيّنت الدراسة أن تحقيق مشروع العُمران ينتج نوعين من الثمرات، الأولى تأسيسية مبنية على مفاهيم قرآنية، والثانية تطبيقية تظهر في أرض الواقع.

الكلمات المفتاحية: العُمران، الخلافة، إصلاح الأرض، الحضارة، مقاصد القرآن، قيام الأمم، صناعة الإنسان.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الذي شَرَف الأرض بوحى السماء، وأكرم الإنسان بمهمة الاستخلاف، وأنعم عليه بتسخير الكون، وبتمكينه من التفاعل مع عناصره، وأمدّه بالمنهج الذي يوجّه المسير، وكلفه بعُمران الأرض، والصلاة والسلام على الهادي الأمين، الذي أرسله ربُّنا رحمة للعالمين، واصطفاه لتوصيل المنهج، الذي يصنع الإنسان، ويقوده نحو تحقيق العمران، فأدى الأمانة، وبلغ الرسالة، وطبّق المنهج، وترك الأمة عزيزة بين الأمم.

أما بعد... فإن إدراك قيمة وجود كتاب الله تعالى بين عباده، ثم النظر إلى حال الأمة، التي تشرفت بحمله، ولكنها تخلفت عن ركب العمران الحضاري، أمر يدعو إلى التفكير والنظر والتساؤل! لماذا لم يدُم تفاعل أمة القرآن مع هديه، بالقدر الذي يحقق مقاصده فيها؟؟ لماذا لم تنهض أمة القرآن المعاصرة في مضمار العمران المعنوي والمادي؟ على الرغم من هدي كتاب الله فيها، وهو يشمل صلاح الدنيا والآخرة، لمن اكتشف كنوزه، وطالها، وغرف منها، وتزين بها.

لقد قدّم كتاب الله عوامل تضمن تفوّق الأمة التي تحمله حقّ حمله، وتضمن قيامها بعمران الأرض على أحسن وجه، وفي ذلك قال عماد الدين خليل: "قدّم القرآن الكريم شبكة من الشروط الفاعلة لبناء المشروع الحضاري الإسلامي، الذي يتميز عن سائر المشاريع الحضارية باستناده على ركيزتي الوحي والوجود، أو المنهج القادم من السماء بواسطة النبوة، وإعمار العالم والقيمومة عليه، والشهادة على البشرية، في ضوء ضوابطه ومعطياته".^(١)

(١) خليل، عماد الدين، مفهوم الإعمار وعلاقته بالهضة في ضوء القرآن الكريم، بحث في كتاب مؤتمر القرآن الكريم ومقومات النهضة، عمان، الأردن: جمعية المحافظة على القرآن الكريم، ط١، ٢٠١٢م، ص ١٠.

إن العقل المسلم في تفاعله الدائم والمستمر مع نص الوحي، ومع العالم المحيط به، توصل إلى صياغة مفهوم العمران، باعتباره أحد المفاهيم الإسلامية المؤدية لذلك التفوق، ذلك المفهوم الذي دلّ غالباً على مجموعة من القضايا المعبرة عن التجمعات البشرية، التي تقوم بفعل إنساني لتحقيق قيمة الاستخلاف، ثم أصبح يدلّ على معنى الإصلاح، الذي هو عكس الفساد، ذلك الإصلاح الذي يشمل الأرض وساكنيها، سواء كان الإصلاح المعنوي، وما فيه من المبادئ والنظم التي تضمن أسباب الأمن والحرية والعدل والشورى وغيرها، أم لإصلاح المادي وما يوفره من أسباب الحياة، وما يتطلبه ذلك من الصناعة والزراعة والاتصال والنقل وغيرها، فهو باختصار يسعى لتنظيم علاقة الإنسان مع الكون، بما يحتويه من مخلوقات، باعتبار أن هذا العمران قيمة كبرى مقصودة في القرآن، تركز على قيمتي التوحيد والتزكية، التوحيد الذي ينظم علاقة الإنسان مع ربه، والتزكية التي تنظم علاقته مع ذاته.

إن هذه الدراسة ترى وجود موضوع قرآني كبير؛ هو موضوع العمران، وتسعى لإثبات أن القرآن أشار للمفهوم المقصود به، ودعا له، واحتوى مقوماته، وموجّهاته، ومجالاته، ومعوّقاته، وآلياته، وبين ثمرات تحقيقه.

❖ مشكلة الدراسة وأسئلتها:

تنطلق مشكلة هذه الدراسة من تأمل حال الأمة المسلمة، الذي يظهر تراجع دورها العمراني في الواقع، ومن تدنّي مكانتها الحضارية بين الأمم، في حين أنه يتوقع أن تكون في المقدمة بسبب المنهج الذي تشرفت به، والذي يؤهلها لأن تكون خير الأمم، ذلك المنهج القرآني الذي يحتوي قضية تدور حول موضوع العمران، حيث

تتكامل مكوّناتها لتشكّل نظرية قرآنية، وبناء عليه تطرح سؤالاً جوهرياً: ما نظرية العمران في الرؤية القرآنية؟ ينبثق من ذلك السؤال الرئيس الأسئلة الفرعية الآتية:

- ١- ما دلالة مادة (عَمَرَ) ومقارباتها في القرآن؟
 - ٢- ما مقوّمات البناء العمراني في الرؤية القرآنية وما موجّهاته وما مجالاته، وذلك في الجانبين المعنوي والمادّي، وفي البعدين الجمعي والفردى؟
 - ٣- ما معوّقات البناء العمراني في الرؤية القرآنية، وما آليّاته وما ثماره، وذلك - أيضاً - في الجانبين المعنوي والمادّي، وفي البعدين الجمعي والفردى؟
- ❖ أهداف الدراسة:

- ١- دراسة مادة (عَمَرَ)، ومشتقاتها، ومقارباتها، في لسان اللغة، وفي استعمال القرآن الكريم.
- ٢- دراسة مقوّمات البناء العمراني في الرؤية القرآنية، والوقوف على موجّهاته ومجالاته، وذلك في الجانبين المعنوي والمادّي، وفي البعدين الجمعي والفردى.
- ٣- دراسة معوّقات البناء العمراني في الرؤية القرآنية، وبيان آليّاته وثماره، وذلك في الجانبين المعنوي والمادّي، وفي البعدين الجمعي والفردى.

❖ مسوّغات الدراسة:

إن الخوض في مثل هذا المضمار العميق، والسير في ذاك المسار البعيد، وتسلق ذلك البناء الشاهق، تستدعيه دوافع منهجية وأخرى علمية ومعرفية، وتتطلبه مسوّغات واقعية وحضارية، على النحو الآتي:

دوافع منهجية: انطلاقاً من حاجة الدراسات القرآنية المنهجية إلى اعتماد النظرة الكلية البنائية للقرآن الكريم، واعتماداً على منهجية التفسير الموضوعي،

واستناداً إلى المقاصد الكلية العليا للقرآن الكريم: "التوحيد، والتزكية، والعمران"، عمدت هذه الدراسة إلى تناول مقصد "العمران البشري"، وحاولت دراسته بشمولية باعتباره كلية من كليات القرآن الكريم، ومقصداً من مقاصده العليا بعد التوحيد والتزكية.

دوافع علمية ومعرفية:

إن الدوافع المعرفية لهذه الدراسة تدور حول أمرين:

الأول: الحاجة لوجود أساس عمراني إسلامي، ينطلق من عمق النص القرآني في بناء الرؤية الكونية التوحيدية، وأثرها في صياغة علم العمران البشري، بدل الاتكاء على النظريات الغربية، في بناء المعرفة العلمية لدى المسلمين.

الثاني: الحاجة لتقديم المعرفة للعالم، والمنطلقة من إظهار كنوز القرآن لهم، بدل الاكتفاء بتتبع الشبهات التي يثيرها المستشرقون والحداثيون، ومحاولات الردّ عليها، أي الانتقال من دور المدافع الذي يصرف جهده في ردّ حجارة المهاجمين، إلى دور صاحب الجواهر، الذي يعرف قيمة ما لديه، ويتقن فنّ عرضها وتسويقها.

دوافع واقعية وحضارية:

بما أن أمة القرآن تملك أعظم منهج في الكون؛ ولكنها في آخر الركب الحضاري؛ فلا بد أن يكون لذلك أسبابه، قد تكون في الانصراف عن ذلك المنهج، أو نقص في التمسك به، أو خلل نوعي في حمله وتطبيقه، وبما أن أكثر ما يفتخر به العالم هو التقدم العمراني بأشكاله ومجالاته كافة، اهتمت هذه الدراسة بدراسة مقصد العمران في القرآن الكريم، ومحاولة تجليته في القرآن، سواء كان مادياً أو

معنوياً، لبيانها للمسلمين أولاً أملاً في تطبيقها، وللعالم ثانياً بغية نفعهم، ولفت نظرهم لعظمة كتاب الله.

❖ أهمية الدراسة:

تسعى الدراسة إلى تقديم قيم مضافة في كل من الجوانب: المنهجية، والعلمية المعرفية، والواقعية الحضارية، التي يتوقع منها أن تفيد الباحثين في التفسير وفي علوم القرآن وفي علوم الاجتماع، وبالتالي تفيد الأمة، وتفيد العالم - بإذن الله - وذلك وفق النقاط الآتية:

الأهمية في مجال القيم المضافة:

- تقديم دراسة معتمدة على منهج النظرة الكلية البنائية للقرآن الكريم، ومتبعة منهجية التفسير الموضوعي، بالاستناد على أحد علوم الآلة؛ وهو علم الاجتماع.
- رفد الدراسات الموضوعية بقضية قرآنية لم تستوف حقها من البحث والجلاء، على الرغم من حاجة الدراسات القرآنية لها، مما يضيف قيمة معرفية علمية للدراسات القرآنية، ويقدم قيمة قابلة للتطبيق الواقعي الحضاري.
- تقديم نظرية عمرانية إسلامية واضحة، منطلقة من النص القرآني، لتسهم في صياغة علم العمران البشري، بدلاً من الاتكاء على النظريات الغربية، في بناء المعرفة العلمية لدى المسلمين.
- الانتصار للقرآن من خلال إبراز كنوزه، ببيان إحدى القيم الكبرى التي أوردتها، والتي تهتم بها العلوم الإنسانية في العالم، وتسعى من خلالها الدول الكبرى للسيطرة على غيرها.

الأهمية للفئات المستفيدة:

- إفادة الباحثين في مجالات التفسير وعلوم القرآن وعلوم الاجتماع بإضافة دراسة قرآنية.
- تقديم ما يؤمل منه إخراج الأمة من مأزقها الحضاريّة، ودفعها إلى مصاف الأمم المتقدمة.
- بيان ما يمكن به إفادة العالم في سياق مسائل العمران الماديّ والمعنويّ.

❖ مناهج الدراسة:

- تتبع الدراسة كلاً من المناهج: الاستقرائي، والتحليلي، والاستنباطي، والاستدلالي، والبنائي، وفقاً للآتي:
- المنهج الاستقرائي التأمّ لمواضع ورود الموضوع في القرآن الكريم، بحيث تحقق أحد ألوان التفسير الموضوعي وهو تتبع الموضوع في القرآن الكريم كاملاً.
 - المنهج الاستنباطي في استخراج دلالات الآيات.
 - المنهج الاستدلالي في الربط بين الآيات وصولاً للتأصيل للنظرية وبنائها.
 - المنهج البنائي الذي يستنتج نسقاً يرسم خريطة بناء المشروع العمراني.

❖ الدراسات السابقة:

لقد تبين من خلال البحث والاطلاع؛ أن الدراسات التي تدور حول مفهوم العمران يمكن تأطيرها في ثلاثة اتجاهات رئيسية: الأول فكري، والثاني فقهي، والثالث قرآني عام أو علمي أكاديمي، والأخير هو النوع الذي تعني به هذه الدراسة.

ولعلّ من أهمّ من تناول العمران ضمن الاتجاه الفكري هو الباحث التونسي عبد المجيد النجار، حيث تناول الموضوع من زاوية النهضة الحضارية للأمة، في كتابه

"الشهود الحضاري للأمة الإسلامية"، الذي يشمل ثلاثة أجزاء تتأطر ضمن اشكالية النهوض الحضاري الإسلامي والآليات الموصلة لذلك في ظل الأوضاع التاريخية الراهنة للمسلمين، كما بحث قضية العمران من باب الفقه المقاصدي للقرآن في دراسته "مقاصد القرآن في بناء الفكر العمراني" حيث بين ما يتطلبه العمران من بناء فكري، يمكن العقل المسلم من تحقيق شروط الاستخلاف.

ويُعدّ المفكر الإسلامي طه جابر العلواني من أهم من تناول العمران باعتباره مقصداً قرآنياً من المقاصد العليا، فقد حاول الكشف عن المقاصد القرآنية الحاكمة في كتابه "التوحيد التزكية والعمران" وحدد عناصرها في ثلاثة مفاهيم قيمة كبرى، وتبعه المفكر الإسلامي فتحي الملكاوي في كتابه "منظومة القيم العليا التوحيد والتزكية والعمران"، الذي ربط بين القيم الثلاث في منظومة تكاملية، كما أنه أصل لموضوع العمران في لغة القرآن، وربطه بإيجاز بالحضارة.

أما الدراسات الأكاديمية القرآنية التي تقارب الموضوع؛ فأغلبها تتحدث عن سنن بناء الأمم والحضارات، وسنن التغيير والإصلاح، وقد وجدت من خلال كشف الدراسات القرآنية دراسة واحدة تذكر مفهوم عمارة الأرض، هي "الإنسان وعمارة الأرض في القرآن" محمد سعيد الناصري، وهي رسالة دكتوراه مقدمة في جامعة محمد الخامس في المغرب عام ١٩٩١م، إلا أنني لم أتمكن من الحصول على ذات الرسالة عبر وسائل البحث المختلفة، كما وجدت رسالة تتطرق لموضوع العمران البشري ليس ضمن الدراسات القرآنية وإنما في السيرة النبوية، هي: "سنن العمران البشري في السيرة النبوية" للباحث المغربي عزيز البطيوي، وهذه الدراسة وإن اختلف مجالها إلا أنها كانت مفيدة في مجال التأصيل المنهجي للدراسات التي تتناول موضوع العمران.

وقد تم اختيار بعض الدراسات المتنوعة التي تتناول قضية العمران ذاتها، ولكن بمنهجية مختلفة، أو تتناول قضايا ترتبط مع العمران؛ مثل السنن، أو الاستخلاف، أو التمكين، أو منهجيات الإصلاح والتغيير.

العمران الإسلامي – دراسة تأصيلية في ضوء القرآن والسنة، أبو اليسر رشيد كهُوس:

الدراسة منشورة في كتاب صادر عن مؤسسة المثقف في استراليا، وقد جاءت الدراسة في ١١٦ صفحة موزعة على مقدمة وثمانية مباحث وخاتمة: ١- حقيقة العمران الإسلامي، ٢- أسس العمران الإسلامي، ٣- أصول العمران الإسلامي، ٤- خصائص العمران الإسلامي، ٥- دعائم العمران الإسلامي، ٦- الطريق إلى العمران الإسلامي، ٧- قوام العمران الإسلامي، ٨- المرأة المسلمة وإسهامها في تشييد صرح العمران. وقد بينت الدراسة أن العمران المقصود فيها هو هندسة بناء الإنسان وروحه ونفسه ومجتمعه وأمته؛ عقيدة وفكراً، حضارةً وتاريخاً، وبيّنت السبل المؤدية إلى بناء عمران بشري إسلامي أخوي، قاعدته التفاهم والتعاون، وجماله المحبة والرحمة.

يلتقي موضوع تلك الدراسة مع هذه الرسالة في تناول كل منهما لقضية العمران^(١)، ويختلف بدءاً من صياغة العنوان، حيث سمّاه الكتاب "العمران الإسلامي"، كما تضمن العنوان تعبير "في ضوء القرآن"، بمعنى أنها انطلقت من المفاهيم الموروثة أولاً، ثم استدعت بعض الآيات كشواهد عليها، بينما الرسالة تحاول استنطاق الآيات القرآنية، بصورة شمولية وتفصيلية، لتبني منها بناءً تكاملياً،

(١) يتم - في هذا المقام فقط - إطلاق لفظ (الدراسة، أو البحث) على الدراسة السابقة، ولفظ (الرسالة) على هذه الأطروحة، وذلك حين المقارنة، للتفريق بينهما.

كما تختلف الدراسة عن الرسالة في معالجة القضية، فإن الدراسة انطلقت من السيرة النبوية، وعلى أسس بناء دولة الإسلام الأولى في المدينة المنورة، بينما الرسالة تنطلق - كما سبق ذكره - من النص القرآني، ويكون الاستشهاد بالسيرة النبوية في سياق التفسير والاستدلال، وقد كانت الدراسة كانت مفيدة في جوانب بناء الإنسان، وفي أمثلة السيرة.

العُمران في القرآن الكريم: دراسة تحليلية، ماهر محمد العوفي

هي رسالة ماجستير مقدمة في جامعة مؤتة في الأردن عام ٢٠١٥م، تقع في ٩٧ صفحة، وتتألف من ثلاثة فصول؛ تحدث الفصل الأول عن مفهوم العمران في القرآن الكريم، وعرض الفصل الثاني مجالات العمران في القرآن الكريم، وهي العمران المادي، السياسي، الاقتصادي، والاجتماعي، وبين الفصل الثالث الآثار المترتبة على عمران الأرض، تلتقي تلك الدراسة مع هذه الرسالة في موضوع البحث؛ أي في تناول قضية العمران في القرآن، وفي تناول بعض مكوّنات نظرية العمران؛ وهي مجالات العمران وآثاره، الأمر الذي يجعلها مصدراً مهماً للرسالة، وتختلف معها في طريقة تناول الموضوع، وفي كون الرسالة تضيف عناصر للبحث لتصنع قوام النظرية.

فلسفة العمران الحضاري من منظور قرآني، محمد محمود كالكو

هو بحث منشور في مجلة "مقاربات - أبحاث ومقالات في الشريعة والفكر والحضارة"، العدد الأول، ٢٠١٧م، يتألف من مبحثين: المبحث الأول تحدث عن مفهوم العمران وعن عناية الإسلام بعمارة الأرض، والثاني تحدث عن العمران في ضوء القرآن، وبين مفهوم الاستخلاف وشروطه، ومفهوم التسخير واستثماره، ومفهوم الفساد ومظاهره في الأرض.

يرتبط هذا البحث مع هذه الرسالة بتناوله لمفهوم العُمران بمعنى الإصلاح، المعاكس للفساد، وبتناوله لقيمتين من القيم المرتبطة بالعُمران، وهي؛ الاستخلاف، والتسخير، ويختلف بأنه يركّز فقط على تلكما القيمتين، وأنه يذكر مفهوم العُمران في عجلة دون تحليل، في حين توسعت هذه الرسالة في التحليل والبناء، وقد ساعد البحث في مجال الحديث عن قيمتي الاستخلاف والتسخير.

الاستخلاف والتمكين في القرآن الكريم: صلاح عبد الكريم مكي

هي رسالة ماجستير مقدمة في جامعة أم درمان الإسلامية في السودان، عام ٢٠٠٦م، تقع في ٣٠٠ صفحة، وتتألف من ثلاثة فصول كل فصل اشتمل على مبحثين، الفصل الأول اهتم بتعريف الاستخلاف والتمكين، الفصل الثاني اهتم بحديث القرآن عن قضية الاستخلاف والتمكين، أما الفصل الثالث فهو في تاريخ الاستخلاف والتمكين، وقد احتوى نماذج وصور لاستخلاف الأمم والأفراد، وختم بما سماه موعودات الأمة.

تختلف هذه الدراسة عن هذه الرسالة بأنها تتناول فقط قيمتين من القيم المرتبطة بالعُمران، هما الاستخلاف والتمكين، وأنها تعالج الأمر بطريقة مختلفة، وتُعدّ مفيدة في عرض النماذج التاريخية، وفي الحديث عن قيمتي الاستخلاف والتسخير.

سنن الله في الأمم من خلال آيات القرآن الكريم - دراسة موضوعية: لحسن بن صالح الحميد

هي رسالة دكتوراه مقدمة في جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٩٩٣م، تقع في ٧٣٢ صفحة، موزعة على تمهيد وأربعة أبواب، تضمن التمهيد الحديث عن سنن الله

في الكون المادي، والحياة الإنسانية، وفي الأمم والأفراد، وتم بيان الفروق بينها، فقد تحدث الباب الأول عن خصائص سنن الله في الأمم، ومنهج وأسلوب القرآن في عرضها، وتحدث الباب الثاني عن مجالات سنن الله في الأمم، وهي مجالات الحماية والوقاية، الابتلاء والتمحيص، والتحذير والتهديد، والجزاء، والكشف والإبانة، وبَيّن الباب الثالث آثار رعاية السنن، أما الباب الرابع فقد عرض طريق الخلاص، حيث عرض لواقع الأمة الإسلامية الحالي وتطرق لما سماه فقه الخروج من الأزمة.

تختلف تلك الدراسة عن هذه الرسالة في أنها تركز على سنن الله في الأمم، وهذا يعد موجهاً من وجهات البناء العمراني المقصود في الدراسة، كما يظهر الاختلاف في منهج تناول الموضوع وأسلوبه، إلا أن الدراسة كانت رافداً جيداً في موضوع السنن الإلهية.

سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها – محمد هيشور

هي رسالة ماجستير قدمت في جامعة عين شمس في مصر، عام ١٩٩٦ م، جاءت الدراسة في ٣٢٥ صفحة، موزعة على مقدمة وخمسة فصول وخاتمة؛ عرض الفصل الأول معنى السنن ومفهوم الحضارة، عرض الفصل الثاني لدراسات اهتمت بأسباب قيام الحضارات وسقوطها، وتحدث الفصل الثالث عن سنن القرآن في قيام الحضارات، وحاول استخلاص العبر التي تجنب الأمم مهلك الانزلاق والسقوط الحضاري، والفصل الرابع عرض لسنن القرآن في سقوط الحضارات، أما الفصل الخامس والأخير فقد تحدث عن سنن التجدد والاستبدال الحضاري.

تختلف تلك الدراسة عن هذه الرسالة في أنها تركز على جانب السنن في الموضوع، بينما الرسالة تُعدّ السنن موجهاً من وجهات العُمران، كما يظهر

الاختلاف في منهج تناول الموضوع وأسلوبه، ولكن كانت الدراسة مفيدة في مجال الحديث عن سنتي التجدد والاستبدال الحضاري.

سلسلة منهجيات التغيير والإصلاح في سور:

قدمت سلسلة رسائل لدرجة الماجستير في جامعة غزة عام ٢٠١٢م، تتناول موضوع منهجيات التغيير والإصلاح من خلال دراسة سور معينة، وقد جاءت جميعها بعنوان "منهجيات الإصلاح والتغيير في (سورة أو سورتين أو سور)"، وتناولت الرسائل سور القرآن الكريم من الفاتحة إلى جزء عم، وبلغ عددها ما يقارب ستاً وعشرين رسالة، كتبت هذه الرسائل بعد انطلاق ثورات ماسمي بالربيع العربي، وقد ذكرت بعض الرسائل ذلك ضمن أهمية الدراسة، واشتركت الرسائل بخطتها العامة وهي: منهجيات الإصلاح والتغيير العقدي، والدعوية، والتربوية، والأخلاقية، وهي دراسات تلتقي مع هذه الرسالة في جانب آليات البناء العمراني، وتختلف معها في سعة المجال المدروس، وفي هدفها العام ومنهجيتها.

❖ خطة الدراسة وموضوعاتها المنهجية:

انطلاقاً من هدف بناء منهجية معتبرة مستوعبة لموضوع الدراسة فقد تم تقسيمها بعد المقدمة إلى: تمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة، وتوصيات.

تمهيد: يشمل الإطار المفاهيمي والمرجعي والمنهجي للبحث

يحتوي هذا التمهيد المداخل الرئيسية لدراسة موضوع العمران، من خلال قضايا ثلاث:

أولاً - الدلالات اللغوية والمفهومية لمفردات الدراسة

يحتوي بيان المقصود بمفردات عنوان الدراسة، من جانب الدلالة اللغوية، والاصطلاحية.

ثانياً - مفهوم العمران في الفكر الإنساني

يتم فيه عرض مفهوم العمران في الفكر الإسلامي والغربي من خلال التأسيس النظري المرتبط بالوعي، وعلاقته بالممارسة العملية، حيث يتم استعراض:

١ - التفاعل مع مفهوم العمران في الفكر الإسلامي

أ- في التراث

ب- في الفكر الإسلامي المعاصر

٢ - مفهوم العمران في الفكر الغربي

أ- دلالة مفردة "العمران" في الفكر الغربي

ب- مفهوم "العمران الخلدوني" في الفكر الغربي

ت- المفاهيم والنظريات المقابلة للعمران في الفكر الغربي

ثالثاً - قضية العمران في إطار الرؤية المقاصدية والقيمية للقرآن

أ- تعريف مقاصد القرآن الكريم

ب- أهمية المقاصد والقيم القرآنية ضمن البناء القرآني

ت- قواعد القراءة المقاصدية

ث- قضية العمران في القراءة المقاصدية

ج- دوافع العمران في ضوء القراءة المقاصدية.

الفصل الأول – دراسة العمران في القرآن دلالةً ووروداً

- المبحث الأول: دراسة مادة (عَمَرَ) في القرآن
المطلب الأول: الدراسة المعجمية لمادة (عَمَرَ)، وتقاليلها، وتطورها.
المطلب الثاني: دراسة دلالات مادة (عَمَرَ) في الاستعمال القرآني – لغوياً وسياقياً
- المبحث الثاني: دراسة الألفاظ المقاربة لمعنى مادة (عَمَرَ) في القرآن
المطلب الأول: الدراسة المعجمية لمقاربات مادة (عَمَرَ) الواردة في القرآن.
المطلب الثاني: الدراسة السياقية للألفاظ المقاربة لمفهوم العمران في القرآن

الفصل الثاني - مقومات البناء العمراني في الرؤية القرآنية وموجهاته ومجالاته.

- المبحث الأول: مقومات البناء العمراني في الرؤية القرآنية.
المطلب الأول: مقوم التسخير.
المطلب الثاني: مقوم التمكين.
المطلب الثالث: مقوم التكليف.
- المبحث الثاني: موجهات البناء العمراني في الرؤية القرآنية.
المطلب الأول: فهم مستويات الخطاب الإلهي.
المطلب الثاني: إدراك ومراعاة السنن الإلهية.
المطلب الثالث: مراعاة القيم والأخلاق الإيمانية.
- المبحث الثالث: مجالات البناء العمراني في الرؤية القرآنية.
المطلب الأول: صناعة الفرد.
المطلب الثاني: صناعة المجتمع.
المطلب الثالث: مسيرة الإنتاج العمراني.

الفصل الثالث - معوقات البناء العمراني في الرؤية القرآنية وآلياته وثماره.

- المبحث الأول: معوقات البناء العمراني في الرؤية القرآنية.
المطلب الأول: المعوقات المادية للبناء العمراني في الرؤية القرآنية.
المطلب الثاني: المعوقات المعنوية للبناء العمراني في الرؤية القرآنية.
- المبحث الثاني: آليات البناء العمراني في الرؤية القرآنية.
المطلب الأول: الآليات المعنوية للبناء العمراني في الرؤية القرآنية.
المطلب الثاني: الآليات المادية للبناء العمراني في الرؤية القرآنية.
- المبحث الثالث: ثمار تحقق البناء العمراني في الرؤية القرآنية.
المطلب الأول: الثمرات التأسيسية للبناء العمراني وفق الرؤية القرآنية.
المطلب الثاني: الثمرات التطبيقية للبناء العمراني وفق الرؤية القرآنية.
- الخاتمة: تحتوي أهم النتائج.
- التوصيات.

تمهيد

الإطار المفاهيمي والتأصيلي للدراسة

يحسن الولوج إلى الدراسة عبر مداخل رئيسة، تبدأ بتوضيح مفاهيم الدراسة، وتعرُّج على تأسيس القضية في الفكر الإنساني، ثم تصل إلى موجّهات الدراسة وفق الرؤية المقاصدية والقيمية للقرآن الكريم.

أولاً – الدلالات اللغوية والمفهومية لمفردات الدراسة:

قبل الدخول في عمق الدراسة يحسن البدء ببيان مفاهيم مفردات العنوان (النظرية- العمران- في القرآن)، حتى يتضح المعنى المراد والهدف المقصود.

١- مفهوم النظرية:

(النظرية) لغةً مشتقة من مادة (نَظَرَ) التي قال عنها ابن فارس في كتابه المقاييس: "النون والطاء والراء أصل صحيح، يرجع فروعه إلى معنى واحد؛ وهو تأمل الشيء ومعاينته، ثم يستعار ويتسع فيه"^(١)، فالنظر هو التأمل الذي يكون بالعين أو القلب، أو بهما معاً، وقد بيّن الخليل ذلك في كتابه العين بقوله: "نظرت إلى كذا وكذا من نظر العين ونظر القلب"^(٢).

وتُعدّ مفردة (النظرية) مصطلحاً معاصراً في اللغة العربية، لذلك هي لم ترد في المعجمات القديمة وإنما تناولتها المعجمات المعاصرة، حيث ورد في معجم اللغة العربية المعاصرة بيان دلالة المصطلح: "النظرية (مفردة) جمعها نظريات، وهي قضية

(١) ابن فارس، أحمد، ت ٣٩٥ هـ، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: هارون، عبد السلام، دار الفكر، ١٩٧٩ م ٤٤٤/٥

(٢) الفراهيدي، الخليل، ت ١٧٠ هـ، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، القاهرة، دار ومكتبة الهلال، بدون تاريخ، ١٥٤/٨

تثبت صحتها بحجة ودليل، أو برهان، أو هي بعض الفروض، أو المفاهيم المبنية على الحقائق والملاحظات، تحاول توضيح ظاهرة معينة. ^(١).

النظرية القرآنية:

إن مفهوم النظرية المستقاة من القرآن الكريم يجمع بين أصل المعنى اللغوي وهو التأمل بالعين والفكر، وبين المعنى الاصطلاحي المعجمي، في كون المتأمل قضية يحتاج إثباتها إلى برهان ودليل.

بناء على ماسبق تقترح الدراسة اعتماد مفهوم النظرية القرآنية وفقاً لما يلي:
(النظرية القرآنية هي قضية موجودة في القرآن، يتم إثبات صحتها بالحجة والدليل والبرهان من خلال تأمل النص القرآني واستنطاق الآيات الكريمة وفق مقومات فهم النص القرآني ^(٢)، ويتم بناؤها بالاستناد إلى المنهج الترابطي ^(٣) ضمن اتجاه التفسير الموضوعي ^(٤)).

(١) عمر، أحمد مختار، ت ١٤٢٤هـ، معجم اللغة العربية المعاصرة، بمساعدة فريق عمل، بيروت: عالم الكتب، ط ١، ٢٠٠٨ م، ٢٢٣٣/٣.

(٢) مقومات فهم النص القرآني: (اللغة، السياق، الأثر)، والجامع بينها (العقل)، والموجه (المقصد)، والهدف (الواقع): حسب محاضرات د. سليمان الدقور لمساق درجة الدكتوراه في الجامعة الأردنية في مادتي "أصول التفسير" الفصل الدراسي الثاني ٢٠١٨ م، و"منهجية البحث في التفسير" الفصل الدراسي الثاني ٢٠١٩ م.

(٣) التفسير الترابطي هو ترابط البيانات القرآنية المتفرقة ووحدتها حيال الموضوع الواحد، ينظر: سجادي، ابراهيم، آفاق التفسير الموضوعي، ضمن كتاب: دراسات في تفسير النص القرآني، بيروت: مكتبة مؤمن قريش، ٢٠٠٧ م، ج ١، ص ١٧٦.

(٤) توجد عدة تعاريف للتفسير الموضوعي، منها تم اختيار التعريف التالي: "التفسير الموضوعي هو منهج تفسيري يبحث في القرآن الكريم بقصد تركيب صورة قرآنية شاملة حول موضوع ما من الموضوعات التي طرقها القرآن الكريم، سواء أكان لإبرازها في ذاتها، أم لمعالجتها في الواقع": الدقور، سليمان، التفسير الموضوعي إشكالية المفهوم والمنهج، بحث منشور إلكترونياً، مؤتمر التفسير الموضوعي، الشارقة، ص ١٤.

٢- مفهوم العمران:

إن مفهوم العمران - لغةً - سيرد بشكل مفصل في مبحث خاص لاحقاً، مما يغني عن ذكره بالتفصيل في هذا المقام، ويكفي هنا بيان المفهوم الاصطلاحي المقصود في هذه الدراسة.

الدراسة الاصطلاحية لمفردة "العمران":

إن مصطلح "العمران" اشتهر من اختيار ابن خلدون له، ثم تناوله عدد من المفكرين القدامى والمعاصرين، وذلك بعد أن كان وارداً في دراسات المبكرين في استعمالات ومجالات محددة، وسنكتفي في هذا المقام بذكر تعريف ابن خلدون، ثم تعريف أحد القدامى وهو المناوي، ثم يذكر تعريف ملكاوي والعلواني والأنصاري من المعاصرين، وسيتم تحليل مضمون كل تعريف من هذه التعريفات.

تعريف ابن خلدون - (ت ٨٠٨هـ)

أورد ابن خلدون في مقدمته الشهيرة دلالة مصطلح العمران بقوله: "العمران) يعني الاجتماع الضروري للنوع الإنساني لتحقيق ما أراده الله من اعتمار العالم بهم واستخلافه إياهم"^(١)، وقد حمل التعريف عدة دلالات منهجية:

- معنى العمران عند ابن خلدون يدور حول اجتماع النوع الإنساني، للقيام باعتمار الأرض.
- أهمية ذلك الاجتماع ترجع للفعل الإنساني.
- مقصد الفعل الإنساني وهدفه هو اعتمار العالم.

(١) ابن خلدون، عبد الرحمن، ت ٨٠٨ هـ، مقدمة ابن خلدون، تحقيق: الدرويش، عبد الله، دمشق: دار العرب، ط ١، ٢٠٠٤ م، ص ١٣٨، بتصرف يسير.

مرجعية ذلك الفعل هي المرجعية الإيمانية المرتبطة بالاستخلاف لتحقيق ما أراد الله.

وقد نبّه البطيوي على الأسس التي بنى ابن خلدون تعريفه عليها بقوله: "يؤسس ابن خلدون تعريفه للعمران على نزعة إنسانية واجتماعية، ورؤية مقاصدية، ترى في العمران ضرورة إنسانية واجتماعية، لانتحقيق المصالح ولاتشبع الحاجات الأساسية الفردية والجماعية إلا به"^(١)، كما أكد مشوش على ارتباط المصطلح عند ابن خلدون بمعايير الوحي في المعرفة، حيث قال في سياق حديثه عن المصطلح ضمن الحديث عن علم العمران: "إن اختيار ابن خلدون مصطلح "العمران" اسماً للعلم الذي أسسه زاد هذا الأخير أصالة وتوافقاً مع ما تقتضيه معايير الوحي في المعرفة"^(٢).

تعريف المناوي - (ت ١٠٣١ هـ)

لقد ربط المناوي بين العمران وبين الإصلاح بقوله: "إن العمران والعِمارَة ضد الخراب، وحيث تذهب العِمارَة والعُمران لا يكون إلا الخراب"^(٣)، وقال: "والعِمارَة والعُمران أيضاً يتعلقان بإحياء المكان، وإشغاله بالأمور التي وضع لها في أصله"^(٤)، نلاحظ من تعريف المناوي أنه ركز على قضية الإصلاح باعتبارها عكس الخراب، وأشار

(١) البطيوي، عزيز، سنن العمران البشري في السيرة النبوية، عمّان: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ٢٠١٨ م، ص ١٠٧، ص ١٠٧

(٢) مشوش، صالح بن طاهر، علم العمران الخلدوني وأثر الرؤية الكونية التوحيدية في صياغته، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ٢٠١٢ م، ص ١٢٦، بتصرف

(٣) المناوي، عبد الرؤوف، ت ١٠٣١ هـ، التوقيف على مهمات التعاريف، القاهرة: دار عالم الكتب، ١٩٩٠ م، ص ١٥٤

(٤) المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، مرجع سابق، ص ٢٤٧

إلى مجال الإصلاح وهو المكان، لكنه لم يشير إلى المقصود بذلك الفعل إن كان فرداً أو جماعة، ولم يبين مرجعية ذلك الإصلاح، ولم يشير لطبيعته.

تعريف طه جابر العلواني - (ت ١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦ م)

قال العلواني: "والعُمران هو حق الكون المسخَّر وميدان فعل الإنسان ونشاطه"^(١)، وقال في شرحه وتوضيحه: "والعُمران: وهو حق المسخَّرات التي سخَّرها الله لنا حين جعل الأرض مهادًا، والسماء سقفاً مرفوعاً، وسخَّر لنا الشمس والقمر والنجوم مسخَّرات بأمره، فهذا الكون يستحق منَّا العُمران؛ فنعمِّره بالحق والعدل، ونقيم فيه حضارة لا تنفصل عنها القيم، تبني ولا تهدم، تحمي ولا تهدد، تقتصد ولا تبدد"^(٢)، تبدو في تعريف العلواني وشرحه النقاط التالية:

- عرّف العُمران بعبارة (حق الكون)، وهذه العبارة تفيد عموم ماتدل عليه كلمة (حق)، فالحق يشمل الإصلاح والإحياء والبناء والعمل الصالح والخير الخ، والكون يشمل جميع المخلوقات. (الرسالة المقاصدية)
- حدد مجال ذلك الإصلاح بالكون، ولم يربطه بمكان محدد في الأرض، كذلك لم يربطه بالأرض فقط، فالكون يشمل كل ما يحيط بالإنسان من أرض وسماء وفضاء، ويحتوي جميع المخلوقات المرئية وغير المرئية، الحية والجامدة. (البعد المادي والمكاني)

(١) العلواني، طه جابر، ت ١٤٣٧ هـ، منهج أ.د. طه جابر العلواني في تجديد وإصلاح الفكر الديني، موقع أكاديمية العلواني، تاريخ الزيارة ١٨/١١/٢٠٢٠م.

(٢) العلواني، طه جابر، بين مقاصد الشريعة ومقاصد القرآن العليا، مقال في موقع أكاديمية العلواني الإلكتروني، تاريخ الزيارة ٢٠/١١/٢٠٢٠م.

• ذكر مقوّمات العمران بكلمة واحدة وهي (المسخّر)، وهوبذلك ينطلق من الخطاب القرآني الذي أشار كثيراً إلى التسخير والمسخرات، مما ينبه لحقوق تلك المسخرات على المكلفين، وإلى واجبات المكلفين تجاه المسخرات.

• أشار إلى مجالات العمران في لفظ (ميدان) ضمن عبارة (ميدان فعل الإنسان ونشاطه)، فإن ميدان تشمل المجالات المادية والمعنوية، ومنها المجالات التربوية والثقافية والإدارية والسياسية والاقتصادية والعسكرية الخ، (البعد الرسالي)

• أشار إلى واجبات المكلفين من عبادة وعمل في تعبير (فعل الإنسان ونشاطه) ضمن عبارة (ميدان فعل الإنسان ونشاطه)، وهي تشمل العبادات والمعاملات، وتحتوي ضمناً الأحكام. (البعد العملي والتعدي)

• أشار إلى البعد البشري بقوله (الإنسان)، فذلك يعني الفرد، ويعني المجتمع، ويعني الأمة.

فالمصطلح عند العلواني جمع دلالة العمران ومجالاته ومقوماته وآلياته، ومن الواضح أن التعريف مؤسس على الرؤية القرآنية انطلاقاً من اللفظ القرآني (المسخّر)، الذي يشير ضمناً للمسخّر وهو الله عز وجل، ولكنه قد يحتاج لتقييد يوضح المرجعية والهدف، من خلال ذكر الاستخلاف.

تعريف فتحي ملكاوي - (ولد ١٣٦٢هـ - ١٩٤٣م)

حدد ملكاوي دلالة العمران بقوله: "العمران في المصطلح القرآني هو عمران الأرض بحياة الإنسان، وعمران حياة الإنسان بالخير والعمل الصالح، والارتقاء بأسباب الحياة ومقوماتها بإنجازات عمرانية مادية ومعنوية، يتعزز معنى العمران

بمعرفة ما يقابله، فهو حياة مقابل الموت، وصلاح وبناء مقابل الخراب والدمار والهلاك.

وكذلك يتعزز معنى العمران بمعرفة الأصل الذي يتفرع عنه، فالإيمان – عقلاً وقلباً – وإقامة الحياة على أساس الهدى عملاً وتطبيقاً هو الأصل، والعمران بالنعيم الدنيوي والأخروي نتيجة"^(١)، تظهر في تعريف ملكاوي الإشارات التالية:

- يدل العمران على حياة وصلاح.
 - مقومات العمران هي الخير والعمل الصالح الذي يقوم به الإنسان .
 - المكلف بذلك العمران هو الإنسان، فرداً كان أو جماعة.
 - مرجعية العمل الصالح هو الخطاب القرآني، والهدي الرباني، الذي يدل على الإيمان.
 - مجال العمران هو الأرض، وهو أعم مما ورد في تعريف المناوي الذي حدده بالمكان..
 - آليات العمران هي منجزات مادية ومعنوية.
 - نتيجة العمران نعيم دنيوي وأخروي.
- وقد حلل البطيوي تعريف ملكاوي بقوله: "يؤسس ملكاوي فهمه للعمران اعتماداً على رؤية القرآن وموارد لفظ العمران فيه، ليستنتج معادلة العمران في النص القرآني من: الأرض، الإنسان، والإيمان، والعمل الصالح"^(٢).

(١) ملكاوي، فتحي، منظومة القيم العليا، التوحيد والتزكية والعمران، عمان: المعهد العالمي للفكر الإسلامي،

٢٠١٣م، ص ١٦٥، ١٦٦، ص ١٦٥، ١٦٦

(٢) البطيوي، عزيز، سنن العمران البشري في السيرة النبوية، مرجع سابق، ص ١١٢

تعريف فريد الأنصاري - (ت. ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م)

بيّن فريد الأنصاري مصطلح العمران بقوله: "العمران إذن: هو بناء الإنسان بما هو عقيدة وثقافة، وبما هو حضارة وتاريخ، وبما هو فكر ووجدان، وبما هو نفس ونسيج اجتماعي"^(١)، يتبين من تعريف الأنصاري النقاط الآتية:

- استخدم مصطلح البناء في الدلالة على العمران.
- ركز على الإنسان فرداً وجمعاً.
- اقترب تعريفه للمصطلح من دلالة مفهوم التركيبة

خلاصة التعاريف:

يلاحظ أن دلالة مصطلح العمران بدأت عند ابن خلدون بالتأسيس على مجال الاجتماع البشري، ثم ركزت على قضية الإصلاح كما ذكر المناوي وملكاوي، وشملت المجالات الفردية والجمعية كما ورد عند ملكاوي والعلواني، ووتوسعت رسالتها إلى الكون بشموله لتتجاوز آفاق الاجتماع البشري المقيد بمكان وزمان، ولتنطلق رسالتها المقاصدية لتشمل حق الكون بأسره، ووردت عند الأنصاري بمعنى بناء الإنسان فردياً وجمعياً.

وبناءً على ما سبق يمكن تلخيص مفهوم مصطلح العمران المقصود في هذه الدراسة وفقاً لما يلي: السعي إلى إصلاح الأرض مادياً ومعنوياً، فردياً وجمعياً، انطلاقاً من حق الكون المسخر للإنسان، بالارتكاز على القيم الإيمانية المنطلقة من الوحي، ابتغاء تحقيق قيمة الاستخلاف.

(١) الأنصاري، فريد، ت. ١٤٣٠ هـ، الفطرية - بعثة التجديد المقبلة، من الحركة الإسلامية إلى دعوة الإسلام، المغرب: دار السلام، ط٣، ٢٠١٣، ص١٦٨

٣- تعبير (في القرآن):

ليس الهدف هنا بيان مفهوم القرآن الكريم، فهو غني عن التعريف^(١)، ولكن المهم توضيحه بأن الدراسة ستكون "في القرآن"، بمعنى أن النظرية المقصودة سيتم إثباتها من ذات النص باتباع مقومات فهم بنية النص القرآني - التي سبق ذكرها^(٢) - والتي يمكن بيانها هنا بمزيد من التوضيح:

مقومات فهم النص القرآني:

(اللغة، السياق، الأثر)، والجامع بينها (العقل)، والموجه (المقصد)، والهدف (الواقع).

اللغة: بالاعتماد على علم الدلالات اللغوية، فيما يتعلق بالبنية اللغوية (المفردة والتركيب)، مع مراعاة أن القرآن سبيكة لغوية، يشكل في ذاته معجماً خاصاً، وأن الرابط بين الدلالة المعجمية والاستعمال القرآني هو السياق.

السياق: باعتباره العنصر الفاعل في فهم المفردات والتراكيب.

الأثر: ويشمل الأحاديث، روايات الصحابة والتابعين، روايات أسباب النزول، إذ لابد من الاعتماد على الأثر - إن صحّ - في فهم كلام الله.

(١) تعريف القرآن الكريم: "كلام الله - تعالى - المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، المتعبد بتلاوته"، القطان، مناع، ت ١٤٢٠ هـ، مباحث في علوم القرآن، مؤسسة الرسالة، ط ٣٥، ١٩٩٨ م، ص ٢٠، وبعض الكتب تزيد على ذلك التعريف فتقول: "كلام الله - تعالى - الذي أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم بواسطة الوحي جبريل عليه السلام، المتعبد بتلاوته، والمعجز لفظاً ومعنى، المنقول بالتواتر، والمكتوب بالمصاحف، المبتدئ بسورة الفاتحة، والمختتم بسورة الناس" وتلك الزيادات تعد صفات لذلك الكلام، لأن التعريف المختصر يعد جامعاً مانعاً.

(٢) مقومات فهم النص ذكرت في حاشية الدراسة الاصطلاحية من هذه الدراسة، محاضرات د. سليمان الدقور لمساق درجة الدكتوراه في الجامعة الأردنية في مادتي "أصول التفسير" الفصل الدراسي الثاني ٢٠١٨ م، و"منهجية البحث في التفسير" الفصل الدراسي الثاني ٢٠١٩ م.

العقل - قدرات المتلقي: إن مقدار تعزز قدرات المتلقي في اللغة والعلم والتدبر يولد مزيداً من القدرة إلى الوصول لفهم مقصد صاحب الكلام.

المقاصد: وتشمل المقصود المباشر من الآية، والمقصود الكلي للقرآن، والمقصود للسورة، علماً أن مقاصد القرآن الكلية محل اتفاق، ومقاصد السور محل تنوع لا يوجد فيه تعارض.

الواقع: يتجلى دور الواقع في فهم النص من خلال اعتبارين:

- أثر المعطيات العلميّة في بيان دلالات مستجدة للمعاني القرآنية
- دور مشكلات الواقع في استنطاق الآيات القرآنية لإيجاد الحلول والنظريات، بخلاف الانطلاق من عالم المعرفة المبني على العلوم والموروث ابتداءً، ثم الانتقاء من الآيات ما يوافق الفكرة للاستشهاد به، بل سيكون الإثبات منطلقاً من استنطاق كامل النص القرآني، بشكل ترابطي وبنائي، ليتم الوصول إلى بناء منظومة فكرية متكاملة، تحاول توضيح قضية العمران كما أوردها النص القرآني.

ثانياً - مفهوم العمران في الفكر الإنساني

إن دراسة تفاعل الفكر الإسلامي مع مفهوم العمران سيتم من خلال استقراء مظان ورود المصطلح في التراث، وفي الدراسات المعاصرة.

١ - التفاعل مع مفهوم العمران في الفكر الإسلامي:

إن دراسة تفاعل الفكر الإسلامي مع مفهوم العمران ستتم من خلال استقراء مظان ورود المصطلح في التراث وفي الدراسات المعاصرة.

❖ التفاعل مع مفهوم العمران في التراث:

من المؤكد أن لفظ "العمران" كان معروفاً في الفكر الإسلامي المبكر بحكم ورود مشتقاته في القرآن الكريم، فقد ورد بدلالة الإعمار والسكن والإقامة وطول العمر، وبدأ ظهوره في الدراسات منذ القرن الثالث الهجري، وكان يقصد به جوانب معينة في الحياة؛ حيث قصد به: تخطيط المدن، وقضايا الحكم والسياسة، والمكان الجغرافي، وسياسة الدنيا، والاجتماع البشري.

مفهوم العمران في تفسير التراث : إن مفهوم العمران في تفسير التراث ظهر من خلال تفسير الآيات التي وردت فيها مشتقات العمران، فقد ورد بدلالة الإعمار والسكن والإقامة وطول العمر عند كثير من المفسرين^(١)، كما ورد بدلالة التفويض بالعمارة^(٢).

تخطيط البلدان: ظهر مفهوم العمران بمعنى تخطيط البلدان في كتاب "سلوك المالك في تدبير الممالك"، الذي كتبه شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبي الربيع (ت ٢٧٢هـ) وأهداه للخليفة العباسي المعتصم بالله سنة ٢٢٧هـ، حيث ورد فيه

(١) القول: (عند كثير من المفسرين) بسبب عدم إمكانية الاستقراء التام لما ورد عند جميع المفسرين، قال الطبري: "﴿وَأَسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ هود ٦١؛ وجعلكم عماراً فيها، فكان المعنى فيه: أسكنكم فيها أيام حياتكم"، الطبري، ابن جرير، ت ٣١٠هـ، تفسير الطبري، عمّان: مؤسسة الرسالة، ط ١، ٢٠٠٠، ٣٦٨/١٥ - قال الزمخشري في تفسير ذات الآية: "أمركم بالعمارة، وقيل استعمركم من العمر، نحو استبقاكم من البقاء"، الزمخشري، أبو القاسم، ٥٣٨هـ، الكشف، بيروت: دار الكتاب العربي، ط ٣، ١٩٨٦، ٤٠٧/٢ - قال الرازي: واستعمركم فيها وفيه ثلاثة أوجه: الأول: جعلكم عمارها، ... الثاني: أطال أعماركم فيها، ... الثالث: جعلها لكم طول العمر، الرازي، فخر الدين، ت ١٤٢٠هـ، التفسير الكبير، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ٣، ١٩٩٩، ٣٦٨/١٨ - قال القرطبي: "أي جعلكم عمارها وسكانها"، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٩٦٤، ٥٦/٩ - وقال ابن العربي: "خلقكم لعمارته"، ابن العربي، أحكام القرآن، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ٣، ٢٠٠٣، ١٨/٣

(٢) قال الأصفهاني: "واستعمرته إذا فوضت إليه العمارة"، الراغب، المفردات في غريب القرآن، مرجع سابق، مادة عَمَرَ ٥٨٦/١

قوله: "ومن أعمال العدل (عمارة البلدان)، وهي نوعان: أولاً - المزارع: ويلزم فيها حقوق ثلاثة: (القيام بمصالح المياه، وكف الأذى عنهم، وتقدير ما يؤخذ بحكم الشرع والعدل)، ثانياً - الأمصار: وهي الأوطان الجامعة، ويقصد بها خمسة أمور: (السكون، وحفظ الأموال، وصيانة الحريم والخدم، والتماس المتاع، وألا يتعرض للكسب وطلب المادة)"^(١)، وفي دراسة مقارنة بين العمران عند ابن خلدون وعند ابن أبي الربيع أجراها حميد الحداد قال إن الكتاب احتوى على أسس تخطيط المدينة من الجانب البيئي والمعماري والاقتصادي والاجتماعي والديني والعسكري، وذلك من خلال تحديد الخطوط الكبرى للسياسة الشرعية التي ينبغي على الحاكم الاسترشاد بها في المجال العمراني^(٢).

كما ورد أيضاً معنى تخطيط البلدان في كتاب (سير الملوك) للحسن الطوسي - نظام الملك (ت ٤٨٥هـ)، حيث قال: "أما فيما يتصل بالعمران فيجب شق القنوات وإيجاد الجداول الجيدة النافعة وإنشاء القناطر والجسور على الأنهار الكبيرة العظيمة، وإحياء القرى والمزارع وإعمارها، وإقامة الأسوار، وتشيد المدن الجديدة، وتأسيس الأبنية الشامخة والمجالس البديعة، وإقامة الربط على الطرق الرئيسة، وبناء المدارس لطلاب العلم. فهذا كله تخلص الأسماء إلى الأبد، وينال ثواب الآخرة، ويتوالى دعاء الخير"^(٣).

(١) ينظر: ابن أبي الربيع، شهاب الدين، ت ٢٧٢ هـ، سلوك المالك في تدير الممالك، تحقيق: عارف عبد الغني،

دمشق: دار كنان للطباعة والنشر، ١٩٩٦، ص ١٠٥، ١٠٦.

(٢) الحداد، حميد، ثوابت عمرانية إسلامية بين ابن أبي الربيع وابن خلدون، مقال: دورية كان التاريخية (علمية، عالمية، مُحَكَّمة)، العدد الثامن والعشرون، ٢٠١٥م، ص ١٣٥ - ١٤٠، بتصرف يسير.

(٣) نظام الملك، الطوسي، الحسن، ت ٤٨٥ هـ، سير الملوك، قطر: دار الثقافة، ١٩٨٧، ٤٦/١.

البنيان: ورد العمران بدلالة البنيان في كثير من كتب التراث، منها كتاب (تحفة الترك فيما يجب ان يعمل في الملك) للطرسوسي، حيث قال: "وينبغي أن يكون عارفا بالطريق، وعيون الماء، والأخطار المحتملة، وأن يسلك بركب الحجيج أيسر السبل وأقربها للماء والعمران" ^(١)، ومنها كتاب "الاستبداد ومصارع الاستعباد" للكواكي، حيث قال: "إلى متى يعيث خلالك اللئام الطغام؟ يظلمون بنيك ويذئون ذويك. يطاردون أنجالك الأحباب ويمسكون على المساكين الطُّرق والأبواب، يُخربون العمران ويُقفرون الدِّيار؟" ^(٢)

المكان الجغرافي: ظهر المفهوم بمعنى المكان الجغرافي عند الإدريسي (ت ٥٦٠ هـ) في كتابه "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق"، ومن ذلك قوله: "ولياج بلدة على البحر وهي من البلدان القديمة العمران" ^(٣)، كما وردت ذات الدلالة عند الكواكي في كتابه "طبائع الاستبداد"، حيث قال: "قد مضى على الهولانديين في الهند وجزائرها، وعلى الروس في قازان، مثل ما أقمنا في الأندلس، ولكن؛ ما خدموا العلم والعمران بعشر ما خدمناها" ^(٤).

السياسة الشرعية: التركيز على الجانب السياسي في تناول مفهوم العمران ظهر في عدة دراسات، منها كتاب "السلك في طبائع الملك" لابن الأزرقي (ت ٨٩٦ هـ)، الذي أولى السياسة الدور الأهم في قيام العمران وحفظه من الخراب، حيث قال في

(١) الطرسوسي، ت ٧٥٨ هـ، تحفة الترك فيما يجب ان يعمل في الملك، ابراهيم، تحقيق، عبد الكريم الحمداوي، بدون تاريخ، ص ٩٤/١

(٢) الكواكي، عبد الرحمن، ت ١٣٢٠ هـ، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، حلب: المطبعة العصرية، بدون تاريخ، ١٥٦/١

(٣) الشريف الإدريسي، محمد بن محمد، ت ٥٥٩ هـ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، بيروت: عالم الكتب، ط ١، ١٩٨٨، ٥٩٦/٢

(٤) الكواكي، عبد الرحمن، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، مرجع سابق، ١٥٠/١

مقدمة كتابه: "إن الملك صورة العمران البشري وقراره ومعناه الذي يشتمل عليه فوائد الاحتياج وأسراره"^(١)، وقال: "العمران البشري لابد له من سياسة ينتظم بها أمره لما تقدم أن الوازع فيه ضروري"^(٢)، وقد نبّه النشار على ظهور علم جديد في طرح ابن الأزرق هو "علم الأخلاق السياسي"^(٣).

الجانب القيمي: ظهر الجانب القيمي في مفهوم العمران في كتاب "أدب الدنيا والدين" للماوردي (ت ٤٥٠ هـ)، ومما ورد فيه قوله: "اعلم أن ما به تصلح الدنيا حتى تصير أحوالها منتظمة، وأمورها ملتئمة، ستة أشياء هي قواعدها، وإن تفرغت، وهي: دين متبع، وسلطان قاهر، وعدل شامل وأمن عام وخصب دائم وأمل فسيح"^(٤)، ويبدو من قوله المجمل أنه يقدم رؤية عمرانية، وي طرح منهجاً للعملية الإنمائية، ويحدد عناصر القيام على عمارتها وصلاحها، ويؤصل لقواعدها، ويحدد مجالاتها.

كما ظهر الجانب القيمي في كتاب "سير الملوك" لنظام الملك، الذي أشار لمعنى العدل، حيث قال: "وصارت البلاد إلى العمران، وتخلص الناس من الجور والظلم"^(٥) الاجتماع البشري: إن أكثر ما ارتبط بمفهوم العمران هو جانب الاجتماع البشري الذي طرحه ابن خلدون في مقدمته - كما سبق ذكره -^(٦)، حيث بيّن أن

(١) ابن الأزرق، أبو عبد الله، ت ٨٩٦ هـ، بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق: علي سامي النشار، بغداد: وزارة الإعلام، ٣٤/١

(٢) ابن الأزرق، بدائع السلك في طبائع الملك، مرجع سابق، ٩٧/١

(٣) ينظر: النشار، علي، ١٤٠٠ هـ، تعليق على كتاب بدائع السلك في طبائع الملك، طبعة دار السلام للطباعة والنشر، ط ١، ٢٠٠٨، منشور في منتدى أقرأ الثقافي، ٢٠١٣/٩/١

(٤) ينظر: الماوردي، أبو الحسن، ت ٤٥٠ هـ، أدب الدنيا والدين، دار مكتبة الحياة، ١٩٨٦ م، ١٣٣/١

(٥) نظام الملك، سير الملوك، مرجع سابق، ٦٥/١

(٦) ذكر مفهوم العمران عند ابن خلدون في الدراسة المصطلحية.

الإنسان كائن اجتماعي لا تصح حياته بدون مجتمع، وأن الإنسان نفسه معدّ خلقياً للعيش مع الآخر، وأنه يحتاج يده المهيأة للصنائع^(١)، كما يحتاج الإمكانيات والقدرات الجمعية عند الآخر لتكون الحياة ممكنة.

وقد تبين أن المفهوم لديه يتصف بعدة نقاط منهجية حسب دراسة مشوش المتخصصة بعلم العمران الخلدوني^(٢)، وذلك وفقاً لما يلي:

- يُعد المفهوم مفتاحاً لتفسير ظواهر عمرانية عدة، مثل: السياسة، الاقتصاد، العلم، التربية، الأخلاق، والعمارة، مما منح هذا المصطلح القوة الدلالية والمعرفة اللازمة لكسب أهمية تؤثر في جميع مجالات الحياة.
- يرتبط المفهوم بمجموعة من المفاهيم القرآنية، منها مفاهيم إيجابية، مثل: الاستخلاف، التمدن، العزة، الكثرة، التآنس، الصنائع والعلوم، الكسب، المصلحة، المحافظة، والحضارة، ومنها مفاهيم سلبية مثل: التناقص، والتقلب، والسكون، والخراب، والفساد، والتبدل، والتصرف، والحوّل، والتفاوت، والترف، والاختلال، والانتقال، كما ظهرت العلاقة بين العمران في الفكر الخلدوني وبين نصوص القرآن الكريم في استخلاص واكتشاف القوانين الثابتة والسنن المطردة، وتفسير جوانبها من الحياة العملية، ولذلك فهو يكتسب مناعة معرفية تميزه بجذوره القرآنية، وتمنعه من التمييع وسوء التأويل.

- يرتبط مفهوم العمران بالاستخلاف باعتبار أن حقيقة العمران خاضعة لأمرين: الأول اتصالها من جانبها العلوي بالأمر الإلهي، والثانية تعلقها من جانبها السفلي بالاستخلاف الذي محله الأرض، كما بين أنه إذا كانت وظيفة علم

(١) ينظر: طاهر، ناجي، العمران والحضارة عند ابن خلدون، موقع الرشاد، واحة الفكر، ٢٠٢٠/٥/٥ م.

(٢) ينظر: مشوش، صالح بن طاهر، علم العمران الخلدوني، مرجع سابق، ص ١٣٢، ١٣٣، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٩.

العمران هي التحقق من مطابقة القضايا للوقائع، فإن علم الاستخلاف غايته التحقق من مطابقة الأمر الوجودي للأمر الشرعي، وأن كل إنسان مخلوق فهو مستعمر من قبل الله في الأرض، لكن لا يكون مستخلفاً إلا إذا كانت أفعاله وفق الهداية والوحي .

خلاصة دراسة مفهوم "العمران" في التراث الإسلامي:

لقد تبين أن مفهوم العمران في التراث الفكري الإسلامي اتخذ دلالات مادية وأخرى معنوية، أو كليهما معاً، فإن دلالة تخطيط البلدان باعتبارها دلالة مادية إلا أنها ارتبطت بالعدل – كما ورد ذكره عند ابن الربيع، وكذلك دلالة البناء والإعمار، والسكن والإقامة، فهي وإن كانت تعبر عن كيان مادي إلا أنها ارتبطت بقيمة الأمن، ونددت بقيم الاستبداد – كما ورد عند الكواكي، أما الدلالات المعنوية فقد ظهرت فيما يتعلق بالسياسة الشرعية، والجانب القيمي، والاجتماع البشري اللازم لإعمار العالم وتحقيق الاستخلاف، مما يبين أن جانبي التعمير المادي والمعنوي يسيران معاً لا ينقطع أحدهما عن الآخر.

❖ مفهوم العمران في الفكر الإسلامي الحديث:

إن مفهوم العمران لم يظهر بشكل مستقل في الفكر الإسلامي الحديث غالباً، وإنما ظهر ضمن الدراسات المتنوعة بدلالة مفهوم العمران أحياناً، أو بدلالة ما يقاربه مثل الإصلاح والنهضة والسنن الإلهية والحضارة أحياناً أخرى، حيث سعت الدراسات إلى إيجاد سبل للخروج من المآزق الحضارية، وإيجاد حلول للتخلص من النكسات والنكبات التي توالى على الأمة، وذلك من خلال التنبيه لقضايا السنن الاجتماعية التاريخية الربانية التي تحكم التاريخ.

تفسير ومجلة المنار:

لعلّ أول من أبدى الاهتمام بالعمران والحضارة في العصر الحديث الإمامان محمد عبده (ت ١٩٠٥ م) ومحمد رشيد رضا (ت ١٩٣٥ م) في تفسير ومجلة "المنار" ، حيث احتوى التفسير على استنطاق آيات القرآن الكريم لاكتشاف منهج بناء الحياة والارتقاء بالعمران والحضارة، وامتلاك الريادة بين الأمم^(١)، فسعى لبيان مفهوم العمران من خلال بيان أهميته وأركانه ومعوقاته ومصادره، ومما ورد فيه حول أهمية العمران: "ثم اهتدى بعضهم إلى استنباط قواعد العمران وأصول الاجتماع من التاريخ، فصنف ابن خلدون في ذلك مقدمة تاريخه، ولو لم تنقطع بنا سلسلة العلم من ذلك العهد لكننا أتممنا ما بدأ به سلفنا، ولكننا تركناه وسبقنا غيرنا إلى إتمامه واستثماره، فالتاريخ هو المرشد الأول للأمم العزيزة اليوم إلى ماهي فيه من سعة العمران وعزة السلطان، وكان القرآن هو المرشد الأول للمسلمين إلى العناية بالتاريخ ومعرفة سنن الله في الأمم منه ... فلما صار الدين يؤخذ من غير الكتاب والسنة أهمل التاريخ، بل صار ممقوتا عند أكثر المشتغلين بعلم الدين، فإن وجد من يلتفت إليه، فإنما يكون متبعا في ذلك سنة قوم آخرين"^(٢)، نلاحظ في هذا التوجيه لصاحب المنار نقاط ثلاث:

● العزة والسلطان هو فهم قواعد علم العمران وتطبيقها.

(١) ينظر: محمود حسين، شاکر، ت ١٤١٨ هـ، مقاصد القرآن في الاجتماع والعمران عند محمد رشيد رضا في

تفسير المنار، دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد ٤٧، عدد ٢، ملحق ٢٠٢٠ م.

(٢) رضا، محمد رشيد، ت ١٣٥٤ هـ، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، القاهرة: الهيئة المصرية العامة

للكتاب، ١٩٩٠ م، ١/٢٥٨، ٢٥٩

- أول مصادر علم العمران عند الأمم العزيزة هو التاريخ، بينما مصادر علم العمران عند المسلمين في زمن عزتهم هي القرآن والسنة والتاريخ
- تأخر المسلمون لما فرطوا بالمصادر الرئيسية في فهم العمران، وأهملوا دراسة التاريخ وفق المصادر الرئيسية.

ومن أمثلة ما ورد في التفسير من إشارات حول مقومات العمران قوله: "فإن حياة الوطن وارتقاءه باتحاد كل المقيمين فيه على إحيائه، لا في تفرقهم ووقوع العداوة والبغضاء بينهم، لا سيما المتحدين منهم في اللغة والدين أو أحدهما، فإن هذا من مقدمات الخراب والدمار، لا من وسائل التقدم والعمران" ^(١)، ومن أمثلة ما ورد فيه حول فساد العمران قوله: "﴿... لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٤]، فأما خزي الدنيا فهو ما يعقبه الظلم من فساد العمران، المفضي إلى الذل والهوان" ^(٢).

محمد إقبال - (ت ١٩٣٨ م)

عالج محمد إقبال موضوع العمران من خلال تقديمه لمفهوم الإصلاح الذي طرحه في ثوب التجديد، وذلك باعتبار أن الإصلاح يشكل توصيفاً رئيساً للعمران، وقدم في كتابه "تجديد التفكير الديني في الإسلام"، موضوع تجديد التفكير الفردي والجمعي في الأمة، ويتبين ذلك في تقديم كتابه: "وهو يدعو إلى إبراز الأفكار الإسلامية الوسطية الصحيحة المحفزة على التجديد والخروج من الأنظمة الفاسدة التي أفسدت التاريخ الإسلامي، ومحاولة التنقيب عن الأفكار الصحيحة في هذا الدين

(١) رضا، تفسير المنار، مرجع سابق، ١٨/٤

(٢) رضا، تفسير المنار، مرجع سابق، ٣٥٧/١

العظيم ليعيد بناءه من جديد"^(١)، ونحن هنا نستشرف نظرتة الحضارية الإصلاحية المرتكزة على القيم الإيمانية التي تلتقي مع مفهوم العمران.

محمد الصادق عرجون - (ت ١٩٨٠ م)

اهتم محمد الصادق عرجون بصلاح المجتمع، وذلك في كتابه "سنن الله في المجتمع من خلال القرآن الكريم"، حيث عمل على استنطاق آيات القرآن الكريم لمعرفة سنن الله في المجتمع، وبين أهمية العلم بالسنن الإلهية، حيث قال: "وهذا العلم بالسنن الإلهية هو الذي وضع المجتمع الإسلامي في مكان الصدارة من الحياة، يوم أن كان العلم بأوسع معانيه هو القائد لهذا المجتمع، فطاف آفاق السماوات والأرض نظاراً باحثاً يستشف الحقائق الكونية، ...، يكشفها له القرآن ويهديه إلى أصولها."^(٢)، وإن البحث في مجال السنن الإلهية في بناء المجتمع يرتبط بشكل وثيق بقضايا العمران، إذ تعد السنن من الضوابط الموجهة للعملية العمرانية.

مالك بن نبي - (ت ١٩٧٣ م)

تناول مالك بن نبي قضايا العمران تحت مسمى "الحضارة"، حيث رأى الحضارة مركباً أو حصيلة لتفاعل الإنسان والوقت والتراب، من خلال الجانب الفكري والبعد الديني، وتوصل إلى أن بناء الحضارة يقتضي النظر إلى الموضوع بشكل كلي لا جزئي، يركز على استثمار عناصرها الأولية بشكل تكميلي مندمج ومتكامل، وفق المعادلة الشهيرة التي تجمع بينها:

(١) الدمرداش العقالي، الشيماء، مقدمة كتاب تجديد الفكر الديني في الإسلام، محمد إقبال، ترجمة: محمد

يوسف عدس، القاهرة: دار الكتاب المصري، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ٢٠١١ م، ص ٢٦

(٢) ينظر: عرجون، محمد الصادق، ت ١٤٠٠ هـ، سنن الله في المجتمع من خلال القرآن، جدة: موقع الباحث

العلمي، قاعدة بيانات علوم القرآن، ١٩٨٤ م، ص ١٠

((إنسان + تراب + زمن ← (طاقة روحية) = ناتج حضاري))^(١)

وقد تبين أنه استخدم مصطلح " الحضارة " بدل " العمران " بسبب قراءته لمقدمة ابن خلدون من النسخة المترجمة للفرنسية بحسب توضيح سليمان الخطيب مؤلف كتاب " فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي " ^(٢).

محمد باقر الصدر - (ت ١٩٨٠ م):

اهتم محمد باقر الصدر بمفهوم بناء المجتمع وإصلاحه الأمر الذي يُعدّ ضمن الحقل الدلالي لمفهوم العمران، وقد انطلق في طروحاته من دراسة وفهم ومراعاة سنن التاريخ التي تضمنها القرآن الكريم، حيث ظهر ذلك في كتابه "السنن التاريخية في القرآن الكريم"، الذي قال فيه: "من مجموعة آيات كريمة يتبلور المفهوم القرآني الذي يؤكد أن الساحة التاريخية لها سنن وضوابط" ^(٣)، ثم ربط بين تلك القوانين وبين العمران الخلدوني فقال: "هذا الفتح القرآني الجليل هو الذي مهد إلى تنبيه الفكر البشري بعد ذلك بقرون، إلى أن تجري محاولات لفهم التاريخ فهماً علمياً، ... فقام ابن خلدون بمحاولة لدراسة التاريخ وكشف سننه وقوانينه" ^(٤).

كما عني بالتركيز على المجال الاقتصادي، الذي ظهر في كتابه "اقتصادنا"، حيث بيّن فيه معالم الاقتصاد الإسلامي الذي يناسب الأمة المسلمة، وأشار لأهمية

(١) بوخلخال، عبد الوهاب، قراءة في فكر مالك بن نبي، قطر: إدارة البحوث والدراسات الإسلامية، كتاب الأمة، العدد ١٥٢، ذو القعدة ٢٠١٢ م، ص ٤٦، ٤٧ بتصرف

(٢) في لقاء حول كتاب "فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي" للدكتور سليمان الخطيب تم بثه في قناة المجد الفضائية ٢٠٠٩ بيّن المؤلف سر استخدام مالك بن نبي لمفهوم "الحضارة" بدلا من مفهوم "العمران البشري" بأن السر يكمن في أن مالك بن نبي لم يقرأ مقدمة ابن خلدون باللغة العربية، وإنما قرأها باللغة الفرنسية من ترجمة "دي سلان - de Slane" الذي ترجم مصطلح "العمران" لمصطلح الحضارة civilization

(٣) الصدر، محمد باقر، ت ٥١٤٠، المدرسة القرآنية، السنن التاريخية في القرآن، ترتيب محمد جعفر شمس الدين، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ١، ٢٠١١ م، ص ٦٢

(٤) الصدر، السنن التاريخية في القرآن، المرجع السابق، ذات الصفحة

الأمر بقوله: "لا يمكن للتنمية الاقتصادية والمعرفة ضد التخلف أن تؤدي دورها المطلوب إلا إذا اكتسبت إطاراً يستطيع أن يدمج الأمة ضمنه، وقامت على أساس يتفاعل معها" (١)

ابن عاشور - (ت ١٩٧٣ م)

ظهر اهتمام ابن عاشور بمفهوم العمران، من خلال تفسيره "التحرير والتنوير"، وفي ذلك قال: "وأما الصلاح العمراني فهو أوسع من ذلك، إذ هو حفظ نظام العالم الإسلامي، وضبط تصرف الجماعات والأقاليم بعضهم مع بعض على وجه يحفظ مصالح الجميع، ورعي المصالح الكلية الإسلامية، وحفظ المصلحة الجامعة عند معارضة المصلحة القاصرة لها، ويسمى هذا بعلم العمران وعلم الاجتماع" (٢)، وقال في تفسير قوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ [الذاريات: ٥٦]، "فالمعنى أنه المستغني غنى مطلقاً، فلا يحتاج إلى شيء فلا يكون خلقه الخلق لتحصيل نفع له، ولكن لعمران الكون، وإجراء نظام العمران باتباع الشريعة التي يجمعها معنى العبادة في قوله: إلا ليعبدون" (٣).

فريد الأنصاري - (ت ٢٠٠٩ م)

قدم فريد الأنصاري دراسات تناولت المفهوم العمراني، منها كتاب "بعثة التجديد المقبلة؛ من الحركة الإسلامية إلى دعوة الإسلام"، وسلسلة "من القرآن إلى العمران" التي جاءت في سبعة كتب، وقد بين مفهومه للعمران بأنه ليس هو تخطيط البناء المادي وهندسته فحسب، وإنما المقصود هندسة المذهبية الحضارية الكامنة

(١) الصدر، محمد باقر، ت ١٤٠٠ هـ، اقتصادنا، بيروت: دار التعارف للمطبوعات، ط ٢٠، ١٩٨٧ م، ص: ١٢

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ١، ص ٣٨

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٩/٢٧

في الإنسان .. بمعنى بناء الإنسان عقيدة وثقافة، حضارة وتاريخاً، فكراً ووجداناً، فرداً ومجتمعاً^(١).

وبين أنه يتم البدء بعمران الإنسان وحتى الوصول لعمران السلطان، وبين مقصده من ذلك بعمران الإنسان بقوله: "وحيثما نقول: (الإنسان) فهو الفرد والمؤسسة، وهو الوجدان الذاتي والجماعي، ... وهو العامة والخاصة، وهو المجتمع والدولة"^(٢)، كما بين مقصده بعمران السلطان بقوله: "وأما عمران السلطان: فهو البناء الكفيل بإخراج السلطان القرآني، وليس المقصود عنصره البشري، ... وإنما المقصود به طبيعته العمرانية، وعمقه النظامي"^(٣)، ثم بين أن عمران السلطان نتيجة عمران الإنسان، وأن الذي يجمع بينهما هو (عمران الاستخلاف) الذي يشمل كل النشاط البشري^(٤).

ماجد عرسان الكيلاني - (ت ٢٠١٥ م)

ظهر الاهتمام بمفهوم العمران عند ماجد عرسان الكيلاني ضمن مفهوم الإصلاح الاجتماعي، وذلك في كتبه التربوية الاجتماعية، حيث تناول في كتابه "أهداف التربية الإسلامية" مفهوم (العمل الصالح) الذي رآه ينقسم إلى ثلاثة أقسام: عمل ديني صالح، وعمل اجتماعي صالح، وعمل كوني صالح ومصلح، وهو ما يحتاجه أي مجتمع للتأهول والتقدم، فالأهم التي تضم أفراداً صالحين ومصلحين لا يلحقها الخراب، إنما يلحق بتلك الأمم التي تضم أفراداً صالحين في أنفسهم، لكنهم لا

(١) ينظر: الأنصاري، الفطرية - بعثة التجديد المقبلة، مرجع سابق، ص ١٦٨

(٢) الأنصاري، الفطرية - بعثة التجديد المقبلة، المرجع السابق، نفس الصفحة

(٣) الأنصاري، الفطرية - بعثة التجديد المقبلة، المرجع السابق، نفس الصفحة

(٤) الأنصاري، فريد، ت ١٤٣٠ هـ، بلاغ الرسالة القرآنية، القاهرة: دارالسلام للطباعة والنشر والترجمة، ط ١،

٢٠٠٩ م، ص ١٦، ١٧

يسعون للإصلاح^(١)، كما قام باستنباط ما أطلق عليه قوانين تاريخية وتطبيقات معاصرة، لبناء الأمم والمجتمعات، منطلقاً من تحليل تاريخي لمرحلة بنائية في تاريخ الأمة، وذلك في كتابه "هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس"^(٢).

عمر عبيد حسنة: (ولد ١٩٤٢ م)

تناول عمر عبيد حسنة مفهوم العمران من خلال بيان سمات الإنسان المؤهل لإقامة العمران، وسماه (إنسان القرآن)، حيث دعا في كتابه "إنسان القرآن - أنموذج إقامة العمران وبناء الحضارة" إلى قراءة متجددة تنطلق من منهج الهداية للتي هي أقوم، وبحسن التدبر، الذي يقود إلى التدبير وحسن التعامل مع الأزمان، كما يحقق الاعتبار، الذي يؤدي إلى استيعاب الماضي وعبرته، ويقود إلى العبور إلى المستقبل وفق سنة الله في الخلق، ويؤدي إلى استرداد المعيارية، التي ترتقي بالأمة إلى مجال الشهود الحضاري بعد هذا الغياب والوهن الكبير.^(٣)

اسماعيل الفاروقي - (ت ١٩٨٦ م)

قدم الفاروقي كتاب "التوحيد - مضامينه على الفكر والحياة"، الذي احتوى تحليل معرفي موسوعي مقارن، توصل منه إلى تفرد التوحيد الإسلامي، وسمو المبادئ النابعة منه على صعيدي: التخلية المحررة للعمران على هذه الأرض من دواعي الفساد والخلل، والتحلية المكرسة لكل دواعي التمكين والصلاح والإصلاح، وقد ورد فيه قوله: "مقتضى الإقرار بأنه لا إله إلا الله، هو الإيمان به سبحانه خالقاً ومالكاً وحكماً للوجود بلا شريك، ويترتب على هذه الشهادة أن الإقرار بأن الإنسان خلق

(١) ينظر: الكيلاني، ماجد، أهداف التربية الإسلامية، المدينة: مكتبة التراث، ط ٢، ١٩٨٨

(٢) ينظر: الكيلاني، ماجد، هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس، دبي: دار القلم للنشر والتوزيع، ط ٣، ٢٠٠٢ م.

(٣) حسنة، عمر عبيد، ت ١٤٢٤ هـ، إنسان القرآن.. أنموذج إقامة العمران وبناء الحضارة، بيروت: المكتب الإسلامي، ٢٠١٦ م.

لغاية، ... وأن تلك الغاية هي تحقيق الإرادة الإلهية المتعلقة بهذا العالم الذي تتخذ منه الحياة البشرية مسرحاً لفعالها الحر المسؤول"^(١)

طه جابر العلواني - (ت ٢٠١٦ م)

طرح العلواني مصطلح "العمران" باعتباره يدل على مقصد قرآني من المقاصد العليا الحاكمة في كتابه "التوحيد التزكية والعمران"^(٢)، وحدد عناصرها في ثلاثة مفاهيم قيمية كبرى، ورأى أن العمران هو حق الكون المسخر وميدان فعل الإنسان ونشاطه^(٣)، وقد سبق ذكره وتحليله في الدراسة المصطلحية.

فتحي ملكاوي (ولد ١٩٤٣ م)

تابع فتحي ملكاوي ما بدأه العلواني حول موضوع العمران في كتابه "منظومة القيم العليا التوحيد والتزكية والعمران"^(٤)، حيث ربط بين القيم الثلاث في منظومة تكاملية، وقد سبق التفصيل في مفهوم العمران لديه في الدراسة المصطلحية.

(١) الفاروقي، اسماعيل، ت ١٤٠٦ هـ، التوحيد - مضامينه على الفكر والحياة، القاهرة، مدارات للأبحاث والنشر، ٢٠١٤ م، ص ١٦٥

(٢) ينظر: العلواني، طه جابر، ت ١٤٣٧ هـ، كتاب: التوحيد التزكية والعمران، محاولات في الكشف عن القيم والمقاصد القرآنية الحاكمة، بيروت: دار الهادي، ط ١، ٢٠٠٣ م.

(٣) سبق ذكره في الدراسة الاصطلاحية، ص ٢٠

(٤) ينظر: ملكاوي، فتحي حسن، كتاب: منظومة القيم العليا التوحيد والتزكية والعمران، مرجع سابق، ط ١، ٢٠١٣ م.

عبد المجيد النجار- (ولد ١٩٤٥م)

تناول عبد المجيد النجار الموضوع من باب الفقه المقاصدي للقرآن في سلسلة الشهود الحضاري للأمة الإسلامية^(١)، حيث تم طرح السلسلة في ثلاثة مجلدات، يطرح كل مجلد قضية: (فقه التحضر الإسلامي، وعوامل التحضر الإسلامي، ومشاريع الإشهاد الحضاري)، كذلك قدم بحث "مقاصد القرآن في بناء الفكر العمراني"، حيث بيّن ما يتطلبه العمران من بناء فكري يمكّن العقل المسلم من تحقيق شروط الاستخلاف^(٢).

أبويعرب المرزوقي: (ولد ١٩٤٧م)

قدم المرزوقي تصوره للعمران في كتابه "النخب العربية وعطالة الإبداع في منظور الفلسفة القرآنية"، حيث اعتمد في تناول المفهوم على خلفية فلسفية، وعلى رؤية مقاصدية شرعية، مرتكزة على (التواصي بالحق)، حيث يقول: "صورة العمران تتعلق بالنظامين التربوي (مقصد العقل)، والسياسي (مقصد العرض)، القادرين على إنتاج الشخص والجماعة المستثنين من الخسر، ومادة العمران تتعلق بالنظامين الاقتصادي (مقصد المال)، والاجتماعي (مقصد الدين)، القادرين على تحقيق الشخص والجماعة المستثناة من الخسر"^(٣)

(١) ينظر: النجار، عبد المجيد، سلسلة الشهود الحضاري للأمة الإسلامية، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط ١،

١٩٩٩

(٢) ينظر: النجار، عبد المجيد، بحث: مقاصد القرآن في بناء الفقه العمراني، مجلة الفكر الإسلامي المعاصر،

الأردن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، العدد ٨٩، ٢٠١٧

(٣) المرزوقي، أبويعرب، النخب العربية وعطالة الإبداع في منظور الفلسفة القرآنية، تونس: الدار المتوسطة

للنشر، ط ١، ٢٠٠٧، ص ٢٢٠، ٢٢١ بتصرف يسير

زياد الدغامين - معاصر

قدم زياد الدغامين دراسة بعنوان "إعمار الكون في ضوء نصوص الوحي" حيث بين فيها مفهوم العمران بقوله: "إن المقصود بالإعمار هو كل عمل إنساني في هذا الوجود متصف بالصالح والإصلاح مادياً كان أو معنوياً، يهدف إلى تحقيق العبودية لله تعالى، والقيام بواجب الخلافة في الأرض، ولا يمكن أن تتم هذه العملية بنجاح إلا في ضوء رؤية كلية صحيحة للإنسان والكون والحياة، مستمدة من حقيقة الوحي الخاتم، أي في ضوء الشرعة والمنهاج".^(١)، وهو بذلك يربط مفهوم الإعمار بالصالح والإصلاح، المهتدي بهدايات الوحي، الذي يدفع الإنسان (فرداً وجماعة) للقيام بالإعمار باعتباره واجباً وفرضاً لتحقيق العبودية.

عزيز البطيوي - معاصر

عمل عزيز البطيوي في دراسته "سنن العمران البشري في السيرة النبوية" على تقديم رؤية نسقية متكاملة للعمران البشري مستلهمة من السيرة النبوية، وقد أولى في دراسته اهتماماً كبيراً ببيان مفهوم العمران عند عدد من المفكرين، وتحليل كل من تلك التعاريف، ليتم التوصل إلى تبني مفهوم للعمران، حيث قال: "إن العمران هو أرقى وضع في الاجتماع الإنساني حيث يقابله الخراب والفساد، ويحمل في ذاته معنى قيمياً معيارياً بدلالات إيجابية وأبعاد شاملة"^(٢).

(١) الدغامين، زياد، إعمار الكون في ضوء نصوص الوحي، عمان: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، مج ١٤،

العدد ٥٤، ٢٠٠٨ م، ص ٣٦

(٢) البطيوي، سنن العمران البشري في السيرة النبوية، مرجع سابق م، ص ١١٨

صالح بن طاهر مشّوش - معاصر

دراسة صالح بن طاهر مشّوش بعنوان "علم العمران الخلدوني، وأثر الرؤية الكونية التوحيدية في صياغته" تصبّ في مجال التأصيل العلمي لموضوع العمران كما طرحه ابن خلدون، حيث حاولت صياغة مسألة الفكر العلمي الخلدوني في نسقها الأصلي، ونقد الاتجاهات والقراءات التقليدية لهذا الفكر، وذلك على مستوى مفاهيمي واستدلالي، وقد بيّنت الدراسة الأوجه التي حملها مفهوم العمران عند ابن خلدون، وكيف استندت على النظرة الكونية التوحيدية^(١).

عبد الحليم مهورباشة - معاصر

تميّز طرح مهورباشة في كتابه (علم الاجتماع في العالم العربي من النقد إلى التأسيس – نحو علم العمران الإسلامي) بأنه لم يتناول مفهوم العمران بشكل مجرد، وإنما درس المفهوم ضمن الإطار المعرفي والمنهجي لتأسيس علم العمران، مستنداً على المنطلقات الكامنة وراء ذلك العلم، مقارناً بينها وبين المنطلقات المؤثرة في العلم المقابل ضمن الاتجاه الغربي، وهو علم الاجتماع، وذلك بهدف تقديم بديل معرفي لعلم الاجتماع الغربي، بمسمى (علم العمران الإسلامي)، والوصول لدراسة الفعل الإنساني في إطار منظومة القيم الإسلامية^(٢).

(١) ينظر: مشوش، علم العمران الخلدوني، وأثر الرؤية الكونية التوحيدية في صياغته، مرجع سابق

(٢) مهورباشة، عبد الحليم، علم الاجتماع في العالم العربي من النقد إلى التأسيس – نحو علم العمران الإسلامي، عمّان: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط ١، ٢٠١٨ م.

مازن موفق هاشم - معاصر

ظهر مفهوم العمران عند مازن هاشم في كتابه (مقاصد الشريعة الإسلامية - مدخل عمراني)^(١)، ضمن إطار المفاهيم المقاصدية، حيث استخرج من طرح ابن خلدون موجّهات للمقاصد على المستوى العمراني بهدف التوصل إلى نظرية متكاملة للمقاصد، يمكن ترجمتها في مسرى الحياة الإنسانية، وقد قال مبيناً هدفه: "ولقد كان همي التوسيع في المقاصد ووضعها في نظرية محكمة تشمل ما تفتّقت عنه الحياة، وأن أجيل الذهن في مجاري العادات وما سرت عليه التجارب البشرية من طبائع العمران، وحرصت أن أجعل الصياغة خطاباً عاماً لكل المسلمين من أهل الاختصاصات المتنوعة، أقرب إليهم رؤية الشريعة ومقاصدها الكبرى، وأضع على عاتقهم واجب التفكير والعمل، فيما هم مستأمنون فيه من شؤون الأمة"^(٢).

مفهوم العمران في الدراسات المترجمة:

اهتم عدد من الباحثين العرب بكتابة دراسات بلغات أجنبية تتعلق بالعمران الخلدوني، وقد تناولت الدراسات ترجمة مصطلح العمران إلى مفردات أجنبية، أثارت النقد.

من أولئك الباحثين محسن مهدي الذي ترجم مصطلح العمران إلى لفظ (culture) الذي يدل على الثقافة، لأنه وجد ترادفاً بين الجذر اللغوي العربي (ع م ر) والجذر اللاتيني (colo) الذي اشتقت منه كلمة (culture)^(٣)، وقد انتقد مشوش تلك

(١) هاشم، مازن، مقاصد الشريعة الإسلامية، مدخل عمراني، عمان: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط ١، ٢٠١٤م.

(٢) هاشم، مازن، مقاصد الشريعة الإسلامية، المرجع السابق، ص ٣٦٥

(٣) Mahdi, Ibn Khaldun's philosophy of history, ١٨٤ p - نقلاً عن مشوش، علم العمران الخلدوني،

مرجع سابق ص ١٢٧

الترجمة بقوله: "تجاهل مهدي الأصول القرآنية للمفهوم، التي لو أقر بها لذهبت به إلى نتائج تعاكس تماماً الأطروحة التي تميل أكثر إلى علمنة الفكر الخلدوني بتقليص الدين فيه، لاسيما إذا علمنا أن مفهوم العمران ذو صلة لاتنفك مع مفاهيم أخرى في القرآن كمفهوم الاستخلاف، الذي يشكل معها شبكة مفهومية متكاملة، تقدم في مجملها نظاماً توحيدياً كلياً للفعل الإنساني في العمران" (١).

كما أورد مشوش بعض الترجمات لمصطلح العمران، حيث بيّن أن زيد أحمد ترجمه إلى مفردة (Culture)، وهي التي تدل على الثقافة عموماً، وترجمه معن زيادة إلى مفردة (Civilization)، وهي التي تدل على الحضارة غالباً، وعلى المدنية أحياناً، وعلق مشوش على تلك الترجمات بقوله: "نعتقد أن استعمال لغة أجنبية للتعبير عن المفاهيم الأصولية الخلدونية هو بمثابة مخالفة منهجية لاتساندها القواعد العلمية المعتمدة، ... فكلمة (العمران) التي ترجمت في أغلب الدراسات غير العربية تظل متميزة عنها، ليس من الناحية اللغوية فقط، ... بل هناك جانب آخر هو علاقتها بمفاهيم أخرى مثل الاستخلاف وسنة الله التي توجه مقصده وتنظم دلالاته وفق مقتضى الأمر الشرعي بتعبير ابن خلدون" (٢).

علماً أن إطلاق لفظ "الثقافة أو الحضارة" مقابل مفهوم "Culture"، وإطلاق لفظ "Civilization" مقابل لفظ "الحضارة، أو المدنية"، يحمل بعض المحاذير المفهومية حسب دراسة أجراها نصر محمد عارف حول سيرة مصطلحات:

(١) مشوش، صالح بن طاهر، علم العمران الخلدوني، مرجع سابق، ص ١٢٨، ١٢٧

(٢) مشوش، علم العمران الخلدوني، المرجع السابق، ص ١٣٠ بتصرف يسير

(الحضارة، الثقافة، المدنية)، حيث بين أن ذلك يؤدي إلى طمس الدلالات الحقيقية للمفهوم العربي واستبدال دلالات غريبة بها.^(١)

خلاصة دراسة المفهوم في الفكر الإسلامي المعاصر:

تنوعت مناهج تناول مفهوم العمران ودلالاته عند العلماء والمفكرين والمفسرين في العصر الحديث، ولكن جميع الطروحات دارت حول معنى الإصلاح الناتج عن الفعل الإنساني، الذي يركز على منظومة مترابطة من المقومات والضوابط هي: تجديد الفكر، والاستعانة بفقه السنن التاريخية، وبناء المجتمع الحضاري وفق رؤية مقاصدية شرعية.

❖ مفهوم العمران في الفكر الغربي:

إن دراسة مفهوم العمران في الفكر الغربي يحسن فيه متابعة جانبين؛ الأول هو الجانب الذي يدل على المعنى المباشر للمفردة، والثاني هو مايقابل المصطلح الذي قصد به ابن خلدون الاجتماع البشري الضروري لإعمار الأرض وتحقيق استخلاف الله للإنسان^(٢)، وهذا الجانب يصلح فيه تتبع مفهوم الغرب للعمران الخلدوني من جهة، وتتبع المفاهيم المقابلة لديهم من جهة أخرى.

أ- دلالة مفردة "العمران" في الفكر الغربي: تترجم مفردة "العمران" في الدراسات الهندسية إلى كلمة (Urbanism)^(٣)، وهي تعني تخطيط المدن، أو علم التخطيط الحضري، بمعنى دراسة كيفية تفاعل سكان المناطق الحضرية - مثل البلديات والمدن -

(١) عارف، نصر محمد، الحضارة، الثقافة المدنية: دراسة لسيرة المصطلح ودلالة المفهوم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩٤م، ص ٢٥، ٢٦

(٢) سبق ذكره في الدراسة المصطلحية، ص ١٨.

(٣) ينظر: البعلبكي، منير، رمزي، المورد الحديث، قاموس انكليزي عربي، بيروت: دار العلم للملايين، بدون تاريخ، ص ١٢٩٥

مع البيئة المبنية، من خلال تصميم وإدارة التجمعات الحضرية^(١)، كما تترجم في الدراسات الاجتماعية بكلمة (Civilization)، بمعنى الحضارة والتمدن^(٢)، وتقارب كذلك كلمة (Colonization) التي تعني استعمار^(٣)، والتي تطورت دلالاتها لتأخذ منحى يدل على السياسة التوسعية.

ب- مفهوم مصطلح "العمران" الخلدوني في الفكر الغربي:

اهتم كثير من المستشرقين ومن باحثي الغرب ومفكره بدراسة مفهوم العمران الخلدوني، وذلك في سياق اهتمامهم بدراسات ابن خلدون عموماً، ومقدمته الشهيرة خصوصاً، لأهداف متعددة، بعضها فكرية بحثية، وبعضها استشراقية أو استعمارية، والمهم في هذا المقام هو دراساتهم البحثية، التي يتضح منها تنوع نظرتهم لمفهوم العمران الخلدوني.

الباحث البولندي (لودفيج جمبلوفيتس GumpLoWwicz Ludvig) رأى أنّ طرح ابن خلدون حول الظواهر الاجتماعية يتعلق بعلم الاجتماع، وقال: "ابن خلدون عالم اجتماعي عربي من القرن الرابع عشر ميلادي"^(٤)، ونشر مقالاً بذلك العنوان في النمسا عام ١٨٩٩، وترجمه إلى الفرنسية تحت العنوان نفسه عام ١٩٠٠م، وقد تبين أن طرح (جومبلوفيتس) في مقاله ذاك تميّز بالموضوعية في

(١) IEREK – International Experts for Research، **Urbanism: Meaning and Benefits**، IEREK

Enrichment and Knowledge Exchange، ١٨، ٢٠٧-٢٦

(٢) الياس، انطون، وإدوارد، قاموس الياس العصري، بيروت: دار الجيل، ١٩٨٨م، ص ١٤٢

(٣) الياس، قاموس الياس العصري، مرجع سابق، ص ١٥١

(٤) Ludwig Gumplovicz, **Ibn Khaldun, ein arabischer Soziolog des XIV Jahrhunderts in**

soziologische Essays, Innsbruck ١٨٩٩ - نقلاً عن: التركي، محمد، ابن خلدون من منظور الآخر: لمحة حول

القراءات الألمانية، تونس: المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون – بيت الحكمة، المجلد ٢، ٢٠٠٦م، ص

٦٥٣.

تناول تأثير طروحات ابن خلدون في الصراع القائم آنذاك بين التيارات المعرفية في مجال علم الاجتماع^(١)، حيث قال بعد ان حلل نظريات ابن خلدون: "لقد جاء مسلم تقي فدرس الظواهر الاجتماعية بعقل متزن، وأتى في هذا الموضوع بآراء عميقة، وما كتبه هو ما نسميه اليوم: علم الاجتماع"^(٢).

العالم الفرنسي (كولوزيو S Colosio) اكتشف في العمران الخلدوني موضوع القوانين الاجتماعية وسماها (الحتمية الاجتماعية)، أي الجبرية في ظواهر الاجتماع، وهو المبدأ الذي يقوم عليه علم الاجتماع، حيث قال: "إن مبدأ الحتمية الاجتماعية يعود الفضل في تقريره إلى ابن خلدون قبل رجال الفلسفة الوضعية"، وشاركه في ذلك العالم الأمريكي (فارد Vard)، والعالم (شميث Schmidt) ^(٣).

كذلك المستشرق الهولندي (ت.ج دي بور: Guy Debord) استطاع أن يكتشف في العمران الخلدوني قضية القوانين الاجتماعية، حيث قال: "ابن خلدون أول من حاول أن يربط بين تطور الاجتماع الإنساني وبين علله القريبة، مع حسن الإدراك لمسائل البحث وتقريرها مؤيدة بالأدلة المقنعة، ... وهو يرى أن للمدينة وللعمران البشري قوانين ثابتة يسير عليها كل منها في تطوره"^(٤)، وإن تنبه دي بور لحضور القوانين الاجتماعية في العمران الخلدوني بشكل تميزاً لدراسته، وذات الأمر نجده أيضاً عند الباحث الألماني "هاينرش سيمون" الذي تنبه إلى موضوع العلل والقوانين التي يخضع لها التطور التاريخي، إضافة إلى تركيزه على العصبية والتاريخ والاقتصاد في تكوين العمران البشري، وذلك في دراسته التي نشرت في ليبزغ عام

(١) التركي، ابن خلدون من منظور الآخر، مرجع سابق، ص ٦٥٣.

(٢) غنيمات، مصطفى، الفكر الاجتماعي عند ابن خلدون، إسلامية المعرفة، ع ٥١، ٢٠٠٧م، ص ٦١.

(٣) غنيمات، الفكر الاجتماعي عند ابن خلدون، مرجع سابق ص ٦١.

(٤) ديبور، ت.ج، تاريخ الفلسفة في الإسلام، ترجم محمد عبد الهادي أبو ريده، بيروت: دار النهضة العربية،

ط ٣، ١٩٥٤م، ص ٣٣٥

١٩٥٩ بعنوان: (ابن خلدون وعلم العمران البشري)، وتوصل إلى أهمية دور الدولة كمؤسسة تجمع تلك العناصر.

الباحث الفرنسي (ايف لاکوست Yves Lacoste) فهم العمران عند ابن خلدون بشكل أوسع، حيث وجده يتعلق بمجمل المظاهر الإنسانية، فيقول: "كلمة (عمران) تعني عند ابن خلدون؛ القضايا الديموغرافية والاقتصادية، كما تعني النشاطات الاجتماعية، والسياسية، والثقافية، فالأمر يتعلق بمجمل المظاهر الإنسانية"^(١)، كما تنبه لمكانة الإيمان بالله في العمران الخلدوني، إلى جانب كونه مفكراً تجريبياً، فيقول: "هو متدين ومسلم دقيق من أجل معرفة العالم فوق المحسوس، وهو الذي لا يترك عملياً أي اعتبار مخصص للعقل، والذي يؤمن إيماناً مطلقاً بالكشف الإلهي، أما فيما يتعلق بالعالم الملموس فابن خلدون يتصرف تصرف مفكر تجريبي، تجريبية منهج، لاتجريبية مذهب"^(٢)، وإذا كان لاکوست قد تنبه لوجود الخلفية الإيمانية عند ابن خلدون، فإن حقيقة المفهوم الإيمان في العمران الخلدوني قد غاب عنه، إذ رآه يقتصر على "العالم فوق المحسوس" -حسب تعبيره-، بينما هو في الحقيقة يرتبط بالواقع الملموس أيضاً من خلال فهم ابن خلدون لقضية الاستخلاف في إعمار الأرض.

الباحث الألماني (برترام شيفولد Bertram Scheffold) ركز على الجانب الاقتصادي في نظرية ابن خلدون، في حين وجد الباحث الألماني بيتر فون سيفرس أن نظرية ابن خلدون ترمي أساساً إلى تدعيم الخلافة الإسلامية كتصور شامل لفرض الشريعة الدينية^(٣).

(١) لاکوست، إيف، العلامة ابن خلدون، ترجمة ميشال سليمان، بيروت: دار الفارابي، ط٢، ١٧٢٠ م، ص ١٨٥

(٢) لاکوست، العلامة ابن خلدون، المرجع السابق، ص ٣٥٩، ٣٦٠

(٣) التركي، ابن خلدون من منظور الآخر: لمحة حول القراءات الألمانية، مرجع سابق، ص ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦

وقد ورد في دراسة بعنوان "ابن خلدون في مرآة الغرب" نشرتها صحيفة البيان الالكترونية أن المؤرخ الانكليزي "أرنولد توينبي" رأى العمران الخلدوني يعبر عن موضوع بناء الحضارات، حيث قال عن نظرية ابن خلدون: "فقد بلور (يقصد ابن خلدون) نظرية متكاملة عن صعود الحضارات وانهارها وأسباب ذلك"، كما ورد في الدراسة أن المؤرخ الفرنسي "فيرنان برديول" رأى أن العمران الخلدوني يمثل الاجتماع السياسي، ويتحدث عن دورة حياة الامبراطوريات أو السلالات الحاكمة.

أما المستشرق الفرنسي "فانسان مونتيل" فقد وجد العمران الخلدوني يعتمد على دراسة التاريخ وتفسير مغزاه ودلالته، ليصل إلى تأسيس علم الاجتماع، وذلك من خلال منهجية جديدة في دراسة المجتمع الإنساني والحضارة البشرية، حيث قال: "لقد درس ابن خلدون بشكل تجريبي محسوس طبيعة الحضارة وجوهرها، أي الحياة البدوية والحياة الحضرية، ومفهوم العصبية الذي يؤدي إلى تشكل السلالات البشرية، وآليات الهيمنة والسيطرة وكيفية تشكل السلطة والسلالات والطبقات الاجتماعية، والمهن والحرف التي يكسب بها الإنسان رزقه، والعلوم والفنون".^(١)

ت- المفاهيم والنظريات المقابلة للعمران في الفكر الغربي:

إن مفهوم مصطلح "العمران" لم يظهر صريحاً في الفكر الغربي؛ لأن المفهوم وليد فكر مسلم يستند على قضية الاستخلاف، وقد تبين من خلال تناول تفاعل الفكر الغربي مع مفهوم العمران الخلدوني أن المفاهيم المقابلة له ظهرت غالباً في

(١) ينظر: صالح، هاشم، ابن خلدون في مرآة الغرب، مقال منشور في صحيفة البيان الالكترونية، ١٠ نوفمبر ٢٠٠٦م، تاريخ الزيارة ١٢/٧/٢٠٢٠، الساعة ١٠ صباحاً.

مجالات: ظواهر الاجتماع البشري التي يتضمنها علم الاجتماع، وقيام الحضارات وسقوطها بناء على الدراسات التاريخية.

وبما أن مفهوم العمران الخلدوني ارتكزت دراسته على مفهوم استخلاف الله للإنسان، يحسن البحث عن المنطلقات المقابلة والكامنة وراء دراسة الظواهر الاجتماعية ضمن علم الاجتماع الغربي، وهنا يظهر مفهوم "رؤية العالم" الذي يقول عنه ملكاوي: "إن الصورة التي تظهر بها العلوم الاجتماعية هي انعكاس لطبيعة رؤية العالم"^(١)، لذا يجدر التوقف عند ذلك المفهوم لفهم الأسس الكامنة وراء الفكر الغربي، ولتحديد المفاهيم المطلوبة، لقد بين ملكاوي أن مفهوم رؤية العالم يمثل: "الصورة الكلية التي يكونها الإنسان لنفسه وللعالم من حوله، وزاوية النظر التي يتخذها، والبيئة الطبيعية والنفسية والاجتماعية، والنظام الفكري بمكوناته اللغوية وأطره المرجعية"^(٢)، وقال عنه نصر محمد عارف: "رؤية العالم تعني الطريقة التي ينظر بها شعب إلى الكون ككل، والتي يرون من خلالها هذا الكون ويحددون موقفهم منه"^(٣).

وإن فهم الأسس الكامنة وراء الرؤية الغربية للظواهر الاجتماعية هو الأمر الذي سيساعد في تفهم رؤيتهم للعمران الخلدوني، وفي تقدير المفاهيم المقابلة لمفهوم العمران لديهم، كما أنه سيبين مسوغات ظهور النظريات الاجتماعية عند كل من مفكرهم.

(١) ملكاوي، فتحي، رؤية العالم والعلوم الاجتماعية، عمان: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، مجلد ١١، عدد ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٢٠٠٦ م.

(٢) ملكاوي، فتحي، رؤية العالم والعلوم الاجتماعية، المرجع السابق، نفس العدد

(٣) عارف، نصر محمد، مفهوم النظام المعرفي والمفاهيم المتعلقة به، عمان: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ٢٠٠٠ م، ص ٦٢

وفيما يلي أهم النظريات الاجتماعية الغربية، مع بيان خلفياتها المنطلقة من رؤية العالم:

نظرية المصالح والصراع الجماعي: صاحبها العالم البولندي لودفيج جمبلوفتش (Ludwig Gumpowicz ١٩٣٩ - ١٩٠٩) الذي ربط بين العمران الخلدوني وبين الاجتماع البشري، وكان من الداروينيين الاجتماعيين، لذلك فإن رؤية العالم لديه دفعته لرؤية جميع الظواهر الاجتماعية نتيجةً للتطور والصراع بين الجماعات، والصراع الجماعي في نظريته يحل محل الصراع الفردي، فالجماعة من وجهة نظره هي العنصر الأهم، والبقاء للأقوى^(١)، وكذلك تبني مفهوم الصراع الجماعي (البون سمول ١٩٢٦ - ١٨٥٤) Albion small الذي كان يدين بمذهب الداروينية الاجتماعية أيضاً.^(٢)

نظرية الصراع الوظيفي: ظهرت هذه النظرية عند العالم الألماني (لويس كوزر Lewis coser - ٢٠٠٣ - ١٩١٣) صاحب الرؤية الماركسية للعالم، انطلق من فكرة الصراع في النظرية الماركسية، ولكن اهتم بوظائفه الاجتماعية بدلاً من الوظائف السلبية له، فالصراع عنده يعني النضال في سبيل قيم محددة، والصراع على مراكز ومكانات معينة في سبيل بلوغ السلطة والاستيلاء على الموارد النادرة التي تستمد منها القوة، وتكمن أهداف المتصارعين في تحقيق التعادل والتوازن بين المتنافسين أو الاضرار بهم.^(٣)

(١) شهاب، محمد، رواد علم الاجتماع، كتاب الكتروني، موقع: كتب عربية www. Kotobarabia.com - ص ٤٧

(٢) شهاب، رواد علم الاجتماع، المرجع السابق، ص ٢٣

(٣) ينظر: محمد، صخري، ملخص شامل حول نظريات علم الاجتماع، الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والاستراتيجية، موقع الكتروني، ٢٩/٦/٢٠١٨ م.

نظرية التحدي والاستجابة: صاحبها المؤرخ الانكليزي أرنولد توينبي ١٨٨٩ – (Arnold Joseph Toynbee ١٩٧٥) الذي رأى أن ابن خلدون قد طرح نظرية متكاملة عن صعود الحضارات وانهارها وأسباب ذلك، وينطلق من رؤية للعالم ترتكز على فلسفة دينية تتمثل بكون الدين عنده طريقاً إلى الله، ويتوجب أنه على الدين أن يوحد البشرية كلها بدلاً من أن تُفني بعضها بعضاً في الحروب^(١)

في كتابه "تاريخ البشرية" درس حياة الحضارات وتاريخها ومصيرها، وبين أن الحضارات تولد، وتنمو، وتتداعى وتزول في النهاية، وأن تاريخ كل مدنية يمر بطريق التطور بأكمله، حيث افترض أن الأحوال الصعبة هي التي تهيئ للبيئات الطبيعية، وأن مرحلة الانهيار تحين نتيجة احتكار الطاقة الإبداعية بيد الأقلية، وفقدان الوحدة الاجتماعية^(٢)، وأن الحضارة التي تصل لمرحلة التدهور يمكنها بالتحدي أن تعود وتنهض، حيث تحصل الاستجابة^(٣)

نظرية العقل الجمعي: أطلقها العالم الفرنسي (إميل دوركايم Emile Durkheim ١٩١٧ - ١٨٥٨)، فقد تبنى رؤية ديكرتية، وطرح سؤالاً رئيساً: من أين يأتي المجتمع المكون من أفراد؟ وكيف أمكن لعدد كبير من البشر الذين يتمتع كل واحد منهم بحياة داخلية خاصة أن يفكروا ويشعروا ويتصرفوا بالطريقة نفسها؟ وأجاب عن تلك الأسئلة بإطلاق نظرية (العقل الجمعي)، وتعني أن أصل الحياة

(١) بكري، عفراء، نبذة عن أرنولد توينبي، موقع سطور، ٢٥-٧-٢٠٢٠ م.

(٢) الزبود، اسماعيل، إرهابات النهضة في المجتمع العربي: دراسة سوسيولوجية في ضوء نظرية (التحدي والاستجابة)، بحث منشور في مجلة: دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد ٤٠، العدد ١، ٢٠١٣ م.

(٣) ينظر: الطراونة، فاطمة، عوامل تدهور الحضارة الغربية - دراسة سوسيولوجية تحليلية- في ضوء نظرية الفيلسوف الألماني أوزوالد شبنجلر، عمان: دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد ٤٣، ملحق ٣، ٢٠١٦ م.

الاجتماعية يعود إلى اندماج الضمائر الفردية في ضمير جمعي مشترك مزوّد بخصيقي الخارجية والقدرة على ممارسة الإكراه، ويتم ذلك من خلال المؤسسات الاجتماعية^(١).

نظرية الحضارة: ظهرت عند العالم الألماني (أوزوالد شبنجلر Oswald Spengler ١٩٣٦ - ١٨٨٠)، حيث قدم نظرية في تفسير الحضارة، وهي نظرية بيولوجية قائمة على فكرة التعاقب الدوري، باعتبار أن الحضارة في حياتها تمر بمراحل و أدوار تشبه تمام الشبه المراحل التي يمر بها الكائن الحي في حياته، من الميلاد والنمو والشباب والكهولة ثم الشيخوخة والموت، فهي تنطلق من اللحظة التي تستيقظ الروح بكل إمكاناتها وتبدأ في النضج والتشكل، ويوم تستنفد هذه الروح جميع إمكاناتها، فيكون مصيرها الموت والزوال^(٢)، وهو بهذا يتنبأ بحتمية تدهور الحضارة الغربية كما ورد في كتابه " تدهور الحضارة الغربية"^(٣).

خلاصة دراسة المفاهيم المقابلة للعمران في الفكر الغربي:

لقد تبين أن العمران الخلدوني تنوعت دلالاته في الفكر الغربي؛ وذلك حسب زوايا النظر إليه، فمنهم من وجده يدرس الظواهر الاجتماعية، والقوانين التي تحكمها، ويرتبط بعلم الاجتماع، ومنهم من رآه يختص بقيام الحضارات وسقوطها، ومنهم من ركز على الجانب التاريخي، ومنهم من ركز على القضايا الديموغرافية والاقتصادية والسياسية، ومنهم من رأى نظرية ابن خلدون تصب في مجال الفلسفة.

(١) ينظر: احجيج، حسن، مقدمة بحث: نظرية المعرفة عند دوركايم، موقع حكمة الالكترونى، ٢٠١٥/١٠/٧م.

(٢) جمال، بروال، نظرية الحضارة عند اسوالد اشبنجلر - مقارنة تحليلية في دورة الحضارة، الجزائر: مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد ٥٤، ٢٠١٩م، ص ٦٩

(٣) ينظر: الطراونة، عوامل تدهور الحضارة الغربية، مرجع سابق

كما اتضح أن تفاعل ذلك الفكر مع ما يقابل مفهوم العمران تمثل بنظريات اجتماعية تتناسب مع الخلفيات الفكرية لصاحبها؛ فصاحب الخلفية الداروينية رأى الظواهر الاجتماعية تحدث نتيجةً للتطور والصراع بين الجماعات، وأن البقاء للأقوى، وصاحب الخلفية الماركسية وجد المجتمعات تتشكل نتيجة الصراع الوظيفي، والذي انطلق من الدين والتاريخ توصل إلى فكرة التحدي والاستجابة، وصاحب النظرة الديكارتية بنى فكرة العقل الجمعي، والذي انطلق من النظرية البيولوجية رأى نشوء الحضارات يعتمد على قضية التعاقب الدوري لها .

ثالثاً - موضوع العمران في إطار الرؤية المقاصدية للقرآن

انطلاقاً من الإيمان بأن كل ما ورد في القرآن الكريم من الألفاظ والمعاني ليس عبثاً، وأنه لا يقتصر على ترشيد حياة الفرد الإنساني وصلاحه في الدنيا وحسن مصيره في الآخرة وحسب، وإنما كان بالإضافة إلى ذلك يعالج قضايا الحرية والعدل في حياة المجتمع والأمة، ويستهدف بناء الحضارة والعمران، وحفظ نظام العالم، تظهر الحاجة إلى الاهتمام بالمقاصد القرآنية، التي يكتشفها الباحث في البنية القرآنية من جهة، وفي الفطرة البشرية التي فطر الله عليها الفرد الإنساني والمجتمع البشري من جهة أخرى^(١)، كما يدعو الأمر إلى العمل على استكشاف المزيد من هذه المقاصد، وتبسيط الضوء على أهميتها، وتفعيلها في مختلف المجالات، وبلورتها في شكل منظومة تعين الفرد والمجتمع والأمة على تفحص طريق النهوض، ومن ثم الإسهام في بناء الحضارة الإنسانية على منهج رباني قويم.^(٢)

(١) ينظر: مقدمة كتاب مؤتمر مقاصد القرآن الكريم في بناء الحضارة والعمران، الأردن: المعهد العالمي للفكر

الإسلامي، مجلة إسلامية المعرفة، مقدمة العدد ٨٩، ٢٠١٧م، ص ٦٥، بتصرف

(٢) ينظر: مقدمة كتاب مؤتمر مقاصد القرآن الكريم في بناء الحضارة والعمران، مجلة إسلامية

المعرفة، المرجع السابق، العدد نفسه، ص ٧

وإن الاهتمام بالمقاصد الجامعة لا يعني الانصراف عن المقاصد الجزئية؛ فقد نبّه البقاعي إلى عدم الاستغناء بالمقصد الجامع عن المقصد الجزئي، فهما عنده متكاملان، حيث قال في سياق حديثه عن سورة الفاتحة: "هي جامعة لجميع معاني القرآن، ولا يلزم من ذلك اتحاد مقصودها مع مقصوده بالذات، وإن توافقا في المأل، فإنه فرق بين الشيء وبين ما جمع ذلك الشيء".^(١)

وبناء عليه ستعمل هذه الدراسة على سلوك النهج المقاصدي، الذي لا يقف عند ظاهر النصوص المنقولة، بل يراعي مقاصدها وفقاً لظروف الزمان والمكان والمصلحة العليا.

أ- تعريف مقاصد القرآن الكريم:

ابتغاء سير الدراسة وفق منهجية واضحة لا بد من تعريف "مقاصد القرآن" بداية، حيث تنوعت التعاريف، ويمكن اختيار تعريف عبد الكريم حامدي الذي وافقه عليه أحمد الريسوني، حيث قال عنها: "هي الأغراض العليا الحاصلة من مجموع أحكام القرآن"^(٢)، وكذلك عرض تعريف هيا ثامر مفتاح، حيث قالت في تعريفها: "الثمرات العامة، والأهداف الكلية، والغايات الجامعة التي تدل عليها جملة متعددة من الآيات القرآنية"^(٣)، ويمكن البناء على التعريفين السابقين للوصول إلى التعريف

(١) البقاعي، برهان الدين إبراهيم، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، تحقيق: عبد السميع محمد

أحمد حسين، الرياض: مكتبة المعارف، ط١، ١٩٨٨ م، ج١، ص ١٤٩

(٢) حامدي، عبد الكريم، مقاصد تشريع الأحكام، بيروت: دار ابن حزم، ط١، ٢٠٠٨ م، ص ٤٧، ذكرها ماهر حصوة في ورقته مقاصد القرآن الكريم في بناء الحضارة والعمران عند المعاصرين، في مجلة إسلامية المعرفة، العدد ٨٩، ص ١٥٩

(٣) مفتاح، هيا ثامر، مقاصد القرآن الكريم عند ابن عاشور، "مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر، عدد ٢٩، ٢٠١١ م، ص ٢٩.

المعتمد في هذه الدراسة؛ وهو: "الأهداف والغايات الكلية التي يدل عليها استقراء جملة الآيات القرآنية الدالة على موضوع معين".

ب- أهمية القراءة المقاصدية:

- ترسيخ المنهجية العلمية في قراءة القرآن، وفي ذلك قال طه جابر العلواني: المنهجية كناظم معرفي يرد الكثرة إلى الوحدة، والمتشابه إلى المحكم^(١)
- بلورة معالم المشروع الفكري في تدبر القرآن ومقاصده العليا المهيمنة على تراثنا ومناهج بحثنا، والمنشئة لأصول عالميتنا الثانية المرتقبة وعمراننا الحضاري المنشود.
- استرداد المنهج القرآني لمعالجة مشكلاتنا، وإعادة بناء الأمة، وفي هذا بين العلواني أن التجديد بكل أنواعه لن يتم دون الرجوع إلى القرآن المجيد، واسترداد المنهج القرآني في معالجة مشكلاتنا.^(٢)
- الوصول إلى كليات التشريع، وفي ذلك أكد ابن عاشور أن أعظم وظيفة للمفسر هي الوصول إلى كليات التشريع، وعاب على المفسرين انشغالهم بتقصي معاني القرآن عن انتزاع كليات التشريع.^(٣)
- صياغة تصور شامل عن القضية القرآنية المراد دراستها.
- فهم مرادات الوحي في العقائد والأخلاق والقيم والأحكام على نحو يستميل النفوس إلى حظيرة الإيمان.

(١) العلواني، طه جابر، مقاصد الشريعة، بيروت: دار الهادي للطباعة والنشر، ط ١، ٢٠٠١ م، ص ٤٨

(٢) ع شماوي، عماد الدين، مقال الكتروني: العلواني وبناء أمتنا بالقرآن، موقع نون بوست، ٢٠١٧/٣/٤، تاريخ الزيارة: ٢٠١٩/٨/٢٧ م.

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير، المقدمة الأولى ص ١٣

- وضع الأحكام القرآنية في سياقها العام ونصائها الصحيح.
- توجيه جهود التفسير نحو العلم المثمر للعمل، الذي يجعل المقاصد والحكم نصب عينيه.

ت- قواعد القراءة المقاصدية: ^(١)

- كلام الله معجز مقدس عن الزمان والمكان.
- كلام الله إلهي ديني وليس بشرياً.
- النص كتاب حياة ومنهج للتطبيق.
- القرآن كتاب لغوي يحتاج مهارات في اللغة العربية.
- كتاب الله متصل بالواقع.

ث- العُمران في القراءة المقاصدية:

يُعدّ العُمران مقصداً عالياً رئيساً في القرآن الكريم، لأنه يرتبط ببناء الإنسان، ودوره في تحقيق الاستخلاف عبر فعله البشري في مجالات الحياة كافة، وهذا ما يؤكده عمر عبيد حسنة بقوله: "موضوع القرآن صياغة الإنسان، ووظيفة الإنسان القيام بأعباء الاستخلاف والإعمار عن طريق اكتشاف سنن التسخير، وحسن التعامل معها، لذلك طلب القرآن: النظر، والتدبر، والملاحظة، والاختيار، وإدراك علل الأشياء، وأسبابها، وامتد إلى استشراف المستقبل كما قال الله تعالى: ﴿وَلِتَعْلَمَنَّ نَبَأُ بَعْدَ حِينٍ﴾ [ص: ٨٨]" ^(٢)، ويؤكد الأمر عبد المجيد النجار بقوله: "بناءً على قوله تعالى: ﴿... هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَأَسْنَعَمَرَكُم فِيهَا ...﴾ [هود: ٦١]، فإن الإنسان مكلف

(١) الدقور، سليمان، محاضرات مادة: منهجية البحث في التفسير، لمساق درجة الدكتوراه في الجامعة الأردنية، الفصل الدراسي الثاني ٢٠١٩ م.

(٢) حسنة، عمر عبيد، مقدمة: كيف نتعامل مع القرآن، لمحمد الغزالي، مصر: دار نهضة مصر للنشر، ط ١٤، ٢٠١٤ م، المقدمة، ص ٣٠.

بمهمة تعمير الأرض ...، وهو ما اقتضى أن يكون من مقاصد القرآن الكريم بيان هذه المهمة التي كلف بها الإنسان، وقد جاء البيان القرآني وافياً في هذا الشأن، ومفصلاً للعناصر الأساسية اللازمة للتعمير المنشود^(١).

ويشير محمد عمارة إلى دور المنهج القرآني في إفراز مقومات الحضارة والعمران، بقوله: "إن الخصيصة الموسوعية للمنهج القرآني بمثابة "النواة" أو "الحجر" الذي أُلقي به في "البحيرة" لتنداح من حوله الدوائر المتعددة والشاملة لكل مناحي الحياة ومقوماتها، لقد انداحت من حول هذه النواة كل مقومات الدين والدولة والثقافة والمدنية والحضارة ... وكل دوائر النور التي أضاءت حياة الإنسان الذي آمن بهذا القرآن الكريم"^(٢).

ج- الدوافع العمرانية في إطار القراءة المقاصدية :

لقد تبين أن القراءة المقاصدية توجه النظر إلى العمران باعتباره مقصداً عالياً من مقاصد القرآن، وأنها توضح أن الإنسان مكلف بمهمة العمران، وتفصل في العناصر الرئيسية اللازمة لقيامه بتلك المهمة، الأمر الذي يستدعي بيان دوافع تحقيقها، وذلك فيما يأتي:

- استحقاق رضا الله تعالى بالامتثال لتكليفه الذي ورد في قوله تعالى: ﴿... هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَأَسْتَغْمِرُكُمْ فِيهَا ...﴾ [هود: ٦١].
- تحقيق مراد الله من جعل الإنسان خليفة في الأرض، كما ورد في قوله تعالى: ﴿... إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ...﴾ [البقرة: ٣٠]، والقيام بالهدف من خلق الإنسان، وهو العبادة بمفهومها الشامل، كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

(١) النجار، عبد المجيد، مقاصد القرآن في بناء الفكر العمراني، مرجع سابق، ص ٧١

(٢) عمارة، محمد، روح الحضارة الإسلامية، القاهرة: دار النيل للطباعة والنشر، ط ٢، ٢٠١٣ م، ص ١٧٠

- الامتثال لأمر الله بقراءة كتابيه؛ المسطور والمنظور، المشار لها في قوله تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١].
- الحصول على الجزاء الأخروي الأوفى، بعد السعي والقيام بفروض العين وفروض الكفاية خلال المسيرة العمرانية ﴿وَأَنْ سَعْيُهُ سَوْفَ يَرَى﴾ ثم يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَى﴾ [النجم: ٤٠، ٤١].
- تحقيق الخيرية للناس، بإخراج الأمة المسلمة، بناء على قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ...﴾ [آل عمران: ١١٠].
- ارتفاع مكانة الأمة المسلمة بين الأمم.
- استغناء الأمة المسلمة عن الآخرين واكتفاؤها الذاتي.
- إمكانية القيام بواجب الدعوة حق القيام.
- تحقيق القوة، واستحقاق الانتصار على الأعداء.

الفصل الأول

دراسة العُمران في القرآن دلالةً ووروداً

يُعدّ هذا الفصل دراسة تأصيلية تأسيسية للموضوع، قوامها الدراسة اللغوية والسياقية للعُمران ومشتقاته ومقارباته في القرآن الكريم، بحيث يتم الولوج إلى الدراسة الموضوعية عبر أرضية صلبة، من وضوح دلالات المفاهيم.

المبحث الأول: الدراسة اللغوية والسياقية لمادة (عَمَرَ)

تعتمد الدراسة اللغوية للمادة على دراستها في لسان المعجم، أخذة بعين الاعتبار الدلالات المتنوعة، وتتابع تقاليب المادة وتطوّرها الدلالي، لتصل إلى تصور شامل ومحيط لمفهوم المادة، كما تعتمد الدراسة مراعاة الاستعمال القرآني في الكشف عن الدلالات المتنوعة لمشتقات المفردة حسب الورد^(١)، إضافة إلى الدلالات التي يكشف عنها السياق.

المطلب الأول: الدراسة المعجمية لمادة (عَمَرَ)

يهتم هذا المطلب ببيان أصل المادة المعجمي، والدلالات المتنوعة التي يشير لها المعنى، وكذلك بيان دلالات التقاليب، ويتأمل في الدلالات والتقاليب والتطور الدلالي ليحاول ردها لأصل المعنى.

(١) من مفهوم محتوى مادة: الدلالة اللغوية، النصيرات، جهاد، محاضرات في مساق الدكتوراه في الجامعة الأردنية، الفصل الدراسي الأول: ٢٠١٦م.

أولاً- المعنى المعجمي: ترجع مادة (عَمَرَ) إلى أصلين هما العلو والبقاء حسب رأي ابن فارس، حيث قال في كتاب المقاييس: "الْعَيْنُ وَالْمِيمُ وَالرَّاءُ أَصْلَانِ صَحِيحَانِ، أَحَدُهُمَا يَدُلُّ عَلَى بَقَاءٍ وَامْتِدَادٍ زَمَانٍ، وَالْآخَرُ عَلَى شَيْءٍ يَعْلُو، مِنْ صَوْتٍ أَوْ غَيْرِهِ." (١) وقد تنوعت دلالات هذه المادة عند أصحاب المعجمات على النحو الآتي:

الإصلاح – الذي هو ضد الخراب -: قال الخليل: "وَعَمَرَ النَّاسَ الْأَرْضَ يَعْمُرُونَهَا عِمَارَةً، وهي عامرة معمورة ومنها العُمُران، واستعمر الله النَّاسَ لِيَعْمُرُوها، والله أَعَمَرَ الدُّنْيَا عُمُرَانًا فَجَعَلَهَا تَعْمَرُ ثُمَّ يُخَرِّجُهَا" (٢)، وقال الأصفهاني: "الْعِمَارَةُ: نقيض الخراب" (٣)، وقال ابن دريد: "وَعِمَارَةُ الشَّيْءِ: إِصْلَاحُهُ... وتقول: عَمَرْتَ الْمَكَانَ أَعَمَرْتُهُ عِمَارَةً، إذا أَصْلَحْتَهُ" (٤)، وإن هذه الدلالة تبين البعدين؛ المادي والمعنوي للعمران، لأن إصلاح الأرض كما يتم بالزراعة والبناء وشق الطرقات، فإنه أيضاً يحتاج للإدارة والصبر في الإنجاز، وللتقوى والعدل في توزيع المنجزات، وقد استنبط منه البطيوي "البعد الرسالي الاستخلافي" (٥)

- الإقامة: قال ابن دريد: "عَمَرْنَا بِالْمَكَانِ نَعْمَرُ بِهِ، إذا أَقَمْنَا بِهِ" (٦)، وقال الزبيدي: "وَعَمَرَ بِالْمَكَانِ إِذَا أَقَامَ بِهِ"، والعامرُ: الْمُقِيمُ" (٧)، وهنا يتجلى البعد المادي المكاني للعمران.

(١) ابن فارس، مقاييس اللغة، ١٤٠/٤

(٢) الخليل، كتاب العين، ج ٢، ١٣٧

(٣) الراغب، أبو القاسم، ت ٥٠٢ هـ، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان الداودي، دمشق بيروت: دار القلم، الدار الشامية، ط ١، ١٩٩١ م، ٥٨٦/١

(٤) ابن دريد، أبو بكر، ت ٣٢١ هـ، الاشتقاق، بيروت: دار الجيل، ط ١، ١٩٩١ م، ص ١٤

(٥) البطيوي، سنن العمران البشري في السيرة النبوية، مرجع سابق، ص ١٠٠

(٦) ابن دريد، الاشتقاق، ص ١٤

(٧) الزبيدي، محمد الحسيني، ت ١٢٠٥ هـ، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، مادة عمر، ١٣/

- القبيلة العظيمة: قال الخليل: "والعِمارة: القبيلة العظيمة" ^(١)، وقال ابن فارس: "الحي العظيم يسمى عِمارة لما يكون ذلك من جلبة وصياح" ^(٢)، وقال ابن السكيت: "والعِمارة: الحيُّ العظيم يقومُ بنفسِه .. فمن فتح (العين) أرادَ التفافَ الحيِّ بعضِه على بعضٍ، ومن كسرَها جعله بمنزلة عِمارة المنزل؛ أي: عَمَرُوا الأرضَ، فهي لهم عِمارة" ^(٣)، إن ابن فارس رأى في الدلالة علوّاً حسيّاً ناتجاً عن علوّ الصوت، بينما رأى فيها ابن السكيت علوّاً مجازياً ناتجاً عن بناء اجتماعي؛ له شق معنوي يتمثل في التفاف الحيِّ، وشق مادي يتمثل في عِمارة المنزل، ويبدو أن الأولى هو اعتماد البعد البشري الإنساني.

- الحفظ: قال الزبيدي: "والعِمارة بِالْفَتْح: كُلُّ شَيْءٍ يَضَعُهُ الرَّئِيسُ عَلَى الرَّأْسِ مِنْ عِمَامَةٍ، أَوْ قَلَنْسُوَةٍ، أَوْ تَاجٍ، أَوْ غَيْرِهِ عَمَارَةً لِرِيَاسَتِهِ وَحِفْظاً لَهَا، كَالْعَمْرَةِ وَالْعِمَارِ، وَقَدْ اعْتَمَرَ، أَي تَعَمَّمَ بِالْعِمَامَةِ، وَيُقَالُ لِلْمُعْتَمِّ: مُعْتَمِرٌ" ^(٤)، ويبدو أن العمران سمي كذلك لما يحفظ به الإنسان والمجتمع من الفساد والخراب وهو البعد المقاصدي المصلحي _ كما أشار له البطيوي – ^(٥)

- الجمال: قال ابن دريد: "والعَمْرَة: خِرْزَةُ أَوْ لَوْلُؤَةٌ يُفَصَّلُ بِهَا نَظْمُ الدَّهَبِ، وَبِهِ سَمِّيَتِ الْمَرْأَةُ عَمْرَةً" ^(٦)، وهذه الدلالة تحمل البعد الجمالي.

(١) الخليل، العين، ١٣٧/

(٢) ابن فارس، مقاييس اللغة، ١٤١/٤

(٣) ابن السكيت، يعقوب بن اسحق، ت ٢٤٤ هـ، كتاب الألفاظ، تحقيق: فخر الدين قباوة، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٨ م، ص ٢٦

(٤) الزبيدي، تاج العروس، ١٣٠ / ١٣

(٥) البطيوي، سنن العمران في السيرة، مرجع سابق، ص ١٠٠ بتصرف

(٦) ابن دريد، الاشتقاق، ص ١٤

- الزمن: الحياة، قال الخليل: ""والْعُمْرُ عُمْرُ الْحَيَاةِ""^(١)، وإن هذه الدلالة واضحة الارتباط بالأصل الثاني الذي حدده ابن فارس وهو (الزمن)، وهو يمثل البعد الزمني اللازم لإنجاز الأعمال وتحقيق العمران.

- العبادة: قال ابن منظور: "عَمَرَ رَبَّهُ عَبْدَهُ، وَإِنِّ لَعَامِرٌ لِرَبِّهِ أَيَّ عَابِدٍ، ... يُقَالُ: رَجُلٌ عَمَّارٌ إِذَا كَانَ كَثِيرَ الصَّلَاةِ كَثِيرَ الصِّيَامِ. وَرَجُلٌ عَمَّارٌ، وَهُوَ الرَّجُلُ الْقَوِيُّ الْإِيمَانِ الثَّابِتُ فِي أَمْرِهِ"^(٢)، وقال ابن فارس: "اعْتَمَرَ الرَّجُلُ ذَا هَلٍّ عُمْرَتِهِ، ذَلِكَ رَفَعَهُ صَوْتَهُ بِالتَّلْبِيَةِ لِلْعُمْرَةِ"^(٣)، وفي هذه الدلالة يبدو البعد العبادي الشعائري.

- التحية: قال ابن فارس: "الْعَمَارُ: التَّحِيَّةُ، يُقَالُ عَمَّرَكَ اللَّهُ، أَيَّ حَيَّاكَ، ويجوز أن يكون هذا لرفع الصوت"^(٤)، وهنا يظهر بعد التواصل الاجتماعي.

- القصد: قال ابن منظور: "يُقَالُ لِلْأَعْتِمَارِ: الْقَصْدُ. وَاعْتَمَرَ الْأَمْرُ: أَمَّهُ وَقَصَدَ لَهُ"^(٥)، وهو معنى يمثل البعد القيمي الهادف – كما قال البطيوي-^(٦).

تبدو مادة (عَمَرَ) ومشتقاتها غنية بالمعاني التي تشكل منظومة العمران بما تحتويه من مقاصد، فالعمران إصلاح وإقامة وحفظ وعبادة وجمال وتواصل وقصد، في المكان والزمان، وهي مقاصد تحقق العلو المعنوي والمادي عبر الزمن، لذا يمكن الاجتهاد وجمع تلك الدلالات بتعبير يشير إلى المعنى اللغوي لمادة (عَمَرَ) هو (الْعُلُوُّ وَالْبَقَاءُ عِبْرَ امْتِدَادِ الزَّمَنِ).

(١) الخليل، العين، ١٣٧/٢

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم، ت ٧١١ هـ، لسان العرب، بيروت: دار صادر، ط ٣، ١٩٩١ م، ٦٠٦/٤

(٣) ابن فارس، مقاييس اللغة، ١٤١/٤

(٣) ابن فارس، مقاييس اللغة، المرجع السابق، نفس الصفحة

(٤) ابن منظور، لسان العرب، ٦٠٥/٤

(٥) البطيوي، سنن العمران في السيرة، ص ١٠٢

ثانياً – تقاليد المادّة:

بيّن الخليل تقاليد اللفظ، في باب العين والراء والميم معهما: ع ر م، ع م ر، ر ع م، م ع ر، ر م ع، م ر ع مستعملات^(١)، وتبعه ابن دريد، الأزهري، ابن منظور، والزبيدي، وغيرهم.

• التقليب الأول – عمر: وقد سبق ذكره

• التقليب الثاني – عَرَمَ: ومعناه الشدة والحدة، قال ابن فارس: "الْعَيْنُ وَالرَّاءُ وَالْمِيمُ أَصْلٌ صَحِيحٌ وَاحِدٌ، يَدُلُّ عَلَى شِدَّةٍ وَحِدَةٍ. يُقَالُ: عَرَمَ الْإِنْسَانُ يَعْرُمُ عَرَامَةً، وَهُوَ عَارِمٌ"^(٢).

• التقليب الثالث – رَعَمَ: ومعناه السيل، قال ابن فارس: "الرُّعَامُ: شَيْءٌ يَسِيلُ مِنْ أَنْفِ الشَّاةِ لِدَاءٍ يُصِيبُهَا، يُقَالُ مِنْهُ: شَاءَ رَعُومٌ"^(٣).

• التقليب الرابع – معر: ومعناه الملاسة، قال ابن فارس: "المِيمُ وَالْعَيْنُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى مَلَاَسَةٍ وَحَصٍّ وَانْجِرَادٍ. فَالْأَمْعَرُ وَالْمَعِرُ: الْأَمْعَطُ الَّذِي لَا شَعَرَ عَلَيْهِ".^(٤)، وقال الخليل: "مَعِرَ الظُّفْرُ مَعَرًا، إِذَا أَصَابَهُ شَيْءٌ فَتَصَلَ.. وَتَمَعَرَ لَوْنُهُ إِذَا تَغَيَّرَ"^(٥).

• التقليب الخامس – رمع: يدل على الاضطراب والحركة، قال ابن فارس: "الرَّاءُ وَالْمِيمُ وَالْعَيْنُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى اضْطِرَابٍ وَحَرَكَةٍ ... وَالرَّمَعَانُ: الْاضْطِرَابُ"^(٦).

(١) ينظر: الخليل، العين، ١٣٦/٢

(٢) ابن فارس، مقاييس اللغة، ٢٩٢/٤

(٣) ابن فارس، مقاييس اللغة، ٤٠٧/٢

(٤) ابن فارس، مقاييس اللغة، ٣٣٦/٥

(٥) الخليل، العين، ١٣٨/٢

(٦) ابن فارس، مقاييس اللغة، ٤٤١/٢

وقال الخليل: "زَمَعَ يَزْمَعُ زَمْعاً وَزَمَعَاناً وهو التحرك... والِرَّمَاعَةُ التي تتحرك من رأس الصبي المولود (من يافوخه من رقبته)" (١)

● **التقليب السادس – مرع:** يدل على الخصب والخير، قال ابن فارس: "المِيمُ وَالرَّاءُ وَالْعَيْنُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى خِصْبٍ وَخَيْرٍ، وَمرَعُ الْمَكَانُ، وَأمْرَعُ الْقَوْمُ: أَصَابُوهُ مَرِيعًا. وَأمْرَعُ الْوَادِي: أَكَلًا" (٢)، قال الخليل: "مرْعٌ يَمْرَعُ مُرْعاً وَالمَرْعُ الاسم، وهو الكلأ، ويقال: أرض مَرِعةٌ مُمرعة، مثل خَصِبةٍ مُخَصِبة، وَأمْرَعُ الْقَوْمُ: أَصَابُوا مَرْعاً" (٣)

دراسة التقاليب:

السؤال المطروح ماهي العلاقة بين هذه التقاليب؟ وهل يمكن إيجاد ما يجمعها دون تكلف؟ وما الفائدة المرجوة من إيجاد العلاقة بين تلك التقاليب؟
لدى دراسة التقاليب والتأمل في العلاقة بين أصولها: يتبين أنه يمكن إرجاعها إلى أصليين متضادين:

الأول: الخصب والخير (مرع): ويلحق بها الشدة والحدة (عمر)، العلو والبقاء (عَمَر)، باعتبارها تؤدي إلى الخصب والخير.

الثاني: الملاسة والانجراد

(معر): يلحق بها الاضطراب والحركة (رمع)، والسييل

(رعم) التي تؤدي للانجراد.

وكأن المادة اللغوية (ع م ر) تحمل في طياتها مقومات العمران ومعوّقاته معاً، فإذا كانت تبين دلالات الخير والعلو والبقاء، فكأنما أيضاً تشير إلى ما يقابل

(١) الخليل، العين، ١٣٩/٢

(٢) ابن فارس، مقاييس اللغة، ٣١٢/٥

(٣) الخليل، العين، ١٤٠/٢

العلو والبقاء وهو الدمار والانحسار والاضطراب، أي أسباب دمار العمران ومعوقاته.

ثالثاً – التطور الدلالي:

إن دراسة التطور الدلالي للكلمة يعد من لوازم دراسة الدلالة اللغوية، وذلك باعتبار أنه يبين الدلالات المستجدة للمفهوم، وإن مفهوم التطور الدلالي يتضح في قول المبارك: "التطور الدلالي هو تغيير معاني الكلمات، وإطلاق لفظ التطور على هذه الحالة لأنه انتقال بالكلمة من طور إلى طور"^(١)، لقد تطورت دلالات مادة (عمر) ومشتقاتها إلى عدة اتجاهات، أوردها المعجم الوسيط:^(٢)

• في علم الاجتماع: أصبح معنى (العمران) بعد دراسات ابن خلدون يرتبط بالاجتماع البشري، وفي ذلك ورد في المعجم الوسيط: "العمران" البنيان وما يعمر به البلد ويحسن حاله بوساطة الفلاحة والصناعة والتجارة وكثرة الأهالي ونجح الأعمال والتمدن، يقال استبحر العمران، والعدل أساس العمران، كما ورد عند ابن خلدون)، وبهذا يكون اللفظ قد اكتسب معنى يدل على علم جديد، وعلى نمط من الحياة بشكل عام.

• في الاحتلال العسكري: ظهر معنى (المستعمرة) باعتبارها إقليمياً يحكمه أجنبي يتوطنه أو الدولة المتبوعة إذا ضاق نطاقها بأهلها (محدث)، وهذا المفهوم أنشأه المحتل ليعطي صبغة شرعية لاحتلاله، وهو ما خرج بالمصطلح عن سياقه.

• في علوم الأحياء الدقيقة: ظهر معنى (المستعمرة) مجموعة من الخلايا تعيش مجتمعة منغرفة في مادة مخاطية، وهذا تطور حسي علمي للمصطلح.

(١) مبارك، محمد، فقه اللغة وخصائص العربية، دمشق، دار الفكر، ط٢، ١٩٦٤م، ص ٢٠٧

(٢) ينظر: مصطفى، إبراهيم، وآخرون، مجمع اللغة العربية، كتاب المعجم الوسيط، الاسكندرية، دار الدعوة، بدون تاريخ، ٦٢٧/٢

- في الهندسة: (المعماري) المهندس الذي يمارس مهنة العمارة (محدثة)، وهذا تطور دل على مهنة.
- في عمارة الأرض: (المعمورة) الدار المبنية والدار المسكونة، وتطلق على ما عمر من الأرض، كما يطلق عليه مصطلح "عُمران الأرض"، "عُمران البلاد": بنائها، "مررنا في الطريق على قنوات... وآثار وعمران عظيمة مهدمة"^(١). يبدو أن التطور الدلالي للمادة قد شكل منظومة اجتماعية علمية مهنية، وإن جميع الدلالات الناتجة عن التطور الدلالي أخذت منحىً حسيّاً مادياً، سائر تطور العلوم المادية، عدا ما ورد عند ابن خلدون، فإنه اتخذ منحى مادياً ومعنوياً.

المطلب الثاني: دراسة دلالات مادة (عَمَرَ) في الاستعمال القرآني

بناءً على مقومات فهم النص القرآني - السابق ذكرها^(٢)، وانطلاقاً من المقوم الأول فيها وهو (اللغة)، يحسن البدء بدراسة موضوع العمران في القرآن من خلال الاستنطاق اللغوي للنص، بدءاً من المفردة القرآنية لمادة الدراسة (عَمَرَ).

أولاً - ورود العمران في النص القرآني:

إن لفظ (العُمران) باعتباره مصدراً لم يرد في القرآن، ولكن وردت مشتقاته، وما يدل عليه، حيث وردت المشتقات سبعة وعشرين مرة، في تسعة عشر موضعاً، توزعت على خمس عشرة سورة من القرآن: أربع سور مدنية هي: البقرة، وآل عمران، والتوبة، والتحريم، وتسع سور مكية، وهي: يونس، وهود، والحجر، والنحل، والأنبياء، والشعراء، والقصص، والروم، وفاطر، وياسين، والطور.

(١) أبو العزم، عبد الغني، معجم الغني، موقع الموسوعة القرآنية، ص ١٨٤٩٥

(٢) سبق ذكرها في التمهيد، عند بيان مفاهيم الدراسة، ص ٢٤.

وقد وردت المشتقات ست مرات بصيغة فعل، وسبع مرات بصيغة اسم، وذلك وفق ثلاث عشرة صيغة صرفية: (عِمران، وعمرة، واعتمر، ويعمُر، ويعمُروا، والمعمور، واستعمر، وعِمارة، ونعمِر، وعَمُر، وعُمُر، ويُعمَر، ومُعَمِّر)، وجاء ورودها في ثماني دلالات متداخلة: اسم علم، ونسك العمرة، وعمران المساجد، والبيت المعمور، وعمران الأرض، والإقامة والاستقرار، والحياة، والزمن.

على صيغة اسم علم "عِمران" (ثلاث مرات)

لقد وردت مادة (عَمَرَ) على صيغة اسم علم "عِمران" في مواضع ثلاث:

﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٣٣]، ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي﴾ [آل عمران: ٣٥]، ﴿وَمَرْيَمَ أَبْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا الْإِيمَانُ﴾ [التحریم: ١٢].

ولدى البحث عن دلالة اسم العلم (عِمران) في القرآن لم أقف عند المفسرين أو الباحثين على إشارات حول دلالاته، وعلى افتراض أن اسم العلم في القرآن يحمل دلالة ومعنى مقصوداً^(١)، فإن الاسم في هذا المقام يرتبط بأصل المادة بمعنى العلو على مدى الزمن، وإن ورود المادة على الصيغة الصرفية (فِعْلان) يدل على المبالغة في ذلك العلو، كذلك ورودها دوماً في محل مضاف إليه يدل على النسبة والإسناد^(٢).

(١) دلالة اسم العلم في القرآن أمر مختلف فيه بين العلماء، لذا فإن الدراسة تطرحه كفرضية، وتنتظر في إمكان إثباتها.

(٢) الكلابي، مكي، وآخرون، الإضافة في اللغة العربية دراسة تركيبية دلالية، مجلة جامعة كربلاء العلمية، المجلد السابع، العدد الثاني، إنساني/ ٢٠٠٩م، ص ١- بتصرف

دلالة نسك "العمرة - اعتمر" (ثلاث مرات)

﴿... فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا...﴾ [البقرة: ١٥٨]، ﴿وَاتِمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ... فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ...﴾ [البقرة: ١٩٦].

إن كان لفظ (العمرة) قد اكتسب دلالاته اللغوية المعجمية من علو الصوت بالتلبية كما بين ابن فارس^(١)، فإن الممارسة العملية تكسب اللفظ دلالة إضافية، فإن نسك العمرة الذي يتم في سائر أيام العام، يبقى المسجد الحرام عالياً عامراً بالمعتمرين، ومعموراً بهم على مدار العام، فيحقق عمران المكان، ويرجى منه عمران القلوب، وفي ذلك قال الراغب في المفردات: «الاعتمار

والعمرة: الزيارة التي فيها عمارة الود، وجعل في الشريعة للقصود المخصوص»^(٢)

عُمران المساجد: وردت (ثلاث مرات)

﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُتَهْدِينَ﴾ ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: ١٧-١٩].

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ١٤١/٤

(٢) الراغب، المفردات، ٥٨٦/١

وردت المادة في الآيات مرتين بصيغة فعل (يعمروا، يعمرون)، ومرة بصيغة اسم (عمارة)، وبما أن دلالة الاسم ثبات المعنى، ودلالة الفعل تجدد المعنى شيئاً بعد شيء - كما سبق ذكره - فإن ورود المادة في صيغتي الاسم والفعل يدل على الثبات وعلى التجدد معاً.

تبين الآيات أن مفردات مادة (عَمَرَ) فيها وردت بدلالات معنوية ومادية، المعنوية كما في (يعمروا، يعمرون)، وفي هذا قال ابن عاشور يصف الحال المعنوية للكافرين: "وقد جاء الحال في قوله: ﴿شُهَدَايْنِ عَلَىٰ أَنْفُسِهِم بِالْكَفْرِ﴾ مبيناً لسبب براءتهم من أن يعمروا مساجد الله، وهو حال من ضمير يعمروا، فبين عامل الضمير وهو يعمروا الداخل في حكم الانتفاء، أي: انتفى تأهلهم لأن يعمروا مساجد الله بحال شهادتهم على أنفسهم بالكفر"^(١)، كما وردت بدلالة مادية كما في (عمارة)، وفي ذلك قال الراغب: "إما من العمارة التي هي حفظ البناء"^(٢)، وقال ابن عاشور: "وَكَذَلِكَ (الْعِمَارَةُ) صِنَاعَةُ التَّعْمِيرِ، أَيِ الْقِيَامِ عَلَى تَعْمِيرِ شَيْءٍ، بِالْإِصْلَاحِ وَالْجِرَاسَةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ"^(٣)، مما يبين أن العمران المعنوي في قوله تعالى ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ﴾ يختلف عن العمران المادي في سياق آية ﴿أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَجَهْدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ...﴾، وأن العمران المعنوي هو الذي يحقق القيم الإيمانية، أما العمران المادي - وإن كان ضرورياً ومطلوباً - لا يكفي وحده، ولا يرتقي إلى مرتبة صناعة العمران المعنوي.

البيت المعمور: وردت (مرة واحدة)

﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾ [الطور: ٤-٥].

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٤٠/١٠

(٢) الراغب، المفردات، ٥٨٦/١

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٤٣/١٠

البيت المعمور هو الكعبة حسب ما أورده ابن عاشور عن الحسن، حيث قال: "والبيت المعمور: عن الحسن أنه الكعبة وهذا الأنسب بعطفه على الطور"^(١)، وقد ورد لفظ "المعمور" على صيغة اسم (مفعول) للدلالة على الاستمرار والدوام، وقد بين ابن عاشور سبب إطلاق صفة "المعمور" بدليل عمران الكعبة بالطائفين، وذلك بقوله: "وهو معمور لأنه لا يخلو من طائف به، وعمران الكعبة هو عمرانها بالطائفين"^(٢).

عمارة الأرض (ثلاث مرات)

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا...﴾ [الروم: ٩]، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُهَا أَصْحَابُهَا قَالُوا يَبْقَىٰ عِزُّ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا...﴾ [هود: ٦١].

جاء ذكر العُمران في آية سورة الروم بصيغة الفعل الماضي للدلالة على حدث مرتبط بزمن مضى، وجاء الفاعل ضمير جمع غائب للدلالة على أقوام مضوا، وقد أشارت الآية إلى عُمران مادي متقدم يدل على الإقامة والاستقرار في الأرض والتفاعل معها بفلاحتها وزراعتها واستخراج كنوزها، قال ابن عاشور: "ومعنى عمارة الأرض: جعلها عامرة غير خلاء وذلك بالبناء والغرس والزرع.. وضميرا جمع المذكر في قوله: وعمروها أكثر مما عمروها راجع أولهما إلى ما رجع إليه ضمير أثاروا وثانيهما إلى ما رجع

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٣٨/٢٧، وقد قيل إنه بيت في السماء تعمره الملائكة، ينظر: الطبري، تفسير الطبري: ٤٥٤/٢٢، الرازي، التفسير الكبير: ١٩٨/٢٨، أبو حيان، البحر المحيط: ٥٦٧/٩، وغيرهم، وترجيح ابن عاشور بدليل السياق واللغة.

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٣٩/٢٧

إليه ضمير يسيروا في الأرض".^(١) وجاء ذكر العُمران في سورة هود بصيغة الفعل الماضي ليدل على زمن ماضي لكنه مستمر ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾، قال الشعراوي في ذلك: "﴿واستعمركم فيها﴾ أي: طلب منكم عمارتها، وهذا يتطلب أمرين اثنين: أن يبقى الناس الأمر الصالح على صلاحه، أو يزيده صلاحاً".^(٢)

العُمر بدلالة الحياة (مرة واحدة):

﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢].

مادة عَمَرَ في هذه الآية تدل على البقاء، قال أبو حيان: "والعمر: بفتح العين وضمها (البقاء)"^(٣)، وفي الآية قسم من الله تعالى بحياة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، قال الزمخشري: "وقيل: الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنه أقسم بحياته وما أقسم بحياة أحد قط كرامة له، والعمر واحد، إلا أنهم خصوا القسم بالمفتوح لإيثار الأخف فيه، وذلك لأن الحلف كثير الدور على ألسنتهم، ولذلك حذفوا الخبر، وتقديره: لعمرك مما أقسم به"^(٤).

العُمر بدلالة الزمن (ثلاثة عشر مرة)

وردت مادة (عمر) خمس مرات بصيغة الفعل المضارع، في ثلاث صور (يَعْمَرُ، ونعمركم، ونعمره)، مما يدل على استمرار الأمر وتكرره عبر العصور: ﴿... يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعْمَرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرْجَاهِ ۚ مِنْ الْعَذَابِ أَنْ يُعْمَرَ ۖ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٩٦]، ﴿... وَمَا يُعْمَرُ مِنْ مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمْرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ ...﴾ [فاطر: ١١]، ﴿... أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن

(١) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٥٧/٢١

(٢) الشعراوي، تفسير الشعراوي، ٦٣٠ / ١١

(٣) أبو حيان، البحر المحيط، ٤٩٠ / ٦

(٤) الزمخشري، الكشاف، ٥٨٥ / ٢

تَذَكَّرْ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ... ﴿[فاطر: ٣٧]، ﴿وَمَنْ نَعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ [يس: ٦٨].

كما وردت ثمانى مرات بصيغة الاسم، في خمس صور (عُمْرًا، والعُمُر، ومَعْمَر، وعُمْرُكَ، وعُمْرِهِ) مما يدل على ثبات القضية مع تغيّر الأقسام، منها ما ارتبط بموسى عليه السلام: ﴿... فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ١٦]، ﴿... وَلَبِثْتَ فِينَا مِّنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٨] وفيه دلالة على بقائه عليه الصلاة والسلام بين قومه قبل أن ينزل عليه الوحي، ومنها ماورد مضافاً إليه ﴿... وَمِنْكُمْ مَّن يُّرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا ...﴾ [النحل: ٧٠]، ﴿... وَمِنْكُمْ مَّن يُّرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ...﴾ [الحج: ٥]، ومنها ما دل على العُمُر مطلقا ﴿... وَمَا يُعَمِّرُ مِنْ مُّعَمَّرٍ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عُمُرِهِ ۖ إِلَّا فِي كِتَابٍ ...﴾ [فاطر: ١١]، ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ...﴾ [الأنبياء: ٤٤].

تحليل دلالات الدراسة اللغوية لمادة (عَمَرَ):

- الدراسة المعجمية لمادة عَمَرَ بينت أن المعنى اللغوي لها هو العلو والبقاء عبر امتداد الزمن، وإن تقاليها تحمل معنيين متضادين: هما (الخصب والخير)، و(الملاسة والانجراد)، وهي تحمل إشارات لمقومات العمران ومعوقاته معاً، كما أن التطور الدلالي يوضح أنها اقتربت من معنى الحضارة الذي يدور حول حركة وتشديد تحت مظلة العدل، بمعنى أنها اكتسبت دلالة مادية وأخرى معنوية.

- حجم الورد في الاستعمال القرآني بين أن نسبة حضورها في السور المكية تزيد عن نسبة حضورها في السور المدنية بأكثر من أربعة أضعاف، وهو ما يشير إلى الأبعاد العقيدية والقيمية والاستخلافية لمصطلح العمران، كذلك فإن الورد في

السور المدنية يدل على ضرورة وجود منظومة حضارية متكاملة لبناء المجتمع وتحقيق عمرانته.

- دلالات الاستعمال القرآني بيّنت أنها حملت المعنى اللغوي في العلو (الحسي أو المجازي)، أو في البقاء أو في كليهما معاً، فنسك العمرة، وعمران المساجد، والبيت المعمور، وعمران الأرض، تحمل دلالة العلو والبقاء، أما الإقامة والاستقرار، والحياة، والزمن، فإنها تحمل دلالة البقاء، وإن ذلك العلو يدل على المقاصد والقيم العليا في إصلاح الأرض، وفي ذلك قال ملكاوي: "وما يقابل العمران في اللفظ القرآني هو الفساد والقتل، وسفك الدماء، والهدم والتدمير، والهواء، والخواء، والخراب؛ إذ وردت جميع هذه الألفاظ في القرآن الكريم، في مقابل بقاء الحياة واستمرارها على السنن والقوانين الجارية، وبقاء المساجد عامرة بالعابدين الذين يذكرون الله، وانتظام الحياة على هديه سبحانه" ^(١)

المطلب الثالث: الدراسة السياقية لمادة (عَمَرَ) في القرآن

سبق البيان أن المادة وردت وفق ثلاث عشرة صيغة صرفية: (عُمران، وعُمرّة، واعتمر، ويعمُر، ويعمُروا، والمعمور، واستعمر، وعمارة، ونعمّر، وعمر، وعُمِر، ويُعمَّر، ومُعَمِّر)، وجاء ورودها في ثماني دلالات متداخلة: اسم علم، ونسك العُمرة، وعُمران المساجد، والبيت المعمور، وعُمران الأرض، والإقامة والاستقرار، والعُمَر (الحياة، الزمن).

(١) ملكاوي، فتحي، منظومة القيم العليا، مرجع سابق، ص ١٣١

الدراسة السياقية لورود اسم العلم "عمران":

ورد اسم العلم (عمران) ثلاث مرات، مرتين في سورة آل عمران، ومرة في سورة التحريم، قال تعالى في السورة الأولى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٣٣]، وقال: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي...﴾ [آل عمران: ٣٥]، حيث نجد أن اسم العلم (عمران) ورد في الآية الأولى في سياق بيان مكانة آل عمران بين العالمين باعتبارهم حلقة في سلسلة النبوة الثابتة على المنهج، بينما الآية الثانية تعرض قصة آل عمران، وبما أن القصص تساق بالقدر وبالأسلوب الذي يركز الحقائق موضوع السورة بما يبرزها ويحييها، كما قال سيد قطب^(١)، وبما أن سورة آل عمران تدور حول قضية الثبات على المنهج في العقيدة، وفي مواجهة أهل الكتاب وفي التطبيق العملي، كما تم الاستنتاج من كلام سيد^(٢)، فإن قصة آل عمران تبين ثبات امرأة عمران على الإيمان، ذلك الثبات الذي ظهر في نذرها وتقديم ما في بطنها خدمة لدين الله، وفي هذا قال سيد: "إن قصة النذر تكشف لنا عن قلب «امرات عمران» - أم مريم - وما يعمره من إيمان، ومن توجه إلى ربها بأعز ما تملك، وهو الجنين الذي تحمله في بطنها، خالصاً لربها، محرراً من كل قيد ومن كل شرك ومن كل حق لأحد غير الله سبحانه"^(٣)،

(١) ينظر: قطب، سيد، ت ١٣٨٦ هـ، تفسير: في ظلال القرآن، القاهرة: دار الشروق، بدون تاريخ، ٣٩٠/١، بتصرف.

(٢) ينظر: سيد، في ظلال القرآن، ٣٥٧/١ - ٣٥٨، قال سيد: "أول هذه الخطوط بيان معنى «الدين» ومعنى «الإسلام»، توحيد الألوهية، وتوحيد القوامة، ... أما الخط الثاني الذي يركز عليه سياق السورة فهو تصوير حال المسلمين مع ربهم واستسلامهم له، وتلقينهم لكل ما يأتيهم منه بالقبول والطاعة والاتباع الدقيق".

(٣) قطب، سيد، في ظلال القرآن، ٣٩٢/١

إذن الموضع الأول كشف مكانة آل عمران واصطفاءهم في صف الأنبياء، والآية الثانية بينت سبب ذلك الاصطفاء، وهو ثبات امرأة عمران وتقديمها لما في بطنها محرراً لله، وقد ورد الموضع الثالث في سورة التحريم: ﴿وَمَرِّمَ أَبْلَتْ عِمْرُنَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا ...﴾ [التحريم: ١٢]، حيث بينت الآية السبب الذي أهل ابنة عمران للمكانة المميزة عند الله، وهو قيمة العفة، وإذا علمنا أن محور سورة التحريم هو معالم وهدايات في تربية الأسرة المسلمة^(١)، يتبين ارتباط قيمة العفة في بناء الأسرة، ويتبين دور الأسرة المسلمة في صناعة العمران، وكأن الآيات تلخص سيرة أسرة لها من اسمها نصيب، أسرة أسهمت في صناعة العمران، تجلى فيها دور المرأة، وارتفعت فيها قيمة العفة، مما سيكون له دور ضمن دراسة موجّهات العمران لاحقاً.

الدراسة السياقية لورود نسك العمرة:

سبق البيان أن نسك العمرة ورد ذكره ثلاث مرات في موضعين في سورة البقرة، ويلاحظ أن الموضع الأول ورد في سياق محاجة أهل الكتاب والمشرّكين في أمر القبلة، بهدف إزالة تردد واضطراب بعض المسلمين في أمر السعي بين الصفا والمروة وذلك عام حجة الوداع^(٢): ﴿... فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ...﴾ [البقرة: ١٥٨]، بينما جاء الموضع الثاني في سياق ذكر أحكام عبادة الحج ﴿وَاتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ... فَمَنْ تَمَنَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ...﴾ [البقرة: ١٩٦]، وبما أن نسك العمرة الذي يتم في سائر أيام العام، يبقى المسجد الحرام عامراً بالمعتمرين، ومعموراً بهم على مدار العام،

(١) مسلم، مصطفى، ت ١٤٤٢ هـ، التفسير الموضوعي لسورة التحريم، شبكة الألوكة، آفاق الشريعة، دراسات شرعية، تاريخ الإضافة: ٢٠١٢/١٢/١٦، تاريخ الزيارة: ٢٠٢٠/٢/٣ م.

(٢) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٥٨/٢

فيحقق عُمران المكان، ويرتجى منه عُمران القلوب - كما سبق ذكره -، فإن الارتباط مع السياق يبين أهمية إزالة الشك والاضطراب في بيان أحكام العبادات لتحقيق العمران المعنوي، وباعتبار أن المحور الرئيس في سورة البقرة هو الاستخلاف في الأرض بمنهج الله تعالى^(١)؛ يتبين أن ورود نسك العمرة في السورة يدل على أن عُمران الحرم بالمعتمرين وعُمران قلوبهم بالعبادة وفق أحكام المنهج الرباني ضرورة لتحقيق الاستخلاف في الأرض.

الدراسة السياقية لورود عُمران المساجد:

ورد ذكر عُمران المساجد ثلاث مرات في ثلاث آيات متتالية في سورة التوبة:

﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِم بِالْكَفْرِ...﴾ ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُتَّحِدِينَ﴾ ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ...﴾ [التوبة: ١٧-١٩].

لقد فصلت الآيات قضية عمارة المساجد المعنوية والمادية، فبينت أن العمران المعنوي كما في (يَعْمُرُوا ، يَعْمُرُ) لا يمكن أن يقوم به الكافرون، وفي هذا قال سيد: "إن العبادة تعبير عن العقيدة، فإذا لم تصح العقيدة لم تصح العبادة، ولا أداء الشعائر، وعمارة المساجد ليست بشيء ما لم تعمّر القلوب بالاعتقاد الإيماني الصحيح، وبالعمل الواقع الصريح، وبالتجرد لله في العمل والعبادة على السواء" (٢).

(١) ينظر: البقاعي، نظم الدرر، ١/ ٥٦٠.

(٢) سيد، في ظلال القرآن، ٣/ ١٦١٤.

كما وردت بدلالة مادية كما في (عمارة)، بينت أن عمارة المساجد المادية قد يقوم بها غير المؤمنين ولكنها لاتعادل القيم الإيمانية، وليست مؤشراً على عمران الأرض، قال سيد: "فما يجوز أن يُساوى الذين كانوا يعمرّون الكعبة ويسقون الحجيج في الجاهلية، وعقيدتهم ليست خالصة لله، ولا نصيب لهم من عمل أو جهاد، لا يجوز أن يساوى هؤلاء - لمجرد عمارتهم للبيت وخدمتهم للحجيج - بالذين آمنوا إيماناً صحيحاً وجاهدوا في سبيل الله وإعلاء كلمته: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ...﴾ [التوبة: ١٩]"^(١).

وبما أن سورة التوبة مدنية من أواخر ما نزل من القرآن^(٢)، وبما أنها احتوت قضايا نهائية في العلاقات بين الأمة المسلمة وسائر الأمم في الأرض، كما تضمنت تصنيف المجتمع المسلم ذاته، وتحديد قيمه ومقاماته، كما قال سيد^(٣)، لذلك فإن التمييز بين من يقومون بالعمران المادي بمرجعيات غير إيمانية، وبمن يقومون به بمرجعيات إيمانية، يعدّ أساساً في تصنيف فئات المجتمع المسلم، كما يعد العمران المعنوي الإيماني أساساً في حسن البناء المادي.

الدراسة السياقية لورود البيت المعمور:

ورد ذكر البيت المعمور في سورة واحدة هي سورة الطور ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ [الطور: ٤]. الورود جاء في سياق القسم بآيات ومقدسات في الأرض والسماء: ﴿وَالطُّورِ﴾ وَكُتِبَ مَسْطُورٌ فِي رَقٍّ مَّنْشُورٌ ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ [الطور: ١-٦] وإن اختيار صفة (المعمور) للبيت فيها إشارة إلى مكانة العمران عند الله، حتى يربط بينها

(١) سيد، في ظلال القرآن، المرجع السابق، ذات الصفحة

(٢) ينظر: السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م، ٤٣/١

(٣) سيد، في ظلال القرآن، ١٦١٤/٣

وبين البيت المقدس، وحتى يدرجها في سياق القسم، ولما كان مقصود سورة الطور تحقيق وقوع العذاب بالقسم - كما قال البقاعي -^(١)، ولما كانت السورة تمثل حملة عميقة التأثير في القلب البشري، ومطاردة عنيفة للهواجس والشكوك والشبهات والأباطيل التي تساوره، ودحض كل حجة قد تُتخذ للحيد عن الحق والزيغ عن الإيمان - كما قال سيد -^(٢)، فإن ورود قضية القسم بالبيت المعمور في سياق السورة يحمل إشارات حول أهمية عمران البيت المادي المتمثل في عمران المكان، والعمران المعنوي المتمثل في عمران القلوب والمجتمعات.

الدراسة السياقية لورود عمارة الأرض:

وردت مادة العمران بدلالة عمارة الأرض ثلاث مرات في موضعين، الموضع الأول في سورة الروم: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الروم: ٩]، لقد جاء سياق الآية يوجه النظر إلى الظواهر التاريخية والاجتماعية، بما يدل على أن قيام العمران المادي المتقدم يحتاج إلى الإقامة والاستقرار في الأرض والتفاعل معها بفلاحتها وزراعتها واستخراج كنوزها، ولكنه لا يستمر إن لم يركز على دراسة التاريخ والاعتبار به، وإن لم يرتبط بالقضايا الإيمانية والمعنوية، يقول سيد في هذه الآية عن الأقوام الذين عاشوا قبل جيل المشركين في مكة: "فقد كانوا أكثر حضارة من العرب، وأقدر منهم على عمارة الأرض ﴿وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾، ثم وقفوا عند ظاهر الحياة الدنيا لا يتجاوزونه إلى ما وراءه ﴿وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾، فلم تتفتح بصائرهم

(١) ينظر: البقاعي، مصاعد النظر، ٢٨/٣

(٢) ينظر: سيد، في ظلال القرآن، ٣٣٩١/٦

لهذه البينات، ... فمضت فيهم سنة الله في المكذبين ولم تنفعهم قوتهم ولم يغن عنهم علمهم ولا حضارتهم ... ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^(١)،

وبالنظر إلى مقاصد سورة الروم يتبين أنها تعالج قضية مقومات استمرار الوجود الجمعي من خلال حسن العلاقات الاجتماعية الفرعية الأسرية والإنسانية، ومن خلال مراعاة الفطرة البشرية، ومن خلال النظر إلى السنن الكونية^(٢)، لذا نجد التناسب وثيقاً بينها وبين قضية العمران، باعتبارها تشير لقضايا تعد من مقومات العمران.

ورد الموضع الثالث في سورة هود ﴿وَالِئِنْ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَقَوْمِ آعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ [هود: ٦١]، سياق الآية يدل على أن استعمار الأرض مقصد رباني مرتبط بقضية الاستخلاف ﴿وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾، وقد بين سيد الربط بين العمران وبين الاستخلاف بقوله: "استخلفهم الله فيها ليعمرها، استخلفهم بجنسهم واستخلفهم بأشخاصهم بعد الذاهبين من قبلهم."^(٣)، وقد سبق ذكر قول الشعراوي حول معنى الاستعمار^(٤)، وإن السياق الخاص يبين أن ذلك الاستعمار مرتبط بمظلة الإيمان والتوحيد، بدليل قوله تعالى: ﴿قَالَ يَقَوْمِ آعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾، وبدليل: ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ﴾، وذلك باعتبار أن الاستغفار

(١) سيد، في ظلال القرآن، ٢٧٦٠/٥

(٢) تم اعتبار هذا المقصد باجتهاد في الدراسة، بعد الاطلاع على ما أورده سيد في تفسيره، واستخلاص ذلك المقصد من مجمل كلامه. ينظر: في ظلال القرآن: ٢٧٥٥/١ / ٥

(٣) سيد، في ظلال القرآن، ٧-١٩ / ٤

(٤) الشعراوي، تفسير الشعراوي، ٦٥٢٩ / ١١، ٦٥٣٠. قال الشعراوي: "معنى كلمة «استعمار» هو طلب التعمير، ﴿وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ أي طلب منكم عمارتها، وهذا يتطلب أمرين اثنين: أن يبقى الناس الأمر الصالح على صلاحه، أو يزيدوه صلاحاً."

يحمل فكرة المنهجية في التغيير والإصلاح، لأنه يعني العزم على التصحيح واستدراك ما فات والبقاء على نهج الإصلاح في النفس والمجتمع، كما قالت رقية العلواني^(١).

الدراسة السياقية لورود مادة عَمَرَ بدلالة الزمن والحياة:

قد يتبادر إلى الذهن أن سياقات ورود الزمن لا علاقة لها بالعمران، ولكن بالنظر إلى أن الزمن من لوازم تحقيق العمران ومن لوازم دوامه، وإن (العمر) هو من مشتقات مادة (عَمَرَ)، يجدر دراسته ضمن سياقاته القرآنية،

ولدى تأمل سياق الآيات التي احتوت على ذكر العُمَر بدلالة الزمن يظهر أن دلالاته التي ترتبط بالعمران هي التي تدل على البقاء زمنياً طويلاً في الدنيا دون القيام بالعمران المطلوب، واستحقاق العذاب في الآخرة بسبب التفریط بالمنهج وعدم الإيمان، وذلك في سور: البقرة، والأنبياء، والقصص، وفاطر. أربع مرات.

يلاحظ أن سياق الورود في سورة البقرة خاص ببني إسرائيل كأفراد فرطوا بالمنهج رغم إمكانية طول البقاء، فلا يعد طول بقائهم في الدنيا سبباً لنجاتهم في الآخرة: ﴿... يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحَّزَجٍ - مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ...﴾ [البقرة: ٩٦]، كما أن طول بقائهم لم يساعدهم في عمران الأرض، ولا في تحقيق دورهم في قضية الاستخلاف التي تدور حولها سورة البقرة.

الورود في سورة الأنبياء أشار إلى كيانات جمعية متلاحقة، ركنت إلى متاع الحياة الدنيا بما سمح الله به، واتخذت آلهة من دون الله، فكان العقاب لهم في الدنيا قبل الآخرة، ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ...﴾ [الأنبياء: ٤٤]، قال البقاعي فيهم: "فكان طول سلامتهم غاراً لهم بنا، فظنوا أنه لا

(١) تسمع: العلواني، رقية، الاستغفار بداية منهج تغيير وإصلاح، مقطع في موقع اليوتيوب، ٢٠٢٠/١٠/١٥

د. رقية العلواني a=ch?v=٢٤USP٥fOwP٠&ab_channel

يغلبهم على ذلك التمتع شيء، ولا ينزع عنهم ثوب النعمة"^(١)، فالحديث عن كيانات جمعية تعرضت لتلك الرسائل، ولكنها غفلت عن المنهج وركنت إلى المتع، فاختل ميزان العمران لديها، وإن حالتها تلك تمثل أحد العوائق المعنوية للعمران في المجتمعات عبر العصور.

وكذلك الورد في سورة القصص يبين الأثر السلبي لتطاول العمر على مجتمعات نسيت المنهج: ﴿وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ...﴾ [القصص: ٤٥]، قال ابن عاشور في تفسير هذه الآية: "ولكن الله أنشأ قرونا أي أمما بين زمن موسى وزمنهم، فتطاول الزمن فنسي المشركون رسالة موسى فقالوا ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة، وحذف بقية الدليل وهو تقدير: فنسوا، للإيجاز لظهوره من قوله فتطاول عليهم العمر"^(٢)، ولما كان مقصود سورة القصص هو الاعتبار^(٣)؛ كانت قضية نسيان المنهج نتيجة تطاول العمر من أهم عوائق العمران المعنوية. اين سورة فاطر

تحليل الدراسة السياقية لمادة عَمَرَ كاملة :

لقد بينت الدراسة السياقية لمواضع ورود مادة (عَمَرَ) أن الآية المحورية في الموضوع هي آية: ﴿... هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا...﴾ [هود: ٦١]، وبينت أن ذلك الاستعمار يشمل الإصلاح المادي والمعنوي للأرض، وأنه يقوم به الأفراد

(١) البقاعي، نظم الدرر، ١٢/٤٢٦

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٠/١٣١

(٣) اورد البقاعي في مصاعد النظر أن مقصود السورة هو التواضع لله ٢/٣٣٨- وورد في سياق كلام سيد في الظلال في مقدمة السورة: "وكلها تؤكد العبر المستفادة من القصص، وتساوقها وتناسق معها وتؤكد سنة الله التي لا تتخلف ولا تتبدل على مدار الزمان." ٥/٢٦٧٥

ضمن مجتمعاتهم، كما بين تأمل بقية مواضع الورد: أنه يمكن نسجها في منظومة متكاملة تضيء موضوع العمران، وذلك وفق الآتي:

سياق ورد اسم العلم (عمران) يشير لدور الفرد والأسرة في الإصلاح ضمن المجتمع، وسياق ورد (العمر) يشير لدور النسك في عمران المكان والقلوب، وسياق ورد (عمارة المساجد) يبين الأهمية للجانبين المادي والمعنوي الذي تقوم به المساجد في إحياء الفرد والمجتمع، وأهمية الأساس القيمي في بناء المساجد، أما سياق (البيت المعمور) فإنه يربط عمران الأرض بالسماء، دلالة على تعظيم أمر العمارة، وأخيراً ورد المادة بدلالة الزمن يدل على أهمية عنصر الزمن في قضية العمران، ويمكن صياغة ماسبق في النقاط الآتية:

- تبدأ مسيرة العمران من الأسرة المؤمنة الثابتة في خضم الفتن، التي يراها رب أسرة صالح، وتتخذ قراراتها أم مضمية، وتتميز بناتها بالإيمان والعفة.

- يركز المجتمع العمراني على ركن الشعائر العبادية، التي تعمر المكان وتعمر القلوب دون شك أو اضطراب.

- العبادة تظهر في عمران المكان، الذي يرجى منه عمران القلوب ثم المجتمعات.

- إن إقامة عمران المجتمع يتطلب فقه السنن الإلهية في التاريخ والمجتمعات.

- إن عمارة الأرض تتطلب منهجية في التغيير والإصلاح في النفس والمجتمع.

- الإقامة والاستقرار من لوازم تحقيق الفعل العمراني.

- يُعدّ الزمن عنصراً مهماً، ومقوماً رئيساً في تحقيق العمران.

- تناول الزمن قد ينسب المنهج ويعيق مسيرة العمران.

المبحث الثاني: دراسة دلالات مقاربات مادة (عَمَرَ)

في الاستعمال القرآني

استكمالاً للدراسة اللغوية والسياقية للمفردة القرآنية بغية الكشف عن دلالات العُمران في النص، يحسن دراسة الألفاظ المقاربة لمادة (عَمَرَ) في القرآن، ولتحديد تلك المقاربات يلزم وجود موجّهات وضوابط تساعد في ذلك، ويمكن استلهاً تلك الموجّهات من اعتبارين:

الاعتبار الأول - الدلالة اللغوية التفصيلية: حيث يتم تتبع الألفاظ المقاربة للمعنى اللغوي التفصيلي المختار لمادة (عَمَرَ)، وهو "العلو والبقاء عبر امتداد الزمن"، أي انتقاء مفردات تؤدي دلالات مقاربة للعلو، ومفردات مقاربة لمعنى البقاء وامتداد الزمن، مع الأخذ بعين الاعتبار دلالات ورودها في النص ومدى تقاربها أو تباعدها عن دلالة العمران، وبناء عليه فقد تم تحديد المفردات القرآنية المقاربة لمادة (عَمَرَ)، وهي: البنيان، والنشوء، والتشييد، والقيام، والعلو، والظهور، والوراثة، والخلافة.

الاعتبار الثاني - المفهوم الدلالي العام: ويعني تتبع المفردات بناء على الارتباط بالمفهوم العام من خلال تحديد مجال الدلالة، ويتم ذلك بناء على مفهوم العمران المختار، وهو: "السعي إلى إصلاح الأرض مادياً ومعنوياً، وفردياً وجمعياً، انطلاقاً من حق الكون المسخر له، بالارتكاز على القيم الإيمانية، بغية تحقيق هدف الاستخلاف"، وبناء عليه فقد تم تحديد المفردات المرتبطة بالمفهوم الدلالي العام، سواء كانت من مقوماته، أو من ثمراته، أو من أوصافه، مثل: التسخير، والتأسيس، والتمكين، والإصلاح.

واستناداً لما سبق تكون المفردات المراد دراستها هي: البنيان، والنشوء،
والتشييد، والقيام، والعلو، والظهور، والوراثة، والخلافة، والتسخير،
والتأسيس، والتمكين، والإصلاح.

المطلب الأول: الدراسة المعجمية لمقاربات مادة (عَمَر) الواردة في القرآن

تهتم الدراسة المعجمية للمفردات والمصطلحات المقاربة بإرجاع الكلمة إلى
جذرها اللغوي، وتحري معرفة أصل معناها من أمّات المعجمات، وبيان دلالتها
المادية والمعنوية، وتطورها الدلالي، وتوضيح علاقتها بمصطلح العُمران.

❖ البناء :

يعود معنى جذر الكلمة (بنى) إلى أصل واحد هو ضم الشيء بعضه إلى
بعض، وهونقيض الهدم، قال ابن فارس: " الْبَاءُ وَالنُّونُ وَالْيَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ
بِنَاءُ الشَّيْءِ بِضَمِّ بَعْضِهِ إِلَى بَعْضٍ، تَقُولُ بَنَيْتُ الْبِنَاءَ أَبْنِيهِ " (١)، وقال
الفيروزآبادي: "البنى: البني: نقيض الهدم، بَنَاهُ يَبْنِيهِ بَنِيًّا وَبِنَاءً وَبُنْيَانًا وَبُنْيَةً وَبِنَايَةً،
وَابْتَنَاهُ وَبَنَاهُ " (٢).

يلاحظ أن ضم الشيء بعضه إلى بعض قد يحصل به العلو، وينتفي به
الخراب، وهذا مجال التقارب مع معنى مادة عمر، ومجال الافتراق هو أن العلو في
(عمر) لا يستلزم دائماً ضم الأشياء.

(١) ابن فارس، مقاييس اللغة، ٣٠٢/١

(٢) الفيروزآبادي، مجد الدين، ت ٨١٧ هـ، القاموس المحيط، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر
والتوزيع، ط ٨، ٢٠٠٥ م، ١/٢٦٤

❖ النشوء:

جذر الكلمة (نشأ)، وأصل معناه يعود إلى الارتفاع والسمو، قال ابن فارس: "النُّونُ وَالشَّيْنُ وَالْهَمْزَةُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى ارْتِفَاعٍ فِي شَيْءٍ وَسُمُوٍّ، وَنَشَأَ السَّحَابُ: ارْتَفَعَ، وَأَنْشَأَهُ اللَّهُ: رَفَعَهُ"^(١)،

كما يتبين معنى الارتفاع في قول الخليل: "الناشئ: الشاب، يقال فتى ناشئ، والناشئة: أول الليل ... وأنشأت حديثاً: ابتدأت.. وأنشأ الله السحاب فنشأ ينشأ، أي: ارتفع"^(٢)، وقال ابن منظور: "نشأ: أَنْشَأَ اللَّهُ: خَلَقَهُ ... وَأَنْشَأَ اللَّهُ الْخَلْقَ أَيِ ابْتَدَأَ خَلَقَهُمْ."^(٣)

يتبين لدى التأمل في مادتي (عمر) و(نشأ) أنهما يجتمعان على معنى الارتفاع والعلو، وبالدلالة المادية والمعنوية، ويفترقان بأن الأول يلزم منه البقاء، والثاني فقط يلزم منه حصول الارتفاع بعد عدمه.

❖ التشييد:

قال الخليل في بيان معنى جذر الكلمة (شيد): "تشييدُ البناء: إحكامه ورفعهُ"^(٤)، وبين ابن فارس أصل المادة فقال: "الشَّيْنُ وَالْيَاءُ وَالْدَّالُّ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى رَفْعِ الشَّيْءِ، يُقَالُ شِدْتُ الْقَصْرَ أَشِيدُهُ شَيْدًا، ... وَالْإِشَادَةُ: رَفْعُ الصَّوْتِ وَالتَّنْوِيهِ"^(٥)، وقد أكد ابن منظور ذات المعنى وبينه بقوله: "أَشَادَهُ وَأَشَادَ بِهِ إِذَا

(١) ابن فارس، مقاييس اللغة، ٤٢٨/٥، ٤٢٩.

(٢) الخليل، العين، ٢٨٧/٦، ٢٨٨.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ١٧٠/١.

(٤) الخليل، العين، ٢٧٧/٦.

(٥) ابن فارس، مقاييس اللغة، ٢٣٤/٣.

أَشَاعَهُ وَرَفَعَ ذِكْرَهُ مَنْ أَشَدَّتْ الْبُنْيَانُ، فَهُوَ مُشَادٌ، وَشَيْدُتُهُ إِذَا طَوَّلَتْهُ فَاسْتَعِيرَ لِرَفْعِ صَوْتِكَ....^(١)، يتبين أن للتشديد دلالة مادية، وللإشادة دلالة معنوية. لدى المقارنة بين مادتي (عمر) و(شيد) يتبين أنهما يتقاربان بمعنى الارتفاع، وبالدلالتين المادية والمعنوية، ويفترقان بأن الأول يلزم منه البقاء، والثاني يلزم منه الإحكام.

❖ التأسيس:

إن التأسيس يدل على التأصيل للشيء، وإن جذر المادة (أَسَّ) يدل على أصل الشيء، كما بين ابن فارس بقوله: "الْهَمْزَةُ وَالسِّينُ يَدُلُّ عَلَى الْأَصْلِ وَالشَّيْءِ الْوُطِيدِ الثَّابِتِ"^(٢)، وقد ضرب الخليل مثلاً فقال: "وَأَسَّسْتُ دَاراً: بَنَيْتُ حُدُودَهَا، وَرَفَعْتُ مِنْ قَوَاعِدِهَا، وَيُقَالُ: هَذَا تَأْسِيسٌ حَسَنٌ"^(٣)، والمادة تدل على المعنى المادي والمعنوي، وقد بين ذلك ابن فارس حينما أشار لأساس كل من البناء والدهر: "الْأُسُّ أَصْلُ الْبِنَاءِ، ... قَالُوا: الْأُسُّ أَصْلُ الرَّجُلِ، وَالْأُسُّ وَجْهُ الدَّهْرِ"^(٤) إن أصل الشيء الذي تدل عليه مادة (أَسَّ) يرتبط مع مفهوم العمران من حيث ضرورة التأسيس للبنيان، سواء كان بنياناً مادياً أم معنوياً.

❖ القيام:

أصل مادة (قام) هو (قَوْمَ)، ومعناها الانتصاب والعزم.

(١) ابن منظور، لسان العرب، ٢٤٣/٣

(٢) ابن فارس، مقاييس اللغة، ١٤/١

(٣) الخليل، العين، ٣٣٤/٧

(٤) ابن فارس، مقاييس اللغة، ١٤/١

قال ابن فارس: "الْقَافُ وَالْوَاوُ وَالْمِيمُ أَصْلَانِ صَحِيحَانِ، يَدُلُّ أَحَدَهُمَا عَلَى جَمَاعَةٍ نَاسٍ، وَزُبَّامَا اسْتُعِيرَ فِي غَيْرِهِمْ. وَالْآخِرُ عَلَى انْتِصَابٍ أَوْ عَزْمٍ"^(١)، وهو ما يهمننا في هذا المقام، وقد أشار الخليل إلى دلالة الاستقامة في المادة، فقال: "وقوام كل شيء: ما استقام به، وقاومته في كذا، أي: نازلته"^(٢)

وفيما يخص الدلالة المعنوية وضحها ابن منظور بقوله: ﴿الرِّجَالُ قَوْمُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤]، وَلَيْسَ يُرَادُ هَاهُنَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، الْقِيَامُ الَّذِي هُوَ الْمُثُولُ وَالتَّنَصُّبُ وَضِدُّ الْقُعُودِ، إِنَّمَا هُوَ مِنْ قَوْلِهِمْ قُمْتُ بِأَمْرِكَ، فَكَأَنَّهُ، .. الرِّجَالُ مُتَكَفِّلُونَ بِأُمُورِ النِّسَاءِ مَعْنِيُونَ بِشُؤْنِهِنَّ "^(٣)، يتبين مما سبق أن معنى الانتصاب والعزم والاستقامة في مادة (قام) تؤدي إلى العلو مما يحقق دلالات مادة (عمر).

❖ العلو:

إن العلو يدل على السمو والارتفاع، وفي ذلك قال ابن فارس: "الْعَيْنُ وَاللَّامُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ يَاءٌ كَانَ أَوْ وَاوًا أَوْ أَلِفًا، أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى السُّمُوِّ وَالْإِرْتِفَاعِ، لَا يَشْدُ عَنْهُ شَيْءٌ. وَمِنْ ذَلِكَ الْعَلَاءُ وَالْعُلُوُّ"^(٤)، والمادة تدل على الارتفاع المادي والمعنوي، وفي ذلك قال الخليل: "تقول لكل شيء علا: علا يَعْلُو علوا، وتقول في الرَّفْعَةِ والشَّرَفِ: عَلِيَ يَعْلَى عِلَاءً. وَالْعَلْيَاءُ: رَأْسُ كُلِّ جَبَلٍ مُشْرِفٍ "^(٥)

(١) ابن فارس، مقاييس اللغة، ٤٣/٥

(٢) الخليل، العين، ٢٣٤/٥

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ٥٠٣/١٢

(٤) ابن فارس، مقاييس اللغة، ١١٢/٤

(٥) الخليل، العين، ٢٤٥/٢

إن الارتفاع الذي تدل عليه مادة (علا) متقارب مع دلالة مادة عمر، إلا أن الأخيرة يلزم منها البقاء عبر امتداد الزمن، والأولى لا يلزم منها ذلك.

❖ الارتفاع:

يقول ابن فارس: "الرَّاءُ وَالْفَاءُ وَالْعَيْنُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، يَدُلُّ عَلَى خِلَافِ الْوَضْعِ. تَقُولُ: رَفَعْتُ الشَّيْءَ رَفْعًا؛ وَهُوَ خِلَافُ الْخَفَضِ" ^(١)، يتضح من هذا البيان لابن فارس أن دلالة المادة مادية، ولكن قد تحمل المادة دلالة معنوية كما بين في قوله: "وَالرَّفْعُ: إِذَاعَةُ الشَّيْءِ وَإِظْهَارُهُ" ^(٢)، وكما في قول الخليل: "والرَّفْعَةُ نَقِيضُ الدَّلَّةِ. وَالرُّفَاعَةُ وَالْعِظَامَةُ" ^(٣)

يلاحظ أن مادة (رفع) تتقارب مع مادة عمر في معنى العلو المادي والمعنوي، لكن مادة عمر تحمل معنى البناء الذي هو نقيض الخراب، بينما لا تحمل مادة رفع ذلك المعنى، كما أن الدلالة المعنوية في (عمر) أشمل من دلالتها اللغوية في الرفع

❖ الظهور:

إن جذر المادة (ظهر) يدل على القوة والبروز، وفي ذلك قال ابن فارس: "الظَّاءُ وَالْهَاءُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى قُوَّةٍ وَبُرُوزٍ. مِنْ ذَلِكَ: ظَهَرَ الشَّيْءُ يَظْهَرُ ظُهُورًا فَهُوَ ظَاهِرٌ، إِذَا انْكَشَفَ وَبَرَزَ" ^(٤)، وقال الخليل: "الظَّهْرُ: خِلَافُ الْبَطْنِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ. وَالظَّهْرُ مِنَ الْأَرْضِ: مَا غُلِظَ وَارْتَفَعَ" ^(٥)، وفي تلك الأقوال

(١) ابن فارس، مقاييس اللغة، ٤٢٣/٢

(٢) ابن فارس، مقاييس اللغة، ٤٢٤/٢

(٣) الخليل، العين، ١٢٥/٢

(٤) ابن فارس، مقاييس اللغة، ٤٧١/٣

(٥) الخليل، العين، ٣٧/٤

دلالة على المعنى الحسي للمادة، وفيما يخص الدلالة المعنوية قال ابن فارس: "والظهور: الغلبة، قال الله تعالى: ﴿فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤]"^(١)، وقال الزمخشري: "وظاهره: عاونه"^(٢)، مما يبين أن للمادة دلالتين: مادية ومعنوية، وتشير كلتاها للبروز والقوة والغلبة.

تجتمع مادة (عَمَرَ) مع مادة (ظَهَرَ) من جهة الدلالة المادية في معنى البروز، ومن جهة الدلالة المعنوية في الترابط بين معنى البقاء -الذي يدل عليه العمران - ومعنى الغلبة - الذي يدل عليه الظهور- لأن البقاء يستلزم الغلبة على العوامل المضادة.

❖ الوراثة:

رأى الخليل أن جذر المادة (ورث) يعود إلى معنى الإبقاء: "ورث: الإيراث: الإبقاء للشيء.. يُورث، أي: يُبقي ميراثاً"^(٣)، بينما ابن فارس بين مادة (ورث) حسب معناها الشرعي فقال: "الْوَأُ وَالرَّاءُ وَالثَّاءُ: كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ، هِيَ الْوَرِثُ، وَالْمِيرَاثُ أَصْلُهُ الْوَأُ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ الشَّيْءُ لِقَوْمٍ ثُمَّ يَصِيرَ إِلَى آخَرِينَ بِنَسَبٍ أَوْ سَبَبٍ"^(٤) وقد أورد الخليل دلالات معنوية فقال: "وتقول: أورثه العشق همماً"^(٥)، وعدّ الزمخشري تلك الدلالات من باب المجاز، فقال: "ومن المجاز: أورثه كثرة الأكل التّخم والأدواء، ... وهو في إرث مجد، والمجد متوارث بينهم."^(٦)

(١) ابن فارس، مقاييس اللغة، ٣/ ٤٧١

(٢) الزمخشري، أساس البلاغة، ١/ ٦٢٨

(٣) الخليل، العين، ٨/ ٢٣٤

(٤) ابن فارس، مقاييس اللغة، ٦/ ١٠٥

(٥) الخليل، العين، ٨/ ٢٣٤

(٦) الزمخشري، أساس البلاغة، ٢/ ٣٢٧

وبالتأمل في دلالات الورث يتبين أنها وثيقة الصلة والتقارب مع العمران، فالورث يدل على بقاء الشيء وانتقاله من قوم لآخرين، والعمران أيضاً يستلزم بقاء البناء المادي عبر مختلف العصور، كذلك فإن الدلالة المجازية في وراثته المجد تتقارب مع الدلالة المعنوية المطلوبة في العمران.

❖ الاستخلاف:

إن الاستخلاف يعود إلى جذر المادة (خَلَفَ)، وتعني مجيء شيء بعد شيء، قال ابن فارس: "الْخَاءُ وَاللَّامُ وَالْفَاءُ أَصُولٌ ثَلَاثَةٌ: أَحَدُهَا أَنْ يَجِيءَ شَيْءٌ بَعْدَ شَيْءٍ يَفُومُ مَقَامَهُ، وَالثَّانِي خِلَافُ قُدَامٍ، وَالثَّلَاثُ التَّغْيِيرُ، فَالْأَوَّلُ الْخَلْفُ، وَالْخَلْفُ: مَا جَاءَ بَعْدُ، وَيَقُولُونَ: هُوَ خَلَفَ صِدْقٍ مِنْ أَبِيهِ. وَخَلَفَ سَوْءٌ مِنْ أَبِيهِ" (١)، وقال الخليل: "والخليفة: من استخلف مكان من قبله، ويقوم مقامه، ... وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٦٥]، أي: مُسْتَخْلَفِينَ فِي الْأَرْضِ، وَالْخَالِفَةُ: الْأُمَّةُ الْبَاقِيَةُ بَعْدَ السَّالِفَةِ" (٢)

يلاحظ أن المعنى حمل دلالة مادية كما في خلاف قدام، ودلالة معنوية كما أن يجيء شيء بعد شيء يقوم مقامه، والأصل الذي يقارب مادة (عمر) هو أن يجيء شيء بعد شيء لما يقارب دلالة البقاء.

❖ التسخير:

التسخير يعني تذليل الشيء، قال ابن فارس: "السَّيْنُ وَالْخَاءُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ مُطَرَّدٌ مُسْتَقِيمٌ يَدُلُّ عَلَى احْتِقَارٍ وَاسْتِذْلَالٍ، مِنْ ذَلِكَ قَوْلُنَا سَخَّرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ

(١) ابن فارس، مقاييس اللغة، ٢١٠/٢

(٢) الخليل، العين، ٢٦٧/٤

الشَّيْءِ، وَذَلِكَ إِذَا ذَلَّلَهُ لِأَمْرِهِ وَإِرَادَتِهِ، قَالَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ١٣] (١)

❖ التمكين:

التمكين يعود لمعنى التحكم والسلطان، قال ابن منظور: "تَقُولُ الْعَرَبُ: إِنَّ بَنِي فُلَانٍ لَدَوْوْ مَكْنَةً مِنَ السُّلْطَانِ أَيْ تَمَكَّنَ" (٢)، وقال الجوهري: "وَيُقَالُ النَّاسُ عَلَى مَكْنَاتِهِمْ أَيْ عَلَى اسْتِقَامَتِهِمْ" (٣)، والظاهر أن الكلمة انتقلت من الاستعمال الحقيقي: (مَكَّنَ) ثبت في مكانه، واستقر فيه إلى المعنى المجازي: (مَكَّنَ) عند الناس أي: صار مكيناً، قادراً على التصرف والتحكم، أو هو ذو مكانة وسلطان.

وبناء عليه يظهر وجه التقارب مع العمران من خلال دلالة "التحكم" الذي يُعدّ من مقومات العمران، ويمتد إلى الآثار.

❖ الإصلاح:

الإصلاح عكس الفساد، وجذره (صَلَحَ وَصَلَحَ)، وفي ذلك قال ابن فارس: "الصَّادُ وَاللَّامُ وَالْحَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى خِلَافِ الْفُسَادِ. يُقَالُ: صَلَحَ الشَّيْءُ يُصْلَحُ صَلَاحًا. وَيُقَالُ: صَلَحَ يَفْتَحِ اللَّامُ" (٤)، وقال الفيروز آبادي: (٥) "الصَّلَاحُ: ضِدُّ الْفُسَادِ، كَالصُّلُوحِ، صَلَحَ، ... وَهُوَ صَلَحٌ، بِالْكَسْرِ، وَصَالِحٌ وَصَلِيحٌ، وَأَصْلَحَهُ: ضِدُّ أَفْسَدَهُ، وَإِلَيْهِ: أَحْسَنَ، وَالصُّلُحُ، بِالضَّمِّ: السِّلْمُ". ترتبط المادة مع مفهوم العمران

(١) ابن فارس، مقاييس اللغة، ٣٣٧/٢٥

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ٤١٢/١٣

(٣) الجوهري، أبو نصر، ت ٣٩٣ هـ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، بيروت: دار العلم للملايين، ط ٤، ١٩٨٧ م، ٢٢٠٦/٦

(٤) ابن فارس، مقاييس اللغة، ٣٠٣/٣

(٥) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ٢٢٩/١

من حيث كون الإصلاح ضد الفساد، والعمران ضد الخراب، والفساد والخراب كلاهما يؤدي للآخر، وفي العمران مصلحة وصلاح وسلم.

المطلب الثاني: الدراسة السياقية للألفاظ المقاربة لمفهوم العمران في القرآن

لقد تبين سابقاً أن المواد اللغوية التي تقارب في أصلها المعجمي لمادة (عَمَرَ) والتي وردت في القرآن الكريم هي: (البناء، والنشوء، والتشييد، والقيام، والعلو، والظهور، والورثة، والخلافة، والتسخير، والتأسيس، والإصلاح، والتمكين)، ولدى الاستقراء التام للاستعمال القرآني لتلك المواد اللغوية تبين تنوع واتساع دلالات تلك المواد، كما تبين تقارب بعض دلالاتها لمادة (عَمَرَ)، وابتعاد بعضها الآخر، لذا ستركز الدراسة على الدلالات المقاربة فقط.

❖ البناء:

ورد ذكر البناء في القرآن الكريم في اثنين وعشرين موضعاً، وفق دلالات ترجع إلى الأصل اللغوي (ضم الشيء بعضه إلى بعض)، وجميع آيات الورد دلت على المجال المادي، وهو مجال لازم في مجال العمران المادي، وقد أشارت الآيات إلى بناء السماء والبناء في الدنيا وفي الآخرة، وبما أن دلالة البناء في الآخرة تبتعد عن مقصد الدراسة، سيتم الاقتصار على دراسة دلالات آيات بناء السماء والبناء في الدنيا.

● بناء السماء:

ورد ذكر "بناء السماء" سبع مرات في سور: البقرة، وغافر، وق، والذاريات، والنازعات، والشمس، وذلك في دلالات توضح متانة السماء وتزيينها

ومنفعتهما للإنسان: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرْشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً ...﴾ [البقرة: ٢٢] ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً ...﴾ [غافر: ٦٤]، ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ [ق: ٦]، ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧]، ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ [النبا: ١٢] ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ [النبا: ١٢]، ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾ [النازعات: ٢٧]، ﴿وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَاهَا﴾ [الشمس: ٥].

من المفسرين من عدّ استعمال مادة "بنى" في الحديث عن السماء من باب التشبيه، كما ورد عند ابن عاشور^(١)، ومنهم من عدها قضية حقيقية مقصودة لذاتها، كما ورد عند صاحب المنار^(٢)، والدراسة تميل إلى اعتبار بناء السماء حقيقياً مرتبطاً بالمعنى اللغوي الأصلي للكلمة وهو: "ضم الشيء بعضه إلى بعض"، ومتناغماً مع ما توصل له العلم الحديث من حقائق حول السماء^(٣).

(١) قال ابن عاشور في سياق تفسير الآية (٢٢) من سورة البقرة: "وأما وجه شبه السماء بالبناء فهو أن الكرة الهوائية جعلها الله حازجة بين الكرة الأرضية وبين الكرة الأثرية فهي كالبناء فيما يراد له البناء وهو الوقاية من الأضرار النازلة، فإن للكرة الهوائية دفعا لأضرار أظهرها دفع ضرر طغيان مياه البحار على الأرض ودفع أضرار بلوغ أهوية تندفع عن بعض الكواكب إلينا وتلطيفها حتى تختلط بالهواء أو صد الهواء إياها عنا مع ما في مشابهة منظر الكرة الهوائية لهيئة القبة، والقبة بيت من آدم مقبب وتسعى بناء"، التحرير والتنوير ٣٣١/١

(٢) قال صاحب المنار: " (والسما بناء) متماسكا لكيلا تقع على الأرض فتسحقكم. السماء: مجموع ما فوقنا من العالم، والبناء: وضع شيء على شيء بحيث يتكون من ذلك شيء بصورة مخصوصة، وقد كون الله السماء بنظام كنظام البناء، وسوى أجرامها على هذه الصفة المشاهدة وأمسكها بسنة الجاذبية فلا تقع على الأرض، ولا يصطدم بعضها ببعض، إلا إذا جاء يوم الوعيد، وبطل نظام هذا العالم ليعود في خلق جديد" تفسير المنار

١٥٧/١

(٣) قال عبد الدائم كحيل: " كلمة (بَنَيْنَاهَا) تدل على أن السماء مبنية، وهذا ما كشفت عنه آخر الأبحاث أن الكون متماسك ومتربط لا وجود فيه للخلل، ولا وجود للفراغ كما كان يُظن في الماضي، بل هو بناء مُحكم"، ينظر: عبد الدائم الكحيل، آيات الله في السماء، موقع أسرار الإعجاز العلمي، بدون تاريخ، تاريخ الزيارة

٢٠١٩/١٠/٩

وقد توصّلت الدراسة السياقية المفصلة لكل موضع من مواضع ورود إلى أن آيات بناء السماء حملت إشارات هندسية، وذلك وفقاً لما يلي:

- المنفعة: من قوله تعالى ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرْشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً...﴾ [البقرة: ٢٢] البقرة، ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً...﴾ [غافر: ٦٤].

- الزينة: من قوله تعالى ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا﴾ [ق: ٦].

- الدقة والشدة: من قوله تعالى ﴿وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ [ق: ٦].
- ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ...﴾ [الذاريات: ٤٧]، ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ [النبا: ١٢].

وإن هذه الإشارات التي تعبر عن الوظيفة والمتانة والجمال في بناء السماء قد توصل لها العلم الهندسي حديثاً في بناء الأبنية، واصطلح على تسميتها [أسس البناء المعماري، أو أسس التصميم الهندسي، أو أهداف العمارة]^(١)، وهذه الأمور ترتبط مع قضية العمران المادي، ويمكن عدّها من موجهات البناء المادي في الأرض.

• البناء في الدنيا:

ورد البناء إحدى عشرة مرة، في ثمان مواضع، سبعة منها بدلالة مادية، وموضع واحد بدلالة معنوية، وذلك في سور: (التوبة، والنحل، والكهف، والشعراء، والصافات، وص، وغافر، والصف)، وقد جاء الورد بصيغة فعلية

(١) أهداف العمارة: الوظيفة (المنفعة)، المتانة، الجمال، الاقتصاد، ينظر: نيربالي، صبا، مقال: المهندس المعماري والعمارة، منصة كورساتي الالكترونية، تاريخ النشر: ٢٠٢١/٣/١٦، تاريخ الزيارة: ٢٠٢١/٦/١٩

ثلاث مرات، وبصيغة اسمية ثماني مرات، منها مرة بلفظ (بناء)، وسبع مرات بلفظ (البنيان): منها ذات دلالة مادية، ومنها ذات دلالة معنوية ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَنَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَنَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ...﴾ ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَنُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ...﴾ [التوبة: ١٠٩-١١٠]، ﴿... فَأَتَىٰ اللَّهَ بُنْيَنُهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ...﴾ [النحل: ٢٦]، ﴿... فَقَالُوا أَتَبْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ...﴾ [الكهف: ٢١]، ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ﴾ [الشعراء: ١٢٨]، ﴿قَالُوا أَتَبْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقَوْهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٩٧]، ﴿وَالشَّيْطَانُ كُلُّ بَنَاءٍ وَغَوَاصٍ﴾ [ص: ٣٧]، ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمُنُ ابْنُ لِي صَرَخًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ [غافر: ٣٦]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْتُلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَنٌ مَّرْصُومٌ﴾ [الصف: ٤].

وقد أظهرت الدراسة التفصيلية لسياقات الورد عدة أمور مهمة في قضية

العمران، وهي:

- التأسيس للبناء المادي يحتل دوراً مهماً في دوام العمران وأزواله سواء كان التأسيس معنوياً قيماً كما في سورة التوبة ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَنَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَنَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ...﴾ ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَنُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ...﴾ [التوبة: ١٠٩-١١٠]، أم كان تأسيساً مادياً كما في آية النحل التي أشارت لموضوع القواعد ﴿... فَأَتَىٰ اللَّهَ بُنْيَنُهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ...﴾ [النحل: ٢٦].

- البناء يقوم بوظيفة الحماية، ويشكل معلماً ويظهر ذلك في آية سورة الكهف ﴿... فَقَالُوا أَتَبْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ...﴾ [الكهف: ٢١]، قال أبو

حيّان: "فذلك دعاء إلى بناء البنيان ليكون معلماً له"^(١)، وقال ابن عاشور: "وإنما ارتأوا أن يبنيوا عليهم بنياناً لأنهم خشوا عليهم من تردد الزائرين غير المتأديين، فلعلهم أن يؤذوا أجسادهم وثيابهم باللمس والتقليب، فأرادوا أن يبنيوا عليهم بناء يمكن غلق بابهِ وحراسته"^(٢).

• قيمة البناء المادي تتبع المقصد من إقامته: قال تعالى في سورة الشعراء: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ﴾ [اشعراء: ١٢٨]، لقد وردت الآية في سياق خطاب قوم ارتفعوا في سلم الحضارة، فظهر لديهم تطور معماري، واقتصادي، وزراعي، وتوسع سكاني، وازدهار سياحي، وإعلامي، إضافة لقوة عسكرية جبارة، إلا أن ذلك كله لم يرفعهم إلى سلّم العمران، لأن تطورهم البنائي كان مادياً فقط، ولم يركز مقصدهم من البناء على قيم إيمانية، مما أدى إلى دمارهم ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٣٩]، وقد قال الشعراوي عنهم وعن بنائهم: "لقد عدّ بناؤهم عبثاً رغم أنه آية في الإبداع وجمال العمارة"^(٣)، وأشار سيد إلى أهمية المقصد من البناء، فقال: "وأن القصد من ذلك كان هو التفاخر والتطاول بالمقدرة والمهارة، ومن ثم سماه عبثاً، ولو كان لهداية المارة ومعرفة الاتجاه ما قال لهم «تعبتون».. فهو توجيهه إلى أن ينفق الجهد، وتنفق البراعة، وينفق المال فيما هو ضروري ونافع، لا في الترف والزينة ومجرد إظهار البراعة والمهارة"^(٤).

(١) أبو حيّان، البحر المحيط، ١٥٩/٧

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٨٩/١٥

(٣) الشعراوي، تفسير الشعراوي، ١٠٦٣٢/١٧ بتصرف يسير

(٤) سيد، في ظلال القرآن، ٢٦٠٩/٥

• للبناء أنواع:

بيّن الورد في سورتي غافر والصفافات نوعين من الأبنية، الأول بناء هامان لفرعون ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمُنُ آبْنُ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ [غافر: ٣٦]، والثاني بناء قوم إبراهيم عليه السلام ﴿قَالُوا آبْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ [الصفافات: ٩٧]، وقد اختلف المفسرون في تحديد نوع البناء المقصود، والأسباب التي سيبلغها، فقد رأى الزمخشري أنه البناء الظاهر فقال: "الصرح: البناء الظاهر الذي لا يخفى على الناظر وإن بعد، اشتقوه من صرح الشيء إذا ظهر،"^(١)، واجتهد ابن عاشور في توضيح الأسباب المذكورة في الآية والتي سيبلغها فرعون بالبناء، فقال: "فرعون أمر ببناء صرح لا لقصد الارتقاء إلى السماوات، بل ليخلو بنفسه رياضة ليستمد الوحي من الرب الذي ادعى موسى أنه أوحى إليه"^(٢)، وهو بهذا يبين أن من وظائف البناء إعداد مكان للتأمل، أما قوم إبراهيم عليه السلام فقد اقاموا بنيانهم لاستخدامه في الشر والإجرام.

• مهارة البناء من نعم الله تعالى كما ظهر في سورة ص دلالة على تسخير وتمكين عملية البناء ﴿وَالشَّيْطَانُ كُلُّ بَنَاءٍ وَغَوَّاصٍ﴾ [ص: ٣٧]، حيث وردت الآية ضمن قصة سليمان عليه السلام، في سياق ذكر ما سخر له لإعمار بلاده، حيث عُذَّ البَنَّاوُونَ من ضمنهم، قال ابن عاشور: "والبناء: الذي يبني وهو اسم فاعل مصوغ على زنة المبالغة للدلالة على معنى الصناعة مثل نجار وقصار وحدّاد ... وقد بلغت الصناعة في ملك سليمان مبلغاً من الإتقان والجودة والجلال"^(٣)، ولما كانت قصة سليمان عليه السلام أنموذجاً مميزاً

(١) الزمخشري، الكشاف، ١٦٧/٤

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٤٥/٢٤

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٦٦/٢٣

لإعمار الأرض، احتلت عملية البناء حيزاً مهماً فيها.

• **البنيان الذي يحبه الله:** لقد صرح القرآن بصفات البنيان الذي يحبه، ألا وهو المرصوص، وذلك عندما شبه به صفات المؤمنين الذين يحب حالهم عند القتال، حيث قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْتُلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَنٌ مَرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤]، تحدث الطبري عن مقصد الاتقان، فقال: "حيطان مبنية قد رصّ، فأحكم وأتقن، فلا يغادر منه شيئاً"^(١)، وتحدث ابن عاشور عن مقصد الثبات، فقال: "والمرصوص: المتلاصق ببعضه ببعض، والتشبيه في الثبات وعدم الانفلات"، لقد تضمنت الآية إشارات مادية حول الاتقان والثبات الذي ينبغي للبناء المادي، كما تضمنت إشارات معنوية حول سمات البنيان البشري الذي يحبه الله، وهو الصف الواحد الذي يحقق العمران.

خلاصة الدراسة السياقية لموضوع البناء:

- جاء موضوع البناء بصيغتي (بناء، وبنيان)، الأول للسماء، والثاني لأبنية الأرض.
- سياق ورود آيات السماء احتوت أسس التصميم الهندسي التي توصل لها العقل الإنساني في رحلة مسيرته الحضارية.
- دعوة القرآن للنظر في بناء السماء تدفع إلى تجديد النظر في قضية بناء السماء عبر مسيرة العمران، بمعنى أن أبحاث دراسة بناء السماء تحتاج إلى منهجية متجددة من قبل المسلمين، لاسيما أن التكنولوجيا الحديثة في الاتصالات التي توصل لها غير المسلمين، لم تكن لتتم لولا فهم خواص الفضاء، التي تشير لها قضية بناء السماء المذكورة في آيات الله.

(١) الطبري، تفسير الطبري، ٣٥٧/٢٣

- البنيان في الأرض جاء في سياق الذم غالباً، وقد اكتسب صفة المدح في حالة ذكر متانته.. وفي ذلك مؤشران: الأول؛ أن قيمة العمران المادي تتبع القيمة المعنوية والنظرة الفلسفية - إن جاز التعبير - وراء إقامته، والثاني أن العمران المادي مطلوب التمكن من أدواته.
- موضوع البناء لم يرتبط بالإنسان، بل ارتبط دوماً بالأشياء.

❖ الإنشاء:

وردت مادة (نشأ) في الاستعمال القرآني ستاً وعشرين مرة، في دلالات ترجع إلى الأصل اللغوي (الارتفاع والسمو)، وما يتعلق منها بموضوع العمران يرد في اتجاهين رئيسين: الأول يتعلق بارتفاع الأشياء ونمائها من باب تسخيرها للإنسان، والثاني يتعلق بسمو الإنسان ونموه في المجالين الفردي والجمعي، الاتجاه الأول احتوى: إنبات الزرع، والتكوين من عدم، وتسخير السفن، أما الاتجاه الثاني فقد احتوى موضوع التربية في المجال الفردي، واحتوى موضوع رفع الأقسام في المجال الجمعي، وهي أمور ترتبط بالعمران.

• إنشاء النبات:

لقد ورد استعمال الإنشاء في دلالة إنبات الزرع أربع مرات في ثلاثة مواضع: (الأنعام، والمؤمنون، والواقعة)، ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ...﴾ [الأنعام: ١٤١]، ﴿فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ...﴾ [المؤمنون: ١٩]، ﴿أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ﴾ [الواقعة: ٧٢]، يلاحظ أن الورد بصيغة الفعل المضارع ثلاث مرات، يدل على الحركة، وبصيغة اسم الفاعل مرة واحدة مسند إلى الله عز وجل، يدل على ثبات الفاعل.

يلاحظ أن جميع مواضع الورد تشير إلى نعم الله وفضله وحده في إنماء الزرع بأنواعه، كما أنها تحمل مؤشرات حول أهمية الزرع في العمران.

• إنشاء الأقوام:

ورد إنشاء الأقوام بما يدل على بناء الأمم خمس مرات في أربع سور (الأنعام، والأنبياء، والمؤمنون، والقصص):

﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ [المؤمنون: ٣١]، ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ [الأنبياء: ١١]، ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ﴾ [المؤمنون: ٣١]، ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ﴾ [المؤمنون: ٤٢]، ﴿وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنَّا ثَائِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتَلَوَّا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ [القصص: ٤٥].

يلاحظ أن الورد في المواضع الأربعة مسنداً إلى الله تعالى، مما يدل على وجود سنن إلهية حاکمة لارتفاع الأقوام، وأن الإنشاء كان بعد إهلاك قوم سابقين.

خلاصة الدراسة السياقية لموضوع الإنشاء:

بعد الدراسة السياقية المفصلة لموضوع الإنشاء؛ تبين أنه ورد مسنداً إلى الله دوماً، وقد ارتبط بموضوعين؛ الأول إنشاء الزروع والنباتات، والثاني إنشاء الأمم، في الموضوعين تظهر قضية السنن الإلهية؛ ففي موضوع الزروع تظهر السنن الكونية، وفي الأمم تظهر سنن الله الاجتماعية، وترتبط القضيتان بقضية العمران، فإن دوام الأمة يعني دوام عمرانها ما دامت منظومة الوحي قائمة في مسيرتها، ووجود الزروع يشير إلى مقوم من أهم المقومات المادية

للعمران، وفي قضية الزروع دعوة إلى تطبيق منهج الله في التعامل معها من جهة، وحسن استثمارها في المسيرة العمرانية من جهة أخرى.

كما أن دلالات الإنشاء فيما يخص الأقوام ترتبط ارتباطاً وثيقاً بقضية العمران، فإن ذكر إنشاء القرون الآخرين فيه إشارة لعمران البلاد بعد خرابها، وفي ذلك قال الزمخشري: "الدلالة على أنه لا يتعاضمه أن يهلك قرنا ويخرب بلاده منهم؟ فإنه قادر على أن ينشئ مكانهم آخرين يعمر بهم بلاده"^(١)، ويظهر في تلك الآيات ما يشير إلى معوقات العمران.

❖ التشديد:

وردت مادة (شَدَّ) في القرآن الكريم في موضعين فقط، وجاء ورودها في دلالة موضوعية واحدة تلتقي مع الدلالة اللغوية، وهي إحكام البناء ورفعها، ويلاحظ أن الورد في المرتين جاء بصيغة اسم؛ في سورة النساء جاء صفة للبروج على صيغة مصدر ميمي (مُشَيِّدَةً)، على وزن (مفعلة)، للدلالة على المبالغة في الأمر، وفي الحجّ جاء على صيغة مصدر ميمي مخفف (مَشِيد) على وزن (مفعّل)، في دلالة تشير إلى السكون، كما توضح الدراسة السياقية.

إن الورد الأول في سورة النساء كان في سياق الدعوة إلى القتال لحماية المستضعفين: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمْ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ...﴾ [النساء: ٧٨]، لقد جاء ذكر البروج المشيدة للبنيان أنها لا تحمي من الموت المقدر، وبالنظر إلى الموضوع تحت مجهر قضية العمران؛ يمكن القول أن البروج المشيدة التي تندرج تحت مظاهر العمران المادي، لا تكفي لتحقيق الأمن، بل لا بد من

(١) الزمخشري، الكشف، ٦/٢

تدابير قتالية للدفاع عن المستضعفين لدوام الكيان العمراني، ولا بد من توفر العدالة والقوة في حماية ذلك البنيان.

في آية الحج جاء السياق الخاص ليتحدث عن التمكين الجمعي، وسبل بقاء المجتمع أو انهياره: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَمِئَا حَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبَنِيَانٌ مَّعْمُولٌ وَقَصْرٌ مَّشِيدٌ﴾ [الحج: ٤٥]، حيث أظهرت الآية أنه لم ينفع القصر المشيد مع وجود الظلم، وأن القصور لا تحمي المجتمع إذا انتشر فيه الظلم، وفي هذا إشارة لوجود عناصر عمرانية مادية، استمر وجودها بعد انهيار الكيان الجمعي المعنوي. السياق العام لسورة الحج يغلب عليه طابع التخويف، كما قال سيد: "والظلال الواضحة في جو السورة كلها هي ظلال القوة والشدة والعنف والرغبة، والتحذير والترهيب واستجاشة مشاعر التقوى والوجل والاستسلام"^(١)، مما يرتبط مع قضية التخويف من انهيار المجتمع نتيجة إهمال المقومات الإيمانية والقيمية.

خلاصة الدراسة السياقية لموضوع التشييد:

في موضعي الورود مدح للبناء المادي وبيان ضعف ساكنيه، وقد جاء الحديث في النساء عن إمكانية الهلاك الفردي رغم وجود عناصر الحماية المادية للأفراد، والتركيز على ضرورة التدابير القتالية لحماية أفراد المجتمع، بينما الحديث في الحج عن الهلاك الجمعي رغم وجود مؤشرات السلطة، والتركيز على ضرورة توفر العدل لحماية الكيان الجمعي.

(١) سيد، في ظلال القرآن، ٢٠٤٧/٤

❖ التأسيس:

وردت مادة (أسس) ثلاث مرات في موضعين، وكان الورد يذكر البنيان عموماً، أو المسجد خصوصاً ﴿... لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ...﴾ ﴿أَفَمَنْ أُسِّسَ بُنْيَنُهُ عَلَى تَقْوَى مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَنِ خَيْرٍ أَمْ مَنْ أُسِّسَ بُنْيَنُهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَاتَمَّارِبِهِ ۚ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ ...﴾ [التوبة: ١٠٨-١٠٩].

خلاصة الدراسة السياقية لموضوع التأسيس:

إنَّ سياق الورد يحمل دلالة موضوعية معنوية تبين أهمية التأصيل المعنوي الإيماني للإعمار المادي في الموضعين فقد ورد التأسيس في سياق الدلالة على أهمية التأصيل المعنوي الإيماني للإعمار المادي، وبما أن محور السورة يدور حول أهمية القيم في العمران^(١)، فإن الآية تبين أن القيم هي الأصل والأساس الذي يضمن بقاء البناء المادي، وأن حماية ذلك البناء يتم بالتنبيه والحذر من مكائد المنافقين والأعداء، وأن ذلك هو الذي يضمن الحفاظ على الكيان العمراني.

• القيام:

يعد جذر (قَوَمَ) ومشتقاته أكثر المشتقات وروداً بين المقاربات للعمران، فقد ورد مئتين وتسعاً وستين مرة، وذلك بعد استبعاد مفردة (قوم) ومشتقاتها التي تدل على جماعة من الناس، وقد وردت المادة وفق عدة مشتقات وصيغ لغوية

(١) سيد، في ظلال القرآن، ١٥٦٤/٣

جاء معظمها بمعنى الحركة الفاعلة نحو العلو التي يؤديها العبد لربه في مجالات شتى وطرق متعددة ^(١).

يرتبط القيام بموضوع (العُمران) وفقاً لما يلي:

- يجتمع القيام مع العمران في العلو، ويتميز عنه بأنه ناتج عن الحركة.
- القيام الذي يحقق العمران ينبثق من عدة أصول: الله القيوم، والدين القيم، والكتب القيمة.

ورد ارتباط القيام بالله تعالى خمس مرات في خمسة مواضع، منها اثنان بصيغة اسم فاعل (قائم) بما يدل على استمرار فعل قيامه ودوامه سبحانه، وثلاثة بصيغة المبالغة (القيوم) مما يدل على شدة الفعل: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ...﴾ [آل عمران: ١٨]، ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بِظُهُرٍ مِّنَ آقْصَا بَلِّ زَيْنَ اللَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصَدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ﴾ [الرعد: ٣٣]، ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ...﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [آل عمران: ٢]، ﴿وَعَنَتِ أَلْوُجُوهٌ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَن حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه: ١١١].

ورد وصف الكتاب القيم مرتين، وفي الحالين جاء بالمصدر (قيم) ليدل على ثبات الصفة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ قِيمًا...﴾ [الكهف: ٢-١]، ﴿فِيمَا كُتِبَ قِيمَةً﴾ [البينة: ٣]، والكتاب القيم والكتب القيمة تعد المصدر الرئيس لبناء مفهوم قضية العمران في الحياة.

(١) ينظر الدقور، سليمان، القرآن ومعادلات صناعة الإنسان، عمان، جمعية المحافظة على القرآن الكريم،

تنوعت الآيات التي تتحدث عن الدين القيم باتجاهين: الأول يصف الدين القيم، الثاني يدعو للاتجاه إليه؛ ﴿... ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ...﴾ [الروم: ٣٠]، ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ...﴾ [الإسراء: ٩]، ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ...﴾ [الروم: ٣٠]

القيام الفاعل يتحقق باتباع مسار الصراط المستقيم؛ حيث ورد تركيب "الصراط المستقيم" خمساً وثلاثين مرة، في إحدى وعشرين سورة، هي (الفاتحة، والبقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، ويونس، وهود، والحجر، والنحل، ومريم، والحج، والمؤمنون، والنور، ويسن، والصفات، والشورى، والزخرف، والفتح، والملك)، وقد كان الورد بصيغة الاسم، مما يدل على الثبات في الأمر.

﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]، ﴿...وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣]، ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ - وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٦]، ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [النحل: ٧٦].

• ضوابط القيام الفاعل: الاستقامة، والميزان؛ إن سلوك الاستقامة ورد ذكره في القرآن تسع مرات، في سور: (التوبة، ويونس، وهود، وفصلت، والأحقاف، والجن، والتكوير، والشورى، وفصلت)، ﴿...فَمَا آسَاقُمُوا لَكُمْ فَاسْتَغِيْمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٧]، ﴿فَاسْتَغِيْمْ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [هود: ١١٢]، ﴿وَأَوْفُوا

الْكَيْلِ إِذَا كَلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿[الإسراء: ٣٥]، وإن قضية الميزان في موضوعين؛ القسطاس المستقيم، والقوامة بالقسطاس، حيث ورد ذكر القسطاس المستقيم في موضعين من سورتي الإسراء والشعراء، ووردت قضية القيام بالقسط في مواضع ثلاث، في سور (النساء، والمائدة، والحديد).

● مظاهر القيام الفاعل: إقامة الصلاة، والاجتهاد في الدعوة، والالتزام بأحكام الله، والتأهب للعمل والاجتهاد، ومراعاة الأحسن؛ ومن آيات إقامة الصلاة:

﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ ...﴾ [إبراهيم: ٣١]، ﴿آتِلْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ...﴾ [العنكبوت: ٤٥]، ﴿... وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَءَاتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَءَامَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ...﴾ [المائدة: ١٢]، ومن آيات الاجتهاد في الدعوة: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن: ١٩]، ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَدْعُوهُ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾ [الكهف: ١٤]، ومرة بصيغة الأمر للمفرد: ﴿قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ [المدثر: ٢].

● معوقات القيام تتمثل في القيام السلبي: ﴿... وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى ...﴾ [النساء: ١٤٢]

● القيام يدل على الارتفاع والانتصاب في مجالات معنوية كإقامة الصلاة، ومسارات مادية كإقامة الجدار:

﴿رَجَالٌ لَا تُلِهِمُ تَجَرَّةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ...﴾
[النور: ٣٧]، ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ
يُضَيِّقُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ
عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الكهف: ٧٧].

● نوع القيام والاستقامة في الدنيا يوصل إلى نوع المقام المادي والمعنوي في
الدنيا والآخرة: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَفْتَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِيَنَّهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ [الجن: ١٦]،
﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ...﴾ [الأنبياء: ٤٧].

● وردت المادة في الدلالة على اسم الإقامة في مكان سبع مرات، منها ست
مرات بصيغة اسم مكان (مقام)، ومرة واحدة بصيغة مصدر (إقامة)، وقد دلت
على دلالات مادية حسية في كل منهما: ﴿... وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى...﴾
[البقرة: ١٢٥]، ﴿فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ...﴾ [آل عمران: ٩٧]، ﴿... يُبَيِّنُ
تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ...﴾ [النحل: ٨٠]، ﴿وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ
كَرِيمٍ ٥٨﴾ [الشعراء: ٥٨]، ﴿... قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ...﴾ [النمل: ١٣]، ﴿وَإِذْ قَالَتْ
طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا...﴾ [الأحزاب: ١٣]، ﴿وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ
كَرِيمٍ﴾ [الدخان: ٢٦].

خلاصة دراسة سياقات القيام:

● سياقات أصول القيام: إن أصول القيام تدور حول المصادر، والمسار،
والضابط الموجه: فأصول القيام هي: (الله القيوم، والدين القيم، والكتب القيمة)^(١)،
فالله القيوم هو مصدر استمداد منهج العمران، والدين القيم والكتب القيمة هي
مصدر المنهج، أما مسار القيام فهو الصراط المستقيم باعتباره المسار العملي لتحقيق

(١) ينظر: الدقور، القرآن ومعادلات صناعة الإنسان، مرجع سابق، ص ٨٣

العمران، والضابط لذلك المسار هو القسطاس المستقيم، والقسط والميزان هما الذان يضمنان دوام المسار العمراني.

يتبين من دراسة سياقات ورود (الله القيوم) أنها ترسل للناس رسائل اطمئنان، تدلهم على أن منهج العمران يُستمد من إله الكون القيوم، الذي استخلف الإنسان، ودعاه للثبات على المنهج في وجه معارك الحياة، وفي وجه الظلم والطغيان.

إن سياقات الدين القيم تظهر أن الدين القيم مصدر البناء الجمعي والفردى، من خلال: توجيه العقيدة، ورسم منهج التطبيق، وتوضيح قيم المجتمع المسلم، وتنظيم علاقته مع الآخر، وبيان سنن بناء الأمم، وتثبيت الفرد تجاه ابتلاءات الحياة المختلفة، وبيان أوامر الدين الحنيف، أما سياقات الكتب القيمة فإنها تبين تصحيح منهج النظر، والتفريق بين الحق والباطل، والتوجيه إلى القيم التي تؤدي إلى عمران الدنيا والآخرة.

• سياقات مسار القيام الفاعل :

سبق البيان أن مسار القيام الفاعل هو الصراط المستقيم، الذي يمثل الجانب العملي لفعل الإنسان كما بيّن أبو حامد الغزالي بقوله: "والنمط الثاني: في الدرر، وهي ما ورد فيه بيان الصراط المستقيم والحث عليه، وهو القسم العملي"^(١)، ويمثل كذلك المسار العملي لتطبيق العمران كما بين القره داغي حيث قال: "إن الصراط المستقيم ليس خاصاً بالآخرة، فطريقنا في الدنيا من التعمير والاستخلاف

(٢) الغزالي، أبو حامد، ت ٥٠٥ هـ، جواهر القرآن، تحقيق: الشريف، محمد، عمان: مؤسسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامي، ٢٠١٨، ص ٣٥

في الأرض يمر من خلال طريق الاستقامة، وهي تعمير الكون بمنهج الله تعالى وشريعته، والتخلق بأخلاق الإسلام، وبذلك نصل إلى الآخرة بسلام وأمان^(١).

ولدى التأمل في نتائج دراسة جميع سياقات ورود الصراط المستقيم، وعند محاولة استنتاج دلالات ورود الصراط متسلسلة حسب ورودها في المصحف يتبين أن للصراط أوصافاً، وأنه يرتبط بقيم ومعاني تبني مسيرة التوحيد والتزكية والعمران، ولدى محاولة رسم تلك المسيرة يمكن الاجتهاد بما يلي: تبدأ رحلة الإنسان مع الصراط المستقيم بالدعاء إلى الله للهداية له ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]، فتأتي الاستجابة من الله ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣]، ثم تتوالى الخطوات، أولها التوجه نحو القبلة، دون الالتفات إلى السفهاء من الناس ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَهُمْ عَن قِبَلَتِهِمْ الَّتِي كَانُوا عَلِمَاءَ قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ١٤٢]، ومتابعة المسير باتجاه قضية توحيد الله عز وجل، ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [آل عمران: ٥١]، والتمسك خلال الرحلة بحبل الإيمان، والاعتصام بالله، لنيل التثبيت على الصراط ﴿... وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١]، مع اليقين بأن الصراط نعمة تنالها فئة يصطفها الله ﴿وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّهِمْ وَأَخْوَانِهِمْ وَأَجَبَتِ لَهُمْ وَهَدَيْتَهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٨٧]، وأن الله يأمر عباده باتباع الصراط ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ...﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وأن الشيطان يتربص بأصحاب الصراط ليغويهم ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: ١٦]، لكن التوكل على الله يثبت المؤمنين على صراطه المستقيم ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ

(١) القره داغي، علي محيي الدين، عشرة مبادئ للإصلاح في سورة الفاتحة، صحيفة الوطن، ٢٠١٩م، تاريخ الزيارة ٢٣/٧/٢٠٢٠م.

رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ أَخَذُ بِنَاصِيَةٍ إِنْ رَّبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿هود: ٥٦﴾، وتستمر المسيرة لإقامة العمران من خلال تمثل قيم: العدل ﴿... هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [النحل: ٧٦]، وقيمة العلم ﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الحج: ٥٤]، ومن خلال تحصيل الرزق ﴿وَأِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المؤمنون: ٧٣]، والالتزام بأحكام الله، لتحصيل النور والهداية والتربية ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المالك: ٢٢]، فالصراط المستقيم هو مسير الأنبياء والصالحين، فيه مرشادات التواصل مع الآخرين، وفيه تصحيح التصورات الإيمانية في الحياة، في الصراط المستقيم ارتقاء نحو الهدايات.

• سياقات ضوابط القيام الفاعل (الاستقامة والميزان):

تم البيان أن ضوابط القيام الفاعل هي الاستقامة والميزان، وأن الميزان تجلى في موضوعين: القسطاس المستقيم، والقوامة بالقسطاس.

الاستقامة: إن التأمل في سياقات ورود الاستقامة يبين أنها احتوت مجالات الاستقامة، والقيم المرتبطة بها، كما أنها بينت مآلاتها؛ أما المجالات فقد ظهرت في تنظيم العلاقة مع الأعداء، وفي مواجهة الطغيان، وأما القيم التي ارتبطت بها فهي الدعوة للخير والقسط والعدل، وظهرت المآلات في الدنيا بتوفر الثروات الطبيعية، والنجاة في الآخرة.

الميزان: وردت قضية الميزان في موضوعين: القسطاس المستقيم، والقوامة بالقسطاس، الأول في سياق تحقيق القسط بالميزان في الأمور المادية، والثاني في سياق تحقيق القسط بين الناس في العلاقات المعنوية وحدها، أو في منظومة

العلاقات المادية والمعنوية معاً، سواء في المجال الفردي، أو المجال الجمعي، وإن موضوع القسط يعد من ضوابط تحقيق العمران، باعتبارها موجّهات تحدد مسار العمل العمراني.

● سياقات الإقامة:

لقد بين الخطاب القرآني أهمية المكان لتحقيق العمران، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَثَمَنًا إِلَى حِينٍ﴾ [النحل: ٨٠]، ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَثَمَنًا إِلَى حِينٍ﴾ [النحل: ٨٠]، حيث جاء ذكر الإقامة في سياق تسخير النعم للتمكين من الإقامة، ضمن السورة التي تدور حول النعم، لتدل على أن العمران من نعم الله على البشرية.

❖ العلو:

وردت مادة العلو عموماً تسعاً وعشرين مرة، ما يتعلق بدراستنا وردت سبع عشرة مرة، مرة في ستة عشر موضعاً، في سور: (آل عمران، ويونس، والإسراء، ومريم، وطه، والمؤمنون، والنمل، والقصص، والدخان، ومحمد، والنازعات)، وهي تدلّ على نوعين من العلو: الأول هو العلو المحمود، والثاني هو العلو المذموم، أما آيات العلو المحمود فقد وردت خمس مرات: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٠]، ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧]، ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ [طه: ٦٨]، ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]، ﴿... وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ...﴾ [محمد: ٣٥]

محمد، وأما آيات العلوّ المذموم فقد وردت ثلاث عشرة مرة: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ ... إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٤]، ﴿... فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرٌ﴾ [الإسراء: ٧]، ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوهَا كِبِيرًا﴾ [الإسراء: ٤]، ﴿أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَىِّي وَأُتُوْنِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٣١]، ﴿وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَنِ مُبِينٍ﴾ [الدخان: ١٩]، ﴿... وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ [يونس: ٨٣]، ﴿مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الدخان: ٣١]، ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ﴾ [المؤمنون: ٤٦]، ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل: ١٤]، ﴿تِلْكَ آدَارُ الْآخِرَةِ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ...﴾ [القصص: ٨٣]، ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤].

خلاصة الدراسة السياقية للعلو:

إن سياقات العلو ارتبطت دوماً بمكانة الناس المعنوية، سواء كانوا أفراداً أم جماعات، وجاءت في اتجاهين؛ علو محمود، وعلو مذموم، الأول ورد في سياق عطاء رباني من الله به على الأنبياء، أو على الجماعة المؤمنة، والثاني ارتبط بتكبر بعض الأفراد أو ظلمهم، كما ارتبط بالفساد، وإن العلو المذموم يعد من ثمرات العمران، بينما العلو المذموم يعد من معوقات العمران.

❖ الارتفاع:

وردت مادة رفع بمشتقاتها في تسعة وعشرين موضعاً، وجاءت دلالاتها الموضوعية في عدة مجالات، ما يتصل منها بالعمران هو الرفع المعنوي لدرجات

الناس في الدنيا، وقد وردت في ستة مواضع، في خمس سور (الأنعام، والأعراف، ويوسف، والزخرف، والمجادلة): ﴿... نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ...﴾ [الأنعام: ٨٣]، ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَيْنَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٦٥]، ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا...﴾ [الأعراف: ١٧٦]، ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ... نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ٨٣]، ﴿... وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا...﴾ [الزخرف: ٣٢]، ﴿... يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ...﴾ [المجادلة: ١١].

خلاصة الدراسة السياقية للارتفاع:

بيّنت الدراسة التفصيلية للسياق أن الارتفاع ورد في دلالات معنوية ترتبط بالإنسان دوماً، وذلك باعتباره عطاءً ربانياً، يتم وفق أسباب وسنن إلهية، ويمس الأفراد والجماعات، ويُعدّ من ثمرات إقامة العمران الفردي والجمعي، وأن تلك السنن الإلهية الاجتماعية لها ارتباط وثيق بقضية العمران، وتتلخص بما يلي:

القانون الأول: تفاضل الدرجات بين الناس سنة إلهية، ومحل ابتلاء كل في

درجته

إن حسن تقدير المكانة والمواهب من شروط حسن الأداء الموصل إلى العمران، وفي هذا قال ماجد عرسان الكيلاني: "إن الله سبحانه يخلق في كل جيل درجات من الفهم والعلم ليصير منهم قادة يمتحنون – أو يبتلون حسب التعبير القرآني – بحسن الإنجاز وحمل المسؤولية، وأتباعاً يمتحنون بحسن الاقتداء والتنفيذ ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ

لَيَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَيْنَاكُمْ... ﴿[الأنعام: ١٦٥]^(١)﴾، وإن هذا القانون يربط بين الاعتقاد والتطبيق، ويدلّ على أنه من حسن التوحيد فقه السنن الالهية الاجتماعية، ومن حسن التطبيق اتقان القيادة والاتباع لتحقيق العمران.

وقد ورد في ذات السورة جانب مخصص من القانون، هو جانب التفاضل والرفع في العلم والحجة ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ٨٣]، حيث ورد في سياق محاجة إبراهيم عليه السلام مع قومه، ليكون العمل على اكتساب

الحجة محل اهتمام لكل مصلح خلال ممارسة إصلاح المجتمع وعمرانه. كما نجد تأكيداً على القانون في سورة يوسف ﴿... نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦]، وذلك في سياق قصة يوسف عليه السلام، وفيه التأكيد على أن الأمر في رفع الدرجات يعود لله وحده.

القانون الثاني: تفاضل الدرجات بين الناس يؤدي إلى تسخير بعضهم لبعض، وإلى التعاون بينهم.

إن هذا القانون مستخرج من آية سورة الزخرف حول موضوع الرفع: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣٢]، قال سيد: "إن كل البشر مسخر بعضهم لبعض، ودولاب الحياة يدور بالجميع، ويسخر بعضهم لبعض في كل وضع وفي كل ظرف ... العامل مسخر للمهندس ومسخر لصاحب العمل. والمهندس مسخر للعامل ولصاحب العمل، وصاحب العمل مسخر للمهندس وللعامل على السواء، وكلهم

(١) الكيلاني، هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس، مرجع سابق، ص ٣٤٦

مسخرون للخلافة في الأرض بهذا التفاوت في المواهب والاستعدادات، والتفاوت في الأعمال والأزلاق ..^(١)، إن هذا القانون يصحح تصور الناس تجاه الدنيا، لأنه يبين أن الجميع مسخر لبعضهم وفق ما آتاه الله، ولأنه يدعوهم لتصحيح علاقاتهم فيما بينهم، ويوجههم جميعاً للاستخلاف في الأرض.

القانون الثالث: الإيمان وحسن العمل والعلم مدعاة لرفع الدرجات

إن هذا القانون مستخرج من الآية التي ورد فيها الرفع في سورة المجادلة ﴿... يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١]، حيث جاء القانون محفزاً للعلم من جهة، ودافعاً للحرص على رضا العليم الخبير، وقد سبق وضربت سورة الأعراف مثلاً بمن استهان بما أوتي من العلم الذي كان سيرفعه، واختار الأرض، وركن للدنيا ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا، وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ ...﴾ [الأعراف: ١٧٦].

❖ الظهور:

وردت مادة ظهر بمشتقاتها في واحد وثلاثين موضعاً، جذرها (ظهر)، وقد تنوعت صيغها الصرفية ودلالاتها الموضوعية، والذي يرتبط بموضوع العمران هو ما يدل على المغالبة وقد ورد إحدى عشرة مرة، في سور: (البقرة، والتوبة، والكهف، والأحزاب، والفتح، والممتحنة، والصف)، وقد ظهرت المغالبة باتجاهين: الأول يدل على غلبة الدين والحق في أربعة مواضع، والثاني يدل على تغلب الأعداء.

غلبة الدين والحق:

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ۚ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣]، ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ

(١) سيد، في ظلال القرآن، ٣١٨٧/٥

لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿[الفتح: ٢٨]﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿[الصف: ٩]﴾ ... حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَرِهُونِ ﴿[التوبة: ٤٨]﴾.

تغلب الأعداء:

﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً ...﴾ [التوبة: ٨]،
 ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ ...﴾ [الكهف: ٢٠]، ﴿إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٩]، ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَهَرُوهُمْ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ ...﴾ [الأحزاب: ٢٦]، ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظْهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤]، ﴿... تَظْهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدُوتِ ...﴾ [البقرة: ٨٥]،

نصرة الله: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحریم: ٤].

خلاصة الدراسة السياقية للظهور:

يمكن تلخيص الدراسة السياقية لقضية الظهور وتفاعلاتها مع قضية العمران بمايلي:

- قضية الظهور تحمل البعد المعنوي، وترتبط بالكيان الجمعي.
- ورد ذكر الظهور بمعنى غلبة الدين الحق، وهو ما يعد من دواعي حماية العمران، كما يعد من ثمرات إقامة العمران.

- اقترن ظهور أمر الله بمجيء الحق ومواجهة الفتن التي تعد من معوقات العمران.
- اقترن ظهور الكافرين بظلمهم للمؤمنين الذي يعد من معوقات العمران

❖ الوراثة:

وردت مادة (ورث) خمساً وثلاثين مرة، في أربعة وثلاثين موضعاً، وقد جاءت في عدة دلالات موضوعية، منها ما يتعلق بالعمران، في موضوعي؛ وراثة العلم، ووراثة الأرض.

أولاً - وراثة العلم:

وراثة العلم وردت سبع مرات في ستة مواضع، واختصت بمجالات ميراث النبوة والكتاب: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُدَ...﴾ [النمل: ١٦]، ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَآجَعْلُهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [مريم: ٦]، ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ...﴾ [الأعراف: ١٦٩]، ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ﴾ [غافر: ٥٣]، ﴿... وَإِنَّ الَّذِينَ أُوْرِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٌ﴾ [الشورى: ١٤]، ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا...﴾ [فاطر: ٣٢]، وإن قضية وراثة العلم ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالعمران كما سيتبين لاحقاً.

ثانياً - وراثة الأرض:

وراثة الأرض وردت سبع مرات في سبعة مواضع، واختصت بإيراث العباد الصالحين، والمستضعفين منهم: ﴿... إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ...﴾ [الأعراف: ١٢٨]، ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، ﴿وَأَوْرَثَكُمُ أَرْضَهُمْ وَدِيرَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا

لَمْ تَطْهَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿ [الأحزاب: ٢٧]، ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا...﴾ [الأعراف: ١٣٧]، ﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [الشعراء: ٥٩]، ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ...﴾ [الأعراف: ١٠٠]، ﴿... وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص: ٥].

خلاصة الدراسة السياقية للوراثة:

ورد مفهوم الوراثة الذي يتعلق بالعمران باتجاهين، معنوي ومادي، الأول هو وراثة العلم، ويتعلق بالأفراد والمجتمعات، والثاني هو وراثة الأرض، ويتعلق بالمجتمعات، وتُعدّ وراثة العلم من مقومات العُمران، بينما تُعدّ وراثة الأرض من ثمرات العُمران.

❖ الاستخلاف:

إن جذر مصطلح (الاستخلاف) هو (خَلَفَ)، وقد وردت المادة مئة وإحدى وثلاثين مرة في مئة وعشرين موضعاً، وفق عدة دلالات موضوعية، ما يلتقي منها مع قضية العمران هو موضوع تحقيق الإصلاح في الأرض وفق مراد الله، ومجيء قوم بعد قوم يقومون بالمهمة، وقد وردت تلك الدلالات في أحد عشر موضعاً، وذلك في سور: (البقرة، وآل عمران، النساء، والأنعام، والأعراف، ويونس، والنور، والنمل، وفاطر، وص، والزخرف).

وموضوع الاستخلاف بينته آية سورة البقرة ﴿... إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً...﴾ [البقرة: ٣٠]، قال البقاعي في تفسيرها: "ال خليفة ذات قائم بما يقوم به المستخلف على حسب رتبة ذلك الخليفة منه، فهو خليفة الله في كونه مُلكه

وملكوته، وهم أيضاً بعضهم خلفاء بعض؛ فهو خليفة بالمعنيين^(١)، وربط ابن عاشور بينها وبين العمران بقوله: "فالخلافة في الأرض هي القيام بحفظ عمرانها ووضع الموجودات فيها في مواضعها، واستعمالها فيما استعدت إليه غرائزها"^(٢)، وإن هذا الربط يُعد من باب التناسب الموضوعي بين آية الاستخلاف وآية الاستعمار.

إن مجيء قوم بعد قوم والذي يعد استخلاقاً جمعياً ورد في عدة مواضع:

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ...﴾ [الأنعام: ١٦٥]، ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ...﴾ [فاطر: ٣٩]، ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ١٤]، ﴿... وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عِقَابُ الْمُزْدِئِرِينَ﴾ [يونس: ٧٣]، ﴿... وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً فَادْكُرُوا ءَالَآءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ٦٩]، ﴿وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ... فَادْكُرُوا ءَالَآءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ٧٤]، ﴿... وَيَجْعَلْكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ...﴾ [النمل: ٦٢]، ﴿... إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفَ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾ [الأنعام: ١٣٣]، ﴿... قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٩]، ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ..﴾ [النور: ٥٥].

(١) البقاعي، نظم الدر، ١/ ٢٣٥

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٢/ ١٢٩

خلاصة الدراسة السياقية للاستخلاف:

توصلت الدراسة التفصيلية لسياقات الورود إلى النقاط التالية:

- يرتبط موضوع الاستخلاف مع العُمران في قضية إصلاح الأرض، الأمر الذي تبين من مفهوم قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً...﴾ [البقرة: ٣٠]، حيث بيّن ابن عاشور أن الغاية من الاستخلاف هي الإصلاح الذي اتضح من سؤال الملائكة عن القيمة المقابلة للإصلاح، وهي الإفساد^(١)، لذلك قال في تفسيره للآية: "واعلم أن صلاحه (يقصد العالم) يحصل منه المقصد من تعمير الأرض، وأن فسادَه لا يأتي على المقصد بالإبطال، وأن في ذلك كله مصالح عظيمة"^(٢).
- تقوم الكيانات الجمعية بمهمة الاستخلاف هي إذا تحققت فيها شروط الاستخلاف، وإلا فإن غياب الشروط فيها مؤذن بزوالها.
- تُعدّ قضية الاستخلاف بمعنى مجيء قوم بعد قوم هي سنة إلهية، وإن علّة ذلك الاستخلاف هو حسن التفاعل مع الابتلاء الجمعي.
- إن الاستخلاف يحتاج مقومات مادية وأخرى معنوية ينعم الله بها على الأقوام.
- إن الابتلاءات الإلهية الجمعية تتناسب مع العطايا والمواهب الإلهية للمجتمع.
- إن تباين درجات الأمم أيضاً سنة إلهية اجتماعية، وإن العلة في ذلك التباين هو الابتلاء الجمعي.
- يرتبط دوام الاستخلاف الجمعي بالنهي عن الفساد في الأرض.
- يرتبط الاستخلاف الفردي بتحقيق قيمة الحق.

(١) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٤٠٣/١.

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٤٠٦/١.

- يحصل استخلاف قوم بعد إهلاك من سبقهم، بسبب الظلم والتكذيب.
- يُعد الاستخلاف هدف العملية العمرانية، ويُعد من ثمراتها من جهة أخرى.

❖ التسخير:

إن مفهوم التسخير كما ورد في القرآن هو إخضاع وتذليل الله للمخلوقات والجمادات لمنافع البشر وتوظيف السنن الكونية لمصلحتهم^(١)، وهذا المعنى يُعد من مقومات العمران، وقد ورد في ستة عشر موضعاً من أصل مئة وثلاثين مرة، من مجمل مادة (سخر)، وذلك في سور (البقرة، والأعراف، والرعد، وإبراهيم، والنحل، والحج، والعنكبوت، ولقمان، وفاطر، والزمر، والزخرف، والجناتية).

﴿... وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد: ٢]، ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ...﴾ [العنكبوت: ٦١]، ﴿... وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى...﴾ [لقمان: ٢٩]، ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى...﴾ [فاطر: ١٣]، ﴿... وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾ [الزمر: ٥]، ﴿... وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ﴾ [إبراهيم: ٣٢]، ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ [إبراهيم: ٣٣]، ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النحل: ١٢]، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ...﴾ [الحج: ٦٥]، ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ...﴾ [لقمان: ٢٥]

(١) الخالدي، صلاح، مظاهر النهضة في القصص القرآني، من أبحاث المؤتمر القرآني الثالث، القرآن الكريم ومقومات النهضة، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، ط ١، ٢٠١١، ص ١١١

[٢٠]، ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لَتَجْرِيَ فِيهِ فَلَكَ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ۚ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمُوتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ ... ﴿[الجاثية: ١٢-١٣]، ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ...﴾ [النحل: ١٤]، ﴿... وَتَقُولُوا سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ [الزخرف: ١٣]، ﴿... كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْكُمْ ۗ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج: ٣٧]، ﴿... وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لِآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤]، ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمُوتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ إِلَّا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]، ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْاءِ السَّمَاءِ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٧٩].

خلاصة الدراسة الساقية للتسخير:

لقد بينت الدراسة السياقية لمواضع ورود التسخير أنه ورد في اتجاهين؛ الأول مادي يخص عناصر الأرض والسماء، والثاني معنوي يتعلق بتسخير الناس بعضهم لبعض، وأن كلا من التسخير المادي والمعنوي يخص الأفراد كما يخص الجماعات، وأنه مرتبط أشد الارتباط بقضية العمران، بل يمكن اعتباره المقوم الأول من مقومات العمران، ويظهر أنه كلما كان فهم قضية التسخير أكثر عمقاً كان تحقيق العمران أحسن.

التمكين:

لقد ورد مصطلح التمكين في القرآن الكريم في ثمانية عشر موضعاً، ما يتعلق بالعمران منها تسع مرات في سبعة مواضع، في ست سور: (الأنعام، والأعراف، والحج، والنور، والقصص، والأحقاف).

وقد تبين أن دلالة المصطلح في القرآن تعني القدرة على التصرف، حيث قال فيه ابن عاشور: "والتمكين جعل الشيء في مكان، وهو يطلق على الإقذار على التصرف، على سبيل الكناية، ... وهو مستعمل هنا في معناه الكنائي لا الصريح، أي جعلنا لكم قدرة، أي أقدرناكم على أمور الأرض وخولناكم التصرف في مخلوقاتنا، وذلك بما أودع الله في البشر من قوة العقل والتفكير"^(١)، والتمكين بهذا المفهوم عطاء رباني لتحقيق المشروع العمراني في الأرض، واستثمار ثرواتها، وهو الأمر الذي يُعدّ من مقومات العمران.

ويلاحظ من استقراء سياقات الآيات التي ورد فيها التمكين، أنه دلّ على أمرين رئيسين: الأول هو تمكين ابتدائي يتمثل في مؤهلات أودعها الخالق في الذات البشرية تمكنها من التحكم بالعناصر المسخرة في السماوات والأرض، من جهة، ومواصفات خارجية في البيئة المحيطة المساعدة، من جهة أخرى، والأمر الثاني هو تمكين نهائي يتمثل في عطاء إلهي نتيجة الإيمان والأعمال التي قدّمها الإنسان خلال مسيرته العمرانية.

الأمر الأول – التمكين ابتداءً: إن التمكين ابتداءً دلّ على مؤهلات معنوية في الذات الإنسانية، تحقق القدرة على التحكم في الثروات المادية في الأرض ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشٌ...﴾ [الأعراف: ١٠]، كما تمثّل

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٨-ب/٣٣

بمؤهلات مادية تتعلق بالمواصفات الجسمية ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَكُم فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرًا وَأَفْهَدَةً...﴾ [الأحقاف: ٢٦]، إضافة إلى إمكانات تتعلق بالمحيط الخارجي، مثل توفير الثروات الطبيعية، وتحقيق الأمن اللازم لإتمام متطلبات العمران، ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي فِي تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ [الأنعام: ٦]، ﴿... أَوْ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجَبَّى إِلَيْهِ ثَمَرَتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القصص: ٥٧]، هذا إضافة إلى البيان أن التمكين المبدئي يعين على أداء العبادات، وتحقيق العمران في الأرض ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عِقَابُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١].

الأمر الثاني - التمكين نتيجة: إن التمكين النهائي يحدث بالإيمان والأعمال الصالحة، ويؤدي إلى الاستخلاف ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا...﴾ [النور: ٥٥]، وإن من أهم وسائل حدوث التمكين إزالة الطغاة ﴿وَنُمَكِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ...﴾ [القصص: ٦].

خلاصة الدراسة السياقية للتمكين:

بينت السياقات المختلفة للتمكين أنه دائماً مسند إلى الله تعالى، وأنه نوعان: الأول: هو تمكين ابتدائي يتمثل في مواهب ومواصفات أودعها الله في الذات البشرية لتحصيل القدرة على التحكم بالعناصر المسخرة في السماوات والأرض،

من جهة، وتمكين خارجي في تهيئة البيئة المحيطة المساعدة، من جهة أخرى -
والتمكين بهذا المفهوم يُعدّ من مقومات العمران -
والثاني هو تمكين نهائي يتمثل في عطاء إلهي مكافئ لأفعال قدّمها الإنسان،
وابتلاءات نجح فيها الإنسان، خلال مسيرته الإيمانية العمرانية - وهو يعد من
ثمرات العمران -

❖ الإصلاح:

الإصلاح مصطلح قرآني ورد في عشرين موضعاً من أصل مئة وسبع
وتسعين مرة ذكرت فيها مشتقات الجذر (صَلَح) ^(١)، وهو بمعنى التحسين
والإحكام لأُمُور الحياة ^(٢)، والتحسين درجة من درجات البناء، لذلك فهو يلتقي
مع مصطلح العمران في قضية البناء الذي هو ضد الخراب، والإصلاح يعد من
آليات صناعة العمران.

وقد وردت مواضع الإصلاح المرتبطة بدراستنا في سور: (البقرة، والنساء،
والأعراف، وهود، والأنبياء، والشعراء، والنمل)، بعض المواضع يتعلق بالإصلاح
الفردى، وبعضها يتعلق بالإصلاح الجمعي، ولدى التأمل في دلالات ورود الإصلاح،
المتعلقة بالعمران، تم التوصل للأمور التالية: الإصلاح يؤدي إلى أمن العمران:
﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: ١١٧]، وهو السبيل
لورثة المشروع العمراني: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا
عِبَادِي الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، وقد ورد الإصلاح مقابل الإفساد ﴿الَّذِينَ

(١) عبد الباقي، محمد فؤاد، ١٤٢٨ هـ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، نشر دار الحديث، القاهرة،
ط ١، ٢٠٠٧ م، ص ٥٠٤-٥٠٧.

(٢) أسمر، علي، النهضة في القرآن الكريم بناؤها ومقوماتها من خلال سورة الكهف، جمعية المحافظة على
القرآن الكريم، ط ١، ٢٠١٨ م، ص ٥١.

يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿الشعراء: ١٥٢﴾، ﴿... يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ [النمل: ٤٨]، وذكر النهي الصريح عن الإفساد ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ...﴾ [الأعراف: ٥٦]، ﴿... وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ...﴾ [الأعراف: ٨٥]، وقد تم تخصيص بني اسرائيل بالإفساد ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكُتُبِ لَنُفْسِدَنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ ...﴾ [الإسراء: ٤]، وتم البيان أن الإصلاح سبيل لتلقي الأجر ﴿... إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٠]، وأنه منهج نبوي: ﴿... إِن أُرِيدُ إِلَّا لَإِصْلَاحٍ مَا اسْتَطَعْتُ ..﴾ [هود: ٨٨] .

خلاصة الدراسة السياقية لقضية الإصلاح:

- أظهرت الدراسة السياقية التفصيلية لموضوع الإصلاح القضايا التالية:
- الإصلاح من لوازم الاستخلاف، وهو من الغايات العليا لتحقيق العمران
- الإصلاح في مرحلة ما قد يبدو من آليات صناعة العمران، ويمكن من وجهة نظر أخرى اعتباره ثمرة من ثمراته.
- الإصلاح يتم باتجاه معنوي ومادي، ويخص الأفراد كما يخص المجتمعات.
- تبين المشيئة الربانية وجود أصناف بشرية قد لا تختار الإصلاح في الأرض، رغم وجود من يدعوهم للإصلاح، وينهاهم عن الفساد والإفساد.
- من الممكن انتقال المفسدين إلى صنف المصلحين إن اختاروا التوبة.
- ارتبطت الدعوة للتوحيد بالدعوة للإصلاح من خلال قيم العدل والميزان والأمانة
- في المعاملات الاقتصادية، مما يبين أحد مجالات العمران.
- الإصلاح يحتاج مرجعية من الكتاب.

- يوجد ارتباط عادل بين العلم والعمل، وبين العمل وبين الأجر، وتلك أهم ثمرات العمران.
- الإصلاح الجمعي يحقق دوام العمران وأمنه، قال صاحب المنار: "فهذا بيان لسنته - تعالى - في الأمم قديمها وحديثها، ولا تغني عن شعوب الإفرنج معرفتهم بهذه السنة ومحاولة اتقائها لها؛ فحكماءؤهم وهم أولو البقية والأحلام الذين يهنونهم عن الفساد في الأرض، يصرحون بأنهم سيهلكون كما هلك من قبلهم، ولن تغني عنهم قوتهم، بل تكون هي المهلكة لهم"^(١).
- الإصلاح يحقق وراثة الأرض.
- إن العمران المادي إن لم يرتبط بقيم إيمانية يعد فساداً وليس إصلاحاً، ويعد خراباً وليس عمراناً، فلما كان ذلك البناء الحضاري كأنه بناء إعلامي عن حضارة فارغة من المحتوى الذي يرفعها للمستوى العمراني.

خلاصة الدراسة اللغوية والسياقية للألفاظ المقاربة لمعنى العمران في القرآن:

بينت الدراسة المعجمية للمقاربات أنها تلتقي مع مفهوم العمران في أحد جانبي المفهوم، فبعضها يتقارب مع أصل العلو والارتفاع، وبعضها يتقارب مع أصل البقاء عبر مر الزمان، أما التقارب مع الأصل الأول فيتمثل بمشتقات (البناء، والإنشاء، والتشييد، والقيام، والتأسيس، والعلو، والارتفاع، والظهور)، وهي تتقارب مع المفهوم اللغوي المباشر للعمران، بينما يتمثل الأصل الثاني بمشتقات (الوراثة، والاستخلاف، والتسخير، والتمكين، والإصلاح)، وهي ترتبط مع دلالة مفهوم العمران، وصفاته، وغاياته، وقد بينت الدراسة أن تلك المقاربات قد حملت دلالات مادية ومعنوية في آن معاً.

(١) رضا، المنار، ١٥٩/١٢

أما نتائج الدراسة في الاستعمال القرآني فإنها تبين أن بعض المقاربات وردت بدلالات مادية فقط وهي: (البناء، والتشييد، والتسخير)، بينما جاء بعضها بدلالات معنوية فقط، وهي: (التأسيس، والعلو، والارتفاع، والظهور، والاستخلاف)، وحمل بعضها دلالات معنوية ومادية معاً، وهي: (الإنشاء، والقيام، والتمكين، والإصلاح، والوراثة).

وبالنظر إلى خطاب التكليف في تلك المواضع يتبين أن بعضها اتجه نحو الكيانات الفردية أو نحو الكيانات الجمعية المحدودة، وهي: (البناء، والتشييد، والتأسيس)، بينما كانت معظمها ترتبط بالكيانات الفردية والجمعية معاً، وهي: (الاستخلاف، والإنشاء، والقيام، والعلو، والارتفاع، والظهور، والوراثة، والتسخير، والتمكين، والإصلاح).

ولدى تصنيف تلك الموضوعات ضمن أقسام النظرية المفترضة يتبين مايلي: من مقومات العمران يتبين (التسخير والتمكين ووراثة العلم)، من آلياته يتضح (البناء، والتشييد، والتأسيس، والقيام)، من معوقاته (العلو المذموم)، ومن ثماره (وراثة الأرض، والظهور، والعلو المحمود، والارتفاع، والإصلاح، وإنشاء الأمم، والاستخلاف)، وسيظهر الأثر المهم لهذه النتائج لاحقاً - بإذن الله - في مباحث بناء مكونات النظرية العمرانية.

وإن دراسة سياقات ورود مقاربات موضوع العمران يبيّن أن بعضها حمل دلالات مادية، وبعضها حمل دلالات معنوية، وبعضها حمل الجانبين، كما كان بعضها يشير لجانب فردي، وبعضها يشير لجانب جمعي، ومنها ما أشار للجانبين معاً، وأن كلاً منها يحتل مركزاً واضحاً ضمن مكونات النظرية العمرانية.

■ المقاربات التي حملت دلالات مادية فقط: البناء، والتشييد.

- المقاربات التي حملت دلالة معنوية فقط: العلو، والارتفاع، والظهور، والاستخلاف.
- المقاربات التي حملتهما معاً: الإنشاء، والقيام، والوراثة، والتمكين، والإصلاح.
- وكان بعضها في مجال جمعي، وبعضها في مجال فردي، وبعضها في المجالين معاً:
- المقاربات التي أشارت لمجال فردي فقط: التشييد، والتأسيس.
- المقاربات التي أشارت لمجال جمعي فقط: الظهور.
- المقاربات التي أشارت للمجالين؛ الفردي والجمعي: البناء، والإنشاء، والقيام، والعلو، الارتفاع، الوراثة، الاستخلاف، والتسخير، والتمكين، والإصلاح.

نتائج الدراسة اللغوية والسياقية في ضوء موضوع العُمران:

بعد الجولة اللغوية والسياقية لمشتقات العُمران ومقارباته في الفصل السابق، ولدى التأمل في مواضع الورد لتحديد الآيات المحورية التي سيتم الانطلاق منها لبناء مكونات نظرية العُمران؛ تبين وجود آيتين محوريتين، يجمع بينهما تناسب يصب في صلب موضوع العُمران، الآية الأولى هي آية الاستعمار: ﴿... هُوَ أَنشَأَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ وَأَسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ...﴾ [هود: ٦١]، والآية الثانية هي آية الاستخلاف: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ...﴾ [البقرة: ٣٠]، أما طبيعة التناسب بينهما فهو كون الخلافة في الأرض تتحقق بمشروع العُمران، وقد أشار إلى ذلك أكثر من مفسر^(١).

(١) قال سيد: "لقد خفيت عليهم (يقصد الملائكة) حكمة المشيئة العليا، في بناء هذه الأرض وعمارتها، وفي تنمية الحياة وتنويعها، في ظلال القرآن، ٥٧/١ - كما سبق ذكر قول ابن عاشور حول طبيعة الارتباط بين الخلافة والعُمران، وذلك عند دراسة مقارنة الاستخلاف، حيث قال: "فالخلافة في الأرض هي القيام بحفظ عمرانها ووضع الموجودات فيها في مواضعها، واستعمالها فيما استعدت إليه غرائزها"، التحرير والتنوير، ٢٣٥/١

ولدى التأمل في نتائج سياقات ورود كل من مقاربات العمران في ضوء القضية العمرانية، تبين أن منها ما يعد من مقومات العمران، ومنها ما يُعد من موجهاته، أو من مجالاته، أو من معوقاته، ومنها ما يُعد من آلياته، أو ثمراته، وبناء عليه يبدو تشكل مكوّنات نظرية العمران وفقاً لما يلي: (المقومات، والموجهات، والمجالات، والمعوقات، والآليات، والثمرات)، ويمكن تصنيف المقاربات ضمنها وفقاً لما يلي:

- من مقومات العمران: التسخير، التمكين، القيام.
 - من موجهات العمران: التأسيس القيمي، القوامة بالقسط، الميزان، إضافة إلى مراعاة السنن الإلهية.
 - من معوقات العمران: التشييد المفتقر للقيم، العلو المذموم، ظهور الأعداء.
 - من آليات العمران: الإصلاح المرحلي، البناء، إنشاء النبات، مقاومة معوقات العمران.
 - من ثمرات العمران: إنشاء الأمم، العلو، الارتفاع، ظهور المؤمنين، وراثة الأرض، الاستخلاف، التمكين، الإصلاح الشامل.
- ولمزيد من التوضيح يحسن تنسيق نتائج الدراسة السابقة بمخطط إجمالي، يراعي الربط مع موضوع العمران، ويساعد على التمهيد للفصلين القادمين.

نتائج الدراسة اللغوية والسياقية في ضوء القضية العمرانية



الفصل الثاني

مقومات البناء العمراني في الرؤية القرآنية وموجّهاته ومجالاته

تجري في هذا الفصل محاولة البدء بنسج شبكة بناء المشروع العمراني وفق الرؤية القرآنية، من خلال المنهج الترابطي والبنائي الذي يعتمد الربط والتنسيق بين النتائج التي تم التوصل إليها بالاستقراء والتحليل، مع إضافة ما يلزم من عناصر ومفاهيم قرآنية، تتناسب وتتكامل مع المعاني السابقة، وتكمل بناء المفهوم، وذلك بهدف التوصل إلى مكّونات نظرية البناء العمراني، وتقديم التصور لتلك الشبكة من خلال بيان مقومات هذا البناء العمراني، وتحديد موجّهاته، وتوضيح مجالاته، كما ظهر للدراسة، بالنظر والتأمل في آيات القرآن الكريم.

المبحث الأول: مقومات البناء العمراني في الرؤية القرآنية

قبل البدء ببيان ماهيّة مقومات البناء العمراني المقصود؛ يحسن بيان معنى المقومات والمفهوم المقصود لهذا المصطلح.

معنى المقومات: ورد تعريف للمقومات في (معجم اللغة العربية المعاصرة) وفق مايلي: "المقومات هي جمع مقوم، وتطلق لغير العاقل، وهي اسم فاعل من قوّم، وتعني ما يعطي قيمة لعمل أو شخص أو مجموعة (خبراء مقومون)، كما تدلّ على كلّ ما يتألف أو يتركّب منه جسم أو جهاز أو مشروع من عناصر أساسيّة تسهم في قيامه ووجوده وفاعليّته (مُقومات الحياة/ الجمال - المقومات العمرانيّة)"^(١).

(١) عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، مرجع سابق، ١٨٧٩/٣

مفهوم مقوّمات البناء العمراني : بناء على ماسبق ترى الدراسة أن مفهوم مقوّمات البناء العمراني المقصود هو مجموعة العناصر والأركان الأساسية التي يتألف منها المشروع العمراني، وفق المنظور القرآني.

المقومات الرئيسة للبناء العمراني:

لقد ساعدت الدراسة التفصيلية التي تمت في الفصل السابق حول مادة (عَمَرَ) ومقارباتها في القرآن الكريم، وما يتصل بها من دراسة لغوية وسياقية، في محاولة اكتشاف هذه المقومات وتحديدتها وضبطها في مقومات ثلاثة هي: (التسخير والتمكين والتكليف)

وقد تم استنباط هذه المقومات من قصة آدم عليه السلام، حيث تم تسخير الأرض والسماء له قبل الخلافة، ثم ورد ذكر المؤهلات التي منّ الله تعالى بها على آدم، والتي تمكنه من التفاعل مع المسخرات، ثم ذكر التكليف.

- يتجلى مفهوم التسخير في تكوين البعد الخارجي والمادي للعمران، ويظهر في تسخير عناصر الكون للإنسان.
- يتجلى مفهوم التمكين في تكوين البعد الداخلي الإنسان المؤهل للقيام بالعمران، وتمكينه من التفاعل مع العناصر المسخرة، وذلك وفق نوعين من المؤهلات، وفي بعد ثالث مساعد:
- مؤهلات معنوية ذاتية: اختياره خليفة، وتعليمه، والزوجية، وتحذيره من العداوة، وهدايته، ومنحه الإرادة والاختيار، ودلالته على مسار التوبة.
- مؤهلات مادية ذاتية: خلقه في أحسن تقويم، وتزويده بالحواس والإدراك، وقوة الجسم.

مؤهلات مساعدة: تتمثل في المكان الذي تدل عليه الإقامة والاستقرار، وإتاحة الزمن لتحقيق العمران.

■ يبدو مقوم التكليف في وسع الإنسان القيام بالعمران، ومهامه المكلف بها، ويظهر ذلك ببيان: دلالة التكليف، والمستهدف بالتكليف، وموجّهات التكليف؛ (توحيد مصدر الاستمداد، والتقويم المستمر، واستثمار ثروات الأرض، والاعتبار بالتاريخ، واستثمار المواهب).

المطلب الأول - مقوم التسخير

إذا كانت حقيقة التسخير هي التذليل والتطويع، وهي مجاز في جعل الشيء قابلاً لتصرف غيره فيه - كما قال ابن عاشور^(١)، فإن ذلك يقتضي من الإنسان الاستفادة الممكنة من كل تلك العناصر المسخّرة، كل حسب طبيعته ومواصفاته التي جُبل عليها، ووظائفه التي خُلق لها، وإذا كانت البشرية قد أدركت ذلك - بشكل عفوي - خلال علاقتها بالكون وعملت على استثمار مافيه عبر مسيرتها الحضارية، فإن الإنسان الذي تشرف بتلقي خطاب خالق الأكوان هو الأولى بإدراك تلك العلاقة مع المسخّرات الكونية، وهو الأجدر باستثمارها الاستثمار الأمثل.

ولدى النظر والتأمل في كتاب الله؛ نجد أن المخلوقات المسخّرة للإنسان قد ذُكرت تصريحاً وضمنياً، إجمالاً وتفصيلاً، وقد ورد ذكرها مجملة ضمنياً قبل أن يعلن الخالق عز وجل مشيئته الربانية بجعل الإنسان خليفة في أرضه.

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمُوتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩]، ثم قال: ﴿... إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً...﴾ [البقرة: ٣٠]

(١) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٣٥/١٣

إذن لقد كان خلق ما في الأرض جميعاً وتسوية السماء بمثابة تهيئة البيئة الكبرى للإنسانية لكي تتمكن من مهمة استعمار الأرض، من خلال تسليمه زمام أمورها، وإطلاق يده فيها، وتمكينه من اكتشاف كنوزها وخاماتها، وتوكيله إبراز مشيئة الخالق في الإبداع والتكوين، وتحقيق مبدأ الاستخلاف^(١)، وقد أشار عماد الدين خليل لموضوع التسخير، بقوله: "فها نحن إذن من خلال عالم سُخِّرَ لنا، واستخلفنا عليه، لكي نبنيه ونعمره ونهض به، نجد أنفسنا قبالة برنامج عمل مكن الأمة الإسلامية زمن انبعاثها من أن تصوغ حضارة كانت سيدة الحضارات في هذا العالم على مدى قرون عديدة"^(٢).

وحقاً نتمكن من إدراك علاقة المسخرات بالعُمران؛ نحتاج إلى تحديد مجالات التسخير، والمقاصد من ذكرها، ومظاهرها وتجلياتها، وكل ذلك من خلال النظرة القرآنية:

أولاً - مجالات التسخير:

لقد أخبرنا الخالق العظيم أنه سُخِّرَ لنا ما في السموات وما في الأرض بإجمال يشمل كل عناصر السموات والأرض، فقال: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمُوتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ...﴾ [لقمان: ٢٠]، وقال: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمُوتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ١٣]، في الموضوع الأول يسأل سؤال تنبيه وتفكر بصيغة ﴿أَلَمْ تَرَوْا﴾، وفي الموضوع الثاني يختم الآية

(١) لقد ورد في التفاسير تلك المعاني، ومنها قول سيد: "وإذن فهي المشيئة العليا تريد أن تسلم لهذا الكائن الجديد في الوجود، زمام هذه الأرض، وتطلق فيها يده، وتكل إليه إبراز مشيئة الخالق في الإبداع والتكوين، والتحليل والتركيب، والتحويل والتبديل وكشف ما في هذه الأرض من قوى وطاقات، وكنوز وخامات، وتسخير هذا كله - بإذن الله - في المهمة الضخمة التي وكلها الله إليه، في ظلال القرآن، ٥٦/١".

(٢) خليل، مفهوم الإعمار وعلاقته بالهضبة في ضوء القرآن الكريم، مرجع سابق، ص ١٥.

بجملّة تحت على التفكير ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾، وفي كلا الموضعين تظهر الدعوة للتفكير.

وفي مواضع أخرى فصلّ في بيان العناصر المسخّرة في السموات، وهي: الشمس، والقمر، والنجوم، والليل، والنهار: ﴿... يُعْشِي آلِيلَ النَّهَارِ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ آلِيلَ النَّهَارِ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ﴾ [النحل: ١٢]، ﴿يُولِجُ آلِيلٌ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارُ فِي آلِيلٍ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلًّا يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى...﴾ [فاطر: ١٣]، ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ آلِيلَ وَالنَّهَارَ﴾ [إبراهيم: ٣٣]، يلاحظ في الآيات ترافق ذكر تسخير الليل والنهار مع ذكر الشمس والقمر والنجوم، مما يشير للرباط بينهما، باعتبار أن الليل والنهار من الآثار المترتبة عن حركة الشمس والقمر والنجوم، مما يشكل عنصر الزمن اللازم لتحقيق عمران الأرض.

كذلك فصلّ في ذكر عناصر الأرض المسخّرة وهي: البحار، والأنهار، والفلك، والأنعام: ﴿... وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾ [إبراهيم: ٣٢]، ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا...﴾ [النحل: ١٤]، ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ...﴾ [الجاثية: ١٢]، ﴿وَالْبَدَنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعِيرٍ اللَّهُ لَكُم فِيهَا خَيْرٌ... كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُم لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الحج: ٣٦].

وإن التأمل في هذه المجموعة من المسخرات يوحي بأهمية قيمة الشكر هنا، التي تترجم قولاً عملاً، فالبحار والأنهار مسخرة لتشكيل وسيلة مواصلات، ومصدر ثروات طبيعية، مما يدعو للاهتمام بها كمصدر رئيس في المسيرة العمرانية، إضافة

إلى أنها تشكل مظهر تكريم للإنسان كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠]، كما ذكر تسخير عنصرين بين السماء والأرض ألا وهما السحاب، والريح:

﴿... وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤]، ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ [ص: ٣٦]، وإن فاصلة الآية بقوله تعالى: ﴿لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ أمر يدعو إلى تشغيل العقل في ذلك الموضوع، استدلالاً وامتناناً وتفاعلاً علمياً نظرياً وعملياً، خلال عملية العمران.

ومما سبق يظهر أن المسخرات الطبيعية نوعان من حيث طريقة الانتفاع بها، إما تكون مسخرة بذاتها للانتفاع بها، أو تكون سبباً لحصول الانتفاع بغيرها، وقد أشار إلى ذلك أبو السعود في تفسيره بقوله: "والمراد بالتسخير إما جعل المسخر بحيث ينفع المسخر له ... أو لا يكون كذلك، بل يكون سبباً لحصول مراده من غير أن يكون له دخل في استعماله كجميع ما في السماوات والأرض" (١).

وإلى جانب تسخير طاقات الأرض والسماء، أخبرنا الله تعالى أنه أيضاً شاء تسخير الناس بعضهم لبعض، حيث قال: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحِمْتَ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣٢]، بمعنى أن البشر مسخرون لبعضهم بعضاً، ومسخرون للخلافة في الأرض حسب تفاوتهم في المواهب والاستعدادات، وفي ذلك قال سيد "كل البشر مسخر بعضهم لبعض، ... وكلهم

(١) أبو السعود، تفسير أبي السعود، بيروت: دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ، ٧٣/٧، ٧٤

مسخرون للخلافة في الأرض بهذا التفاوت في المواهب والاستعدادات" ^(١)، إذن الله تعالى خلق الناس مختلفين في ما آتاهم الله من المواهب والمهارات والقدرات والاهتمامات، بحيث يتمكن كل منهم من التفاعل مع المسخرات المادية بما يتناسب مع ما آتاه الله، وبما يحقق النفع للآخرين، فيكون مسخراً لغيره، كما يكون غيره مسخراً له، فيتكامل معاش الجميع، وتتم المشاركة في مسيرة العمران، وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم لذلك الأمر بقوله: (كل ميسر لما خلق له) ^(٢)، فذلك ميسر لعلم الفلك، وآخر لعلم الطب، وغيرهم للتجارة أو الزراعة ... الخ، وهكذا يكون بعضهم سخرياً لبعض.

ثانياً - المقاصد من ورود ذكر المسخرات:

إن التأمل والتدبر في آيات التسخير يوصلنا إلى مقاصد أربعة من ورودها: الاستدلال على وحدانية الخالق، والامتنان له لنعمه العظيمة، والانتفاع بالمسخرات، وعمارة الأرض.

أما مقصدا: (الاستدلال والامتنان) فيتضحان من كلام ابن عاشور في سياق تحديد المخاطب في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمُوتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ...﴾ [لقمان: ٢٠]، حيث يقول: "الخطاب في ﴿أَلَمْ تَرَوْا﴾ يجوز أن يكون لجميع الناس مؤمنهم ومشركهم لأنه امتنان، ويجوز أن يكون لخصوص المشركين باعتبار أنه استدلال، والاستفهام في ألم تروا تقرير أو إنكار لعدم الرؤية بتنزيلهم منزلة من لم يروا آثار ذلك التسخير

(١) سيد، في ظلال القرآن، ٣١٨٧/٥

(٢) مسلم، صحيح مسلم، ت ٢٦١ هـ، تحقيق فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ، حديث رقم ٢٦٤٧، ٤/ ٢٠٤٠

لعدم انتفاعهم بها في إثبات الوجدانية، والرؤية بصرية، ورؤية التسخير رؤية آثاره ودلائله، ويجوز أن تكون الرؤية علمية كذلك" ^(١).

وأما مقصدا: (الانتفاع والعمارة) فيظهران من كلام سيد: "وقد سخر الله لهذا المخلوق الإنساني ما في السماوات، فجعل في مقدوره الانتفاع بشعاع الشمس ونور القمر وهدي النجوم، وبالمطر والهواء والطير السابح فيه، وسخر له ما في الأرض، وهذا أظهر وأيسر ملاحظة وتدبرا، فقد أقامه خليفة في هذا الملك الطويل العريض، ومكّنه من كل ما تذخر به الأرض من كنوز." ^(٢)

إذن فإن آيات الله التي تذكر التسخير - تصريحاً أو ضمناً - تقود للاستدلال باتقان الصنع على عظمة ووحدانية الخالق وعلمه وقدرته، وتدعو إلى الامتنان له على ما سخر للإنسان مما يمكن الانتفاع به، وتحمل رسائل تدعو الإنسان لاستلام زمام هذه الأرض، وتطلق فيها يده، وتكل إليه كشف ما في هذه الأرض من قوى وطاقات، وكنوز وخامات، والنظر إلى السماء وبنائها والاستفادة منه، وتسخير هذا كله - بإذن الله - في المهمة الضخمة التي وكلها الله إليه، فكيف فهم المسلمون في عصورهم الذهبية هذه الرسائل؟ وكيف تفاعلوا معها في انجازاتهم الفكرية والعملية؟ وكيف يمكن ترشيد الفهم المستقبلي لتلك الآيات للإسهام في البناء العمراني؟

ثالثاً - مظاهر التسخير في الواقع:

لقد اهتم علماء المسلمين الأوائل بحقيقة الدعوة القرآنية نحو القراءة والعلم، وإمعان النظر والفكر في ملكوت السماوات والأرض، فهذا أبو عبد الله

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٧٤/٢١

(٢) سيد، في ظلال القرآن، ٢٧٩٢/٥

القزويني يدعو في مقدمة كتابه (عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات) إلى إعادة النظر في ظواهر الكون، والبحث عن حكمها وتصاريها، لتظهر لنا حقائقها وتنفتح لنا عين البصيرة، ونزداد من الله هداية و يقيناً، ونزداد في الأرض إعماراً، فيقول: "وليس المراد من النظر تقليب الحدقة نحو السماء، فإن الهائم تشارك الإنسان فيه، ومن لم ير من السماء إلا زرقتهما، ومن الأرض إلا غبرتهما، فهو مشارك للهائم في ذلك وأدنى حالاً منها وأشد غفلة، كما قال تعالى: ﴿... لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَآلَ لَآئِعٍ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩]"^(١)، وبين أن المراد من النظر هو التفكير في المعقولات والنظر في المحسوسات، والبحث عن حكمها وأسرارها^(٢)، ثم بين طريق التفكير فقال: "والفكر في المعقولات لا يتأتى إلا لمن له خبرة بالعلوم والرياضيات، بعد تحسين الأخلاق وتهذيب النفس"^(٣).

وقد حفل التاريخ الإسلامي في عصور تألقه بتفاعلات فكرية وتطبيقية مع مسخرات الطبيعة التي أنعم بها الخالق على البشرية، ظهرت تلك التفاعلات بمؤلفات وإنجازات ترجمتها المسيرة العمرانية التي أشرقت الأرض بنورها، ولازال تأثيرها يمتد إلى زمننا الحاضر، حيث بنى الغرب عليها علومه، وعلى سبيل المثال لا الحصر سيتم ذكر بعض الإنجازات الفكرية التي حققها العقل المسلم وتحولت إلى مشاريع عملية كبرى.

(١) القزويني، زكريا، ت ٦٨٢ هـ، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ط ٣،

١٩٧٨ م، ص ٢٦

(٢) ينظر: القزويني، عجائب المخلوقات، المرجع السابق، الصفحة نفسها

(٣) القزويني، عجائب المخلوقات، المرجع السابق، ص ٢٧

إن آيات تسخير السماوات دفعت نحو تطور علم الفلك، وقد قال البتاني - في القرن الرابع الهجري - في مقدمة كتابه (الزيح الصائب): "إن من أشرف العلوم منزلة بعد العلم بما لا يسع الإنسان جهله من شرائع الدين وسنته؛ علم صناعة النجوم"^(١)؛ وقد بين السبب في ذلك انها تحقق عظيم الانتفاع بمعرفة مدة السنين والشهور والمواقيت، وفصول الأزمان، وزيادة الليل والنهار ونقصانها، ومواضع النيرين وكسوفها، ومسير الكواكب في استقامتها ورجوعها، وتبدل أشكالها ومراتب أفلاكها وسائر مناسباتها، .. وأنها توصل إلى إثبات التوحيد، ومعرفة كنه عظمة الخالق، وسعة حكمته وجليل قدرته، ولطيف صنعه، وكان البتاني كثير الاستشهاد في كتابه بالآيات الكونية في كتاب الله، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]، وقوله ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٥]^(٢)، وإن الإمام البتاني صاحب تلك الكلمات كان قد أنشأ مرصداً فلكياً عرف باسمه، ووضع كتاباً في حركة النجوم وعددها، وقدم أبحاثاً علمية حول الشمس والفلك والنجوم، وتمكن من تحديد أبعد نقطة بين الشمس والقمر، وحسب مواعيد كسوف الشمس وخسوف القمر، واتبع في ذلك منهجاً شبيهاً بالمنهج العلمي الحديث، مما جعل الأوربيين يعدونه من أعظم علماء الفلك في التاريخ^(٣).

(١) البتاني، محمد بن جابر، ت ٣١٧ هـ، زيح الصائب، بيروت: دار ومكتبة بيبلون، ٢٠١٩ م، ص ٧

(٢) البتاني، زيح الصائب، المرجع السابق، ص ٧

(٣) ينظر: القحطاني، مسفر بن علي بن محمد، سؤال التسخير الكوني للإنسان، رؤية مقاصدية، الرباط،

أعمال الندوة العلمية الدولية - مقاصد الشريعة والسياق الكوني، ٢٠١٢، ص ٤٤٨

يتضح من كلام البتّاني وحالته العملية أن تلك الآيات لم تكن بالنسبة له مجالاً للاستدلال على التوحيد، والامتنان على النعم فقط، وإنما كانت دافعاً للبحث، ولتحقيق عظيم الانتفاع بتلك المسخرات أيضاً، وقد قال عنه الزركلي في الأعلام: "ولم يعلم أحد في الإسلام بلغ مبلغ ابن جابر في تصحيح أرصاد الكواكب وامتحان حركاتها ... ويقول المستشرق (نلينو) إن له رصوداً جليلة للكسوف والخسوف اعتمد عليها دنتورن (Dunthorne) سنة ١٧٤٩ في تحديد تسارع القمر في حركته خلال قرن من الزمان، وقال لالند (Lalande) الفلكي الفرنسي: (البتّاني أحد الفلكيين العشرين الأئمة الذين ظهروا في العالم كله)"^(١).

وهذا أبو اسحق الزرقالي الذي رأى في علم الفلك ضرورة شرعية، قد أنشأ عدة مراصد فلكية في طليطلة بالأندلس، واخترع جهاز الاصطرلاب الفلكي لقياس اتجاهات الرياح وسرعتها وتحديد الليل والنهار، مما أدهش علماء أوروبا، وجعل العالم الأوربي الفلكي كوبرنيكوس يستشهد بأرائه في مؤلفاته جميعها^(٢).

وقد أورد جاك ريسلر في كتابه (الحضارة العربية) خلاصة فضل المسلمين العرب في علم الفلك بقوله: "ويرى بيغوردان أن خلاصة النتائج التي توصل اليها في علم الفلك يمكن التعبير عنها على النحو التالي: بالنسبة للمنظومة الشمسية؛ سمح علم الفلك الغربي بتحديد أدق لمركزية المحاور الخارجية، ولطول السنة، واكتشاف حركة الذروة والتناقص التدريجي لانحناء الدورة الإهليلجية. وفيما يتعلق بالقمر؛ أدت تجربتهم وكذلك حساباتهم إلى اكتشاف الانحراف العالي،

(١) الزركلي، خير الدين، ت ١٣٦٩ هـ، الأعلام للزركلي، بيروت: دار العلم للملايين، ط ١٥، ٢٠٠٢، ٦/٦٨

(٢) القحطاني، سؤال التسخير الكوني للإنسان، مرجع سابق، ص ٤٤٨ بتصرف

أي انحراف المحور، وربما كان العرب على علم بالتفاضل الثالث المسمى منذ ذلك الحين بالانحراف القمري الثالث"^(١)

ونقل محمد عمارة عن المستشرقة الألمانية (سيجيريد هونكة) الخبيرة بالمقارنات الحضارية التي تنهت إلى الدافع عند المسلمين لقيامهم بتطوير العلوم في عصور كانت تسمى عصور الظلام في أوروبا، فقالت: "حدث هذا (تقصد تخلف الغرب في العصور الوسطى) في الوقت الذي بلغ فيه العالم الإسلامي مستوى عريضاً على طريق تطوير العلوم الطبيعية .. انطلاقاً من الحافز الديني على النظر في ملكوت السماوات والأرض"^(٢)، وتضرب مثلاً على ذلك قصة فلكيين عظيمين جلسا يوماً عند عمود أحد المساجد، وأمامهما كتاب المجسطي (كتاب فلكي لبطليموس)، فعبر عليهما جماعة من العلماء فوقفوا، وسالوهم: ماذا يدرسان؟ فأجاب أحدهما: (نحن نقرأ تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ) [الغاشية: ١٧-١٨]^(٣)، تلك الشهادة الغربية تبين تنبّه المنصفين منهم لما تركه المسلمون من علوم أنارت البشرية، وتدلل تلك الرواية على تفاعل المسلمين حينها مع كتاب الله بطريقة تطبيقية، انتقلوا من القراءة التكوينية إلى القراءة الكونية، التي تجاوزت الثنائية بين علوم الشريعة وعلوم الطبيعة.

وإن الخطاب القرآني الذي بين أن عناصر الأرض مسخرة للإنسان، دفع علماء المسلمين في عصورهم الذهبية نحو الاهتمام بعلوم الأرض، فإن قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ

(١) ريسلر، جاك، الحضارة العربية، ترجمة خليل أحمد خليل، بيروت: منشورات عويدات، ط ١ ١٩٩٣ م، ص

(٢) عمارة، محمد، هذا هو الإسلام، الدين والحضارة، عوامل امتياز الإسلام، شهادة غربية، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ط ١، ٢٠٠٥ م، ص ٧٤

(٣) ينظر، عمارة، هذا هو الإسلام، الدين والحضارة، المرجع السابق، ذات الصفحة

أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٍ ﴿٢٧﴾ [فاطر: ٢٧]، دفع علماء المسلمين إلى التأمل والاستنتاج والبحث عن الحقيقة وفق منهج علمي، فقاموا بدراسة الصخور والجبال والمعادن، واستطاعوا أن يُعَلِّلُوا كثيرًا من الظواهر الجيولوجية مثل الزلازل والبراكين، والمِدِّ والجزر، وتكوُّن الجبال والوديان، والسيول والأنهار والجداول، وظهرت حدود هذا العلم واضحة المعالم لدى العلماء الذين تناولوه أمثال: الكندي، والرازي، والفارابي، والمسعودي، والمقدسي، والبيروني، وابن سينا، والإدريسي، وياقوت الحموي، والقزويني، وغيرهم كثير^(١).

ومن الجدير بالذكر أنَّ المسلمين حذقوا في مختلف العلوم الطبيعية بفضل (الطريقة التجريبية) التي ابتكروها، والتي تركز على حسن التعامل مع عناصر الطبيعة التي أشار لها القرآن من جهة، وعلى إدراكهم للسنن الإلهية من جهة أخرى، وفي ذلك يقول العالم الفرنسي روبرت بريفول - فيما نُقل عن جاك ريسلر: "إن الطريقة التجريبية في البحث العلمي هي ماثرة المسلمين العلمية ولم تكن معروفة قبلهم"^(٢)، ويُعد جابر بن حيان أوَّل من أدخل التجربة العلميَّة المخبريَّة في منهج البحث العلمي الذي أرسى قواعده، وقد بيَّن حقيقة ذلك المنهج في كتابه (الخواص الكبير)، حيث قال: "إننا نذكر في هذه الكتب خواصَّ ما رأيناه فقط دون ما سمعناه، أو قيل لنا وقرأناه، بعد أن امتحنَّاه وجربناه"^(٣)، كما شرح ابن الهيثم ذلك المنهج في

(١) ينظر: السرجاني، راغب، ابتكار المسلمين علم الجيولوجيا، موقع قصة الإسلام، ٢٠٠٦/٥/١ م، تاريخ الزيارة: ٢٠٢١/١/٢٦ م.

(٢) ريسلر، جاك، الحضارة العربية، مرجع سابق، ص ١٩٣

(٣) ابن حيان، جابر، ت ٤٦٩ هـ، كتاب الخواص الكبير، جامعة الملك سعود، قسم المخطوطات، ف ٥٦٨-٣/ ١٣٩٩ هـ، المقالة الأولى، ص ٥

تخصّصه، حيث قال في مقدمة كتابه (المناظر): "نبتدئ البحث باستقراء الموجودات، وتصفح احوال المبصرات، وتمييز خواص الجزئيات، ونلتقط باستقراء ما يخص البصر في حال الإبصار، وما هو مطرد لا يتغير، وظاهر لا يشتبه من كيفية الإحساس، ثم نرتقي في البحث والمقاييس على التدرج والترتيب، مع انتقاد المقدمات، والتحفظ على النتائج، ونجعل غرضنا في جميع ما نستقر به ونصحفه اتباع العدل، لا اتباع الهوى، ونتحرى في سائر ما نميزه وننتقده طلب الحق"^(١)، نلاحظ في كلام ابن الهيثم شرح المنهج التجريبي المبني على الملاحظة والاستقراء، ومراقبة الصفات والخواص، واعتماد المقاييس في التدرج والترتيب، والتأكد من اطراد الأمر.

ولقد سجل التاريخ إسهامات مشرّفة للمسلمين بالعلوم التجريبية كالطب والصيدلة والكيمياء وعلم البصريات، كما رصد إبداعاتهم في مجالات الجغرافيا والنبات والفيزياء والهندسة، وحذقوا بعلم الملاحظة، وفي الحرف والصناعات، بما لا يتسع المجال للتفصيل به في هذا المقام، ولكن مما يجدر ذكره أن كثيراً ممن درسوا العلوم الشرعية توجهوا للعلوم التجريبية، لما فهموه من مراد الله تعالى في إعمار الأرض، وفي دراسة بعنوان (الجامعون بين العلوم الشرعية والعلوم التجريبية) تم ذكر ما يزيد عن ألفي شخصية من الشرعيين الذين أبدعوا في علوم تجريبية، وتوجهوا نحو عمارة الأرض نتيجة فهمهم لكتاب الله ودينه، ويؤكد هذا المعنى ما ورد في مقدمة الكتاب حول المنهج الذي اتبعه علماؤنا، حين أخذوا من الدنيا زاداً للآخرة، وعملوا الأرض والبلاد بعلومهم النافعة بعد أن التزموا بمنهج الله وشرعه القويم^(٢)،

(١) ابن الهيثم، الحسن، ت ٤٣٠هـ، كتاب المناظر، شبكة مشكاة الإسلامية، ٢١٦١٩، تاريخ الإضافة ٢٠٠٥ م، ص ٤

(٢) ينظر: الخلف، عواد - سعد، قاسم، الجامعون بين العلوم الشرعية والعلوم التجريبية، دبي: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط ١، ٢٠١٥م

فهم إذن قد فقهوا مقصد الإعمار في الشرع، وتنبهوا للسنن الإلهية، فلا تضاد عندهم بين عمل الدنيا والاخرة.

ومما يجدر ذكره في هذا المقام قول القحطاني الذي طرح سؤالاً حول التسخير، وأجاب عنه، فقال: "لا أعتقد هذا التطويع الذي تكاثر ذكره في آيات عديدة في القرآن الكريم، إلا شاحذ رئيس نحو اكتشاف نواميس الكون ومعرفة مجالات التسخير فيه، وكيفية خدمة الإنسان بذلك، ... بالمخترعات والمكتشفات الحياتية التي تسهل عليه البناء"^(١)، وأكد على ذلك جودت سعيد: "وأما التسخير فيتم حين يعلم الإنسان السنّة، وأنها تتكرر ولا تتبدل، فيستطيع أن يتدخل فيها، ويوجهها إلى حيث تفيده"^(٢)

وأخيراً فإن التفاعل مع موضوع التسخير أمر سنسأل عنه يوم القيامة، كما أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم، بقوله: "يؤتى بالعبد يوم القيامة فيقول الله له: ألم أجعل لك سمعاً وبصراً ومالاً وولداً وسخرت لك الأنعام والحرث، وتركتك ترأس وتربع، فكنت تظن أنك ملاقي يومك هذا؟، فيقول: لا، فيقول: اليوم أنساك كما نسيتني"^(٣)، وهذا يعني أن الحساب في الآخرة يشمل السؤال عما سخره الله للإنسان ولم يستفد منه؛ فلم ينتفع به حق النفع، ولم يستثمره حق الاستثمار، فكان كمن يغفل عن الحساب في الآخرة، ويكذب بلقاء الله يوم القيامة ولا يهتدي لوحدايته.

(١) القحطاني، سؤال التسخير الكوني للإنسان، رؤية مقاصدية، مرجع سابق، ص ٤٣٦

(٢) سعيد، اقرأ وربك الأكرم، مرجع سابق، ص ١٣٣

(٣) الترمذي، ت ٢٧٩ هـ، سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر، فؤاد عبد الباقي، القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط ٢، ١٩٧٥ م، حديث رقم ٢٤٢٨، ٦١٩/٤، قال الترمذي: حديث صحيح غريب.

المطلب الثاني: مقوّم التمكين

إن انتفاع الإنسان بمخلوقات الله المسخرة لم يكن ليتم لولا خاصية أودعها الله في ذات المخلوقات من جهة، وفي ذات الإنسان من جهة أخرى، فإذا كان التسخير هو تلك الصفة الكامنة في ذات المخلوقات، فإن التمكين هو السمة الكامنة في ذات الإنسان، وهذا المعنى يظهر في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشٌ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٠]، وقد وردت إشارات لهذا الأمر في بعض كتب التفسير، منها قول سيد: "... فقد وهب هذا الكائن الجديد من الطاقات الكامنة، والاستعدادات المذخورة كفاء ما في هذه الأرض من قوى وطاقات، وكنوز وخامات، ووهب من القوى الخفية ما يحقق المشيئة الإلهية"^(١).

وقد سبق البيان أن مصطلح التمكين ورد بمعنى القدرة على التصرف بمنافع الأرض^(٢)، وأنه ورد على نوعين^(٣): تمكين ابتدائي، وتمكين نهائي، وإن موضوع الدراسة هنا هو التمكين الابتدائي، الذي ابتداءً مع خلق الإنسان، والذي نتلمسه في مطالع قصة البشرية الأولى، منذ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]، إلى قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٣٩]، وما احتوى تلك الآيات من اعتبارات تشير إلى عناصر التمكين التي غرست في ذلك المخلوق المؤهل للخلافة، من

(١) سيد، في ظلال القرآن، ٥٦/١

(٢) سبق ذكره عند دراسة مصطلح التمكين من مقاربات مفهوم العمران، ص ٩٢

(٣) سبق البيان عند دراسة مصطلح التمكين، ص ١٢٤-١٢٦

خلال تحقيق مشروع العُمران، وبعد دراسة تلك العناصر في المنظور القرآني وجد أنها على أنواع ثلاثة:

- مؤهلات معنوية ذاتية: تكمن في اختياره خليفة، وفي تعليمه، وتزويجه، وتحذيره من العداوة، وهدايته، ومنحه الإرادة والاختيار، ودلالته على مسارات التوبة.
- مؤهلات مادية ذاتية: خلقه في أحسن تقويم، وتزويده بالحواس والإدراك وقوة الجسم.
- مؤهلات مساعدة: تتمثل في المكان والزمان، الذي تدل عليه الإقامة والاستقرار.

أولاً- المؤهلات المعنوية الذاتية:

إنَّ المؤهلات المعنوية الذاتية اللازمة للاستخلاف يصلح استنتاجها من قصة الاستخلاف الإلهي لبني آدم - منذ إعلان المشيئة الإلهية بجعل آدم خليفة في الأرض، مروراً بتجربته في الجنة، وانتهاءً بهبوطه إلى الأرض، (وذلك ابتداءً من الآية ٣٠ حتى الآية ٣٩ من سورة البقرة)، حيث احتوت الآيات بيان المؤهلات الذاتية اللازمة لتمكين الإنسان من القيام بمهامه الاستخلافية من خلال المشروع العمراني، ونجد بعض المفسرين يُعدّ ما حدث مع آدم وزوجه بمثابة التجربة العملية التي تسبق التطبيق في الأرض^(١).

(١) ورد في تفسير الشعراوي قوله: "نزل آدم وحواء إلى الأرض ليمارسا مهمتهما في الكون، وقبل أن يبدأ هذه المهمة، جعلهما الله سبحانه وتعالى يمران بتجربة عملية بالنسبة لتطبيق المنهج والنسبة لإغواء الشيطان، وحذرهما بأن الشيطان عدو لهما، كان لا بد بعد أن وقعت المعصية أن يشرع الله تعالى التوبة رحمة بعباده،

وإن التأمل في تلك القصة وما احتوته من عناصر؛ يوصل إلى استنباط المؤهلات اللازمة للتمكين، وهي: العلم، والزوجية، والحذر من العداوة، والهداية، والاختيار بالإرادة الحرة، والتوبة (التصحيح)، بالإضافة للعناصر المساعدة؛ وهي المكان والزمان والانتفاع.

١- العلم:

إن أول مؤهل أودعه سبحانه في ذات المخلوق الذي اصطفاه ليكون خليفة في أرضه كان مؤهل "العلم"، فبعد أن أعلن الله تعالى مشيئته الربانية في جعل الإنسان خليفة في أرضه قال: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٣١]، وقد احتوى كتاب الله تعالى منظومة متكاملة تدور حول العلم، ابتدأت مع أول اتصال بين الأرض والسماء، حيث نزل الوحي بكلمة ﴿اقْرَأْ﴾ [العلق: ١]، وبينت منهج القراءة بعبارة ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١]، وأكدت تلك القوة المودعة في الإنسان ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٥]، وأخبرت عن أعظم ما علمه، وهو الإعراب عمّا في الضمير من خلال النطق ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ٤]، كما بيّنت تأثير العلم في تقبل المنهج، وفي سلوك سبيل العزة ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [سبأ: ٦]، وكذلك بينت ثمرات تحصيل العلم في رفعة المكانة: ﴿... يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١].

ذلك أن تشريع التوبة ليس رحمة بالعاصي وحده، ولكنه رحمة بالمجتمع كله. "الشعراوي، تفسير الشعراوي،

مرجع سابق، ٢٧١/١

وبما أن الخلافة في الأرض هي القيام بما أَرادَه تعالى من العمران، كما قال ابن عاشور: "... الخلافة في الأرض هي خلافة الله تعالى في القيام بما أَرادَه من العُمران بجميع أحواله وشعبه" ^(١)، يكون العلم هو أول عناصر التمكين المؤهلة للإنسان لتحقيق العُمران، وهو أول العناصر المساعدة للتفاعل مع المحيط المسخر له، ويؤكد هذا المعنى كلام سيد: ".. تجيء قصة استخلاف آدم في الأرض، ومنحه مقاليدها، على عهد من الله وشرط، وإعطائه المعرفة التي يعالج بها هذه الخلافة" ^(٢).

أمّا عن نوع العلم اللازم في مسيرة العُمران لتحقيق الخلافة، فإننا نلمسه في كلام ابن عاشور، حيث قال: "ولا شك أن هذه الخلافة لا تتقوم إلا بالعلم أعني اكتساب المجهول من المعلوم، وتحقيق المناسبة بين الأشياء ومواقعها، ومقارناتها" ^(٣)، حيث بيّن أنه العلم الاكتسابي، الذي يدرك به الإنسان الخير والشر ويتمكن من فعله، وبيّن أن ما يصلح لذلك العلم هو القوة الناطقة، أي قوة التفكير، التي أجلى مظاهرها معرفة أسماء الأشياء، وأسماء خصائصها ^(٤)، نرى أن ابن عاشور هنا أشار صراحة إلى أن العلم هو مقوم الخلافة الأول بقوله: (ولا شك أن هذه الخلافة لا تتقوم إلا بالعلم)، وبيّن حقيقة معنى العلم وهو: (اكتساب المجهول من المعلوم وتحقيق المناسبة بين الأشياء ومواقعها ومقارناتها)، ونبّه إلى القوة الكامنة في العلم وهي (القوة الناطقة، قوة التفكير)، وتوصل إلى أن تجليات تلك القوة تظهر في معرفة الأسماء.

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٤١٩/١-٨

(٢) سيد، في ظلال القرآن، ٥٦/١

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٤١٩/١

(٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير، المرجع سابق، نفس الصفحة

وهذا صاحب المنار يشير أيضاً إلى طبيعة ذلك العلم، ويبين أنه قوة تثبت في أبناء آدم بما يعينهم في مسيرة الخلافة والعمران، فيقول: "إن هذه القوة العلمية عامة للنوع الأدمي كله، ولا يلزم من ذلك أن يعرف أبناؤه الأسماء من أول يوم، فيكفي في ثبوت هذه القوة لهم معرفة الأشياء بالبحث والاستدلال"^(١)، مما يبين عدة نقاط؛ أولها أن تعليم الأسماء هو قوة اكتسبها آدم عليه السلام، وهي نوع من التمكين الذاتي الذي أودعه الله تعالى فيه، ثانياً أن هذه القوة تنتقل إلى ذرية آدم، ثالثاً أن تلك القوة تظهر آثارها بقدرة بني آدم على البحث والاستدلال لمعرفة الأشياء.

والأمثلة حول اهتمام علماء المسلمين في العصور الذهبية بمختلف العلوم وإنجازاتهم فيها، والتي انطلقت من تفاعلهم مع القرآن الكريم، كثيرة جداً؛ ومنها تفاعل الخوارزمي مع آيات أحكام الميراث، وأحكام المعاملات، وصياغته لعلمي الهندسة والجبر، حيث قال في مقدمة كتابه الشهير (الجبر والمقابلة): "على أن ألفت من كتاب الجبر والمقابلة كتاباً مختصراً لم يلزم الناس من الحاجة إليه في مواريثهم ووصاياهم وفي مقاسمتهم وأحكامهم وتجاراتهم، وفي جميع ما يتعاملون به من مساحة الأرضين وكرى الأنهار والهندسة وغير ذلك من وجوهه وفنونه... إلخ"^(٢)، وفي دراسة متخصصة حول مصادر الخوارزمي في تأسيس علم الجبر، ورد ما يلي: "وإن كتاب الخوارزمي عمل تأسيس لـ "علم الفرائض" الذي يقع على ملتقى الرياضيات

(١) رضا، المنار، ٢١٩/١

(٢) الخوارزمي، موسى، ت ٢٣٢هـ، الجبر والمقابلة، تحقيق: علي مصطفى مشرفة، ومحمد مرسي أحمد، القاهرة:

مطبعة بول باريه، ١٩٣م، ص ١٦

والعلوم الفقهية" ^(١)، كما وردت شهادة للباحث الغربي (جوان فيرنيه) في الخوارزمي ضمن دراسة حول دور المسلمين الأوائل في بناء الحضارات: "وهذا الباحث الغربي (جوان فيرنيه) يرجع فضل تفوق الخوارزمي لما ورد في القرآن من أحكام الميراث، ويشهد أن الخوارزمي الذي قرأ القرآن أكبر رياضي مسلم، كما يشير أن الغربيين مدينون له بمحاولة وضع تنظيم منهجي باللغة العربية لكل المعارف العلمية، ويعني بذلك (الترقيم)، أي الأعداد ومنازلها والصفر، كما يرى أن العالم باللفظ الاسباني غوارزمو (guarismo) الذي يعني الترقيم أي الأعداد ومنازلها والصفر مشتق من كتاب الخوارزمي، وهذا اللفظ الاسباني يكتب في الإنجليزية الجوريزم (Algorism) ^(٢)، وإن جهود الخوارزمي كانت من أسس تطور علم برمجة الحاسوب الآلي، وما نشهده من تطور تكنولوجي اليوم.

إنّ التفكير في منظومة العلم في القرآن الكريم يبيّن تأثير العلم في تحقيق العُمران، وفي هذا يقول جودت سعيد: "إن العلم طريق التوحيد للعالم، كما هو طريق توحيد الله" ^(٣)، ويبيّن أن العلم هو ما يحقق النفع والخير على الدوام، فيقول: "كل شيء أعطى نتائج أنفع فهو حق وخير، وهو علم، بمقدار ما فيه من النفع، ولكن لكي يتحصن النفع من الضرر، والعلم من الجهل، والحق من الباطل، لا بد من إدخال عنصر الزمن، فالخير لا يستحق هذا الوصف، إلا إذا صاحبه الاستمرار، وكان الاستمرار أطول، كان الخير أعرق في الحق والعلم.... لذلك أدان القرآن الذين لا ينظرون إلى العواقب على المدى الطويل ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ

(١) راشد، رشدي، رياضيات الخوارزمي، تأسيس علم الجبر، ترجمة: نقولا فارس، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١٠م، مقدمة المترجم، ص ١٤، ١٥

(٢) المليجي، محمد السيد، دور المسلمين الأوائل في بناء الحضارات، ليبيا: مجلة الجامعة الأسمرية الإسلامية، ٢٠٠٨م، العدد ١٠، بتصرف

(٣) سعيد، اقرأ وربك الأكرم، بيروت: دار الفكر، ط ٢، ١٩٩٣م، ص ٢٠

وَرَأَوْهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿[الإنسان: ٢٧]﴾^(١)، نلاحظ من كلام سعيد أنه يربط العلم بنتائج هي في حقيقتها مضمون العمران المتمثلة في النفع والبقاء عبر امتداد الزمن. وقد قدّم طه جابر العلواني دعوة للمعرفة والعلم تمكن الإنسان من الاستخلاف والإعمار، تتحقق بالجمع بين القراءتين: قراءة الوحي النازل، وقراءة الكون؛ حيث قال: "هناك مصدران للمعرفة الإنسانية يتضافران في توصيل الإنسان إلى معارف الشهود الحضاري، والقيام بمهام العمران، والاستخلاف في هذا الوجود، ولا بدّ من الجمع بينهما، فيفهم القرآن العظيم ومدلولاته بالخلق وبالوجود، ويفهم الوجود ويهتدى به في أداء مهام الخلافة فيه، والقيام بمقتضيات الأمانة بالقرآن المجيد، وتوجيهاته، وأحكامه، وتعاليمه." (٢)

٢- الزوجية:

لقد تمّ ذكر مؤهل الزوجية، بعد ذكر مؤهل العلم، من خلال قوله تعالى ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ...﴾ [البقرة: ٣٥]، مما يبين أن الاستخلاف قائم على الزوجية في مؤسسة الأسرة، باعتبارها الكيان المحرك الأول لتوجيه المسار العمراني، وقد اعتنت الآيات ببيان الأسس الواجب توفرها فيها حتى تكون مؤهلة للقيام بدورها في ذلك الاستخلاف، ومن تلك الأسس الآيات التي تبين مقاصد الأسرة، ومن أهمها تحقيق السكن النفسي للزوجين ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١]، والتي تبين أن الأسرة هي المنشأ الرئيس للأجيال المرجو قيامها ببناء العمران: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ...﴾ [النحل: ٧٢]، وأن الزواج سبيل لتعارف المجتمعات ونشوء

(١) سعيد، اقرأ وربك الأكرم، مرجع سابق، ص ١٤٢

(٢) العلواني، التوحيد والتزكية والعمران، مرجع سابق، ص ٩٦

راوِبط بينها ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٤]، وإن تناول دور الأسرة في الاستخلاف والمشاركة في مشروع العمران، يطول جداً بما لا يتسع له هذا المقام، ولكن للدراسة وقفات معه في مقام لاحق، بإذن الله.

٣- الحذر من العداوة:

ورد موضوع الحذر من العداوات مؤهلاً ثالثاً بعد ذكر مؤهلي العلم والزوجية، وقد تبين ذلك من خلال سياق قصة آدم عليه السلام، حيث انتهت القصة في سورة البقرة بقوله تعالى: ﴿... وَقُلْنَا أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ...﴾ [البقرة: ٣٦]، وفي سورة الأعراف: ﴿قَالَ أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ...﴾ [الأعراف: ٢٤]، وفي سورة طه: ﴿قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ...﴾ [طه: ١٢٣]، وكانت العبرة منها ببيان موقف الشيطان من الإنسان ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ...﴾ [طه: ١١٧]، والتحذير من العداوة خلال رحلة العُمران، وإن موضوع العداوة في عبارة ﴿أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ حمل عدة احتمالات في التفاسير^(١)، وقد تحدّث ابن عاشور حول هذه الاحتمالات بقوله: "وقوله: ﴿أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ يحتمل أن يراد بالبعض بعض الأنواع وهو عداوة الإنس والجن، ... ويحتمل أن يراد عداوة بعض أفراد نوع البشر"^(٢).

(١) ذكرت التفاسير القديمة أن العداوة بين إبليس وآدم، وأحياناً كانت تزيد "الحية"، وقد ورد ذلك في تفسير مجاهد، مقاتل، الطبري، والبغوي، والأصفهاني الذي زاد العداوة بين الرجل والمرأة، إلى أن ورد عند الزمخشري أن المراد هو آدم وحواء وذريتهما، ودل على ذلك بإتباع ذكر العداوة بقوله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨] وتتالي بعده بعض المفسرين في تبني موضوع العداوة بين البشر، وإن هذه الدراسة تعتمد هذا الرأي، إضافة إلى عداوة إبليس.

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ٤٣٤/١

وكان الزمخشري أول من تنبّه من المفسرين إلى العداوة بين بني البشر حيث قال: "قل اهبطوا خطاب لآدم وحواء وإبليس: وقيل والحية، والصحيح أنه لآدم وحواء والمراد هما وذريتهما، لأنهما لما كانا أصل الإنس ومتشعبيهم جعلاً كأنهما الإنس كلهم، والدليل عليه قوله: ﴿... فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [طه: ١٢٣]، قوله: ﴿... فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨]، وما هو إلا حكم يعم الناس كلهم، ومعنى بعضكم لبعض عدو؛ ما عليه الناس من التعادي والتباغي وتضليل بعضهم لبعض" ^(١)، وإن الاحتمالين معاً أمر تدعمه الآيات التي تبين عداوة الشيطان، وعداوة الأقوام لأنبيائهم، وعداوة الكفار للمؤمنين، وحتى عداوة بعض الأزواج والأولاد كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ...﴾ [التغابن: ١٤]، كما أن احتمال التحذير من العداوة بين البشر أمر تدعمه أحداث السيرة النبوية، وأحداث التاريخ البشري، والواقع المعاصر، وهذا الشعراوي يؤكد الاحتمالين، ويدعو إلى استثمار العداوة بما ينفع، فيقول: "والعداوة أيضاً بين شياطين الإنس والمؤمنين، هذه العداوة التي تؤدي بنا إلى نشاط وتنبه، فالمستشرقون يعادون الإسلام، ولكن معاداتهم هذه تعطينا نشاطاً كي نبحت ونطلع، حتى نرد عليهم، وجنود الشيطان من الإنس يعادون المؤمنين، وعداوتهم هذه تعطينا مناعة ألا نخطئ ولا نغفل، فأنت مادام لك عدو فحاول أن تتفوق عليه بكل السبل" ^(٢)، وبناء عليه يكون هو المعتمد في هذه الدراسة، باعتبار أن العداوات أحد أهم معوقات العمران، وأن الحذر منها يُعدّ من أهم مقومات تحقيق الاستخلاف من خلال مشروع العمران.

(١) الزمخشري، الكشاف، ١/١٢٨

(٢) الشعراوي، تفسير الشعراوي، ١/٢٦٩

٤- الهداية:

تُعدّ الهداية رابع مؤهل ورد بعد قصة الاستخلاف: ﴿... فَأَمَّا يَا تِئَنَّكُمْ مَّيِّ هُدَى فَمَنْ تَبِعْ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨]، لكنها من جهة أخرى كانت أول المؤهلات وروداً في ترتيب المصحف، حيث وردت بصيغة رجاء في سورة الفاتحة: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]، بمعنى: "دلنا دلالة إرشاد وبيان تصحبها معونة توفيق وإلهام من لدنك..." كما شرحها صاحب المنار^(١)، ثم جاءت الهداية بصيغة استجابة في مقدمة السورة التالية (البقرة)، وبيان لمصدر الهداية ألا وهو المنهج في كتاب الله ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]، وقد حفل كتاب الله تعالى بمنظومة هداية متكاملة تمثلت في مراتب ثلاث: (هداية عامّة، وهداية دلالة وبيان، وهداية توفيق ومعونة)^(٢)

الهداية العامة: وهي هداية الفطرة أو الغريزة، التي أودعها الله تعالى في ذوات مخلوقاته، بما يدلهم إلى ما يُصلح معاشهم، ويمكّنهم من الحياة، وهي مصداق قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ [الأعلى: ٣]، وقوله: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: ٥٠]، وقد قال السعدي في ذلك: "وهذه الهداية العامة المشاهدة في جميع المخلوقات، فكل مخلوق، تجده يسعى لما خلق له من المنافع، وفي دفع المضار عنه"^(٣)

(١) ينظر: رضا، المنار، ٤٥/١ - بتصرف

(٢) ينظر: عابدين، طه - قاري، ياسين - علي، فخر الدين، الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية، الدمام: مكتبة المتنبّي، ط ١، ٢٠١٧ م، ص ١٣٦ - ١٥٤

(٣) السعدي، عبد الرحمن، ت ١٣٧٦ هـ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ت: عبد الرحمن اللويحق، عمان: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠ م، ٥٠٦/١

وهذه الهداية تعني أيضاً خلق المنافع في المخلوقات والأشياء، بما يجعلها مسخرة للإنسان، وبما يمكنه من إدراك خصائصها، والتفاعل معها بما يحقق المنافع والمصالح له، ويدراً عنه المفسد، كما في قوله تعالى: ﴿... مَكَّنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ...﴾ [الأنعام: ٦]، ومن أمثلتها خلق خاصية العزل الحراري في بعض الملابس، وتنبيه الإنسان لتلك الخاصية، وتمكينه من الانتفاع بها، أَلَحَرَ... ن قوله تعالى: ﴿... وَجَعَلَ لَكُمْ سَرِيلَ تَقِيكُمْ أَلَحَرَ ...﴾ [النحل: ٨١].

وإن تلك الهداية هي المؤهل الذي مكن الإنسان من النطق والعلم والإنجاز الحضاري، بما وهبه الله من العقل، والفكر، والجسم، واللسان.

هداية البيان والدلالة: وهي هداية التعليم، والإرشاد، والدعوة، وأصلها من الله، ويمكن للبشر القيام بها، ويدلّ عليها قوله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم: ﴿... وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]، وهي مناط التكليف، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣]، وهي مرشدة للإنسان وليست ملزمة له، وقد وضح ذلك ابن القيم بقوله: "هداية البيان والدلالة والتعريف لنجدي الخير والشر، وطريقي النجاة والهلاك لا تستلزم الهدى التام، فإنها سبب وشرط لا موجب، ولهذا ينبغي الهدى معها كقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى...﴾ [فصلت: ١٧]، أي بينا لهم وأرشدناهم ودللناهم فلم يهتدوا"^(١)، وهي موجّهة للفرد وللمجتمع.

(١) ابن قيم الجوزية، محمد، ت ٧٥١ هـ، بدائع الفوائد، بيروت: دار الكتاب العربي، بدون تاريخ، ٣٧/٢

إن هداية البيان بمثابة منهج النجاة للفرد والمجتمع في الدنيا، بمعنى المنهج العُمراني، ومنهج الفلاح في الآخرة، وإن وجود ذلك المنهج يُعدّ عنصراً رئيساً من عناصر التمكين لتحقيق العُمران، وإن التوصل للهدايات القرآنية الكلية والجزئية من الآيات القرآنية، ومحاولة تطبيقها في الواقع، أمر جدير بتحقيق إقامة العُمران.

هداية التوفيق والمعونة: ويطلق عليها هداية الإلهام، وهداية التأييد، وهي هداية خاصة يمنّ الله بها على من يشاء من عباده الصالحين؛ ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦]، إنهم أولئك الذين استجابوا لهداية الدلالة، وسلكوا سبيل المجاهدة والدعاء والعلم، ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، وتكون بتثبيت الهدى في القلب؛ كما في قوله تعالى: ﴿... وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١١]، وتكون بزيادة الهدى؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى...﴾ [مريم: ٧٦]، وتكون ببيان الحق حال الاختلاف؛ ﴿... فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣]، كما تكون بالمعونة في تيسير سبل السلام لمن رغب في سبيل الهدى؛ ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ - وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٦]^(١)، وقد وضّح القره داغي أن هداية الله للصراط المستقيم إعمار للكون، حيث قال: "إن الهداية إلى الصراط المستقيم هو طريق التعمير والاستخلاف في الأرض الذي يمر من خلال طريق الاستقامة، وهي تعمير الكون

(١) ينظر: عابدين، الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية، مرجع سابق، ص ١٥١ - ١٥٨

بمنهج الله تعالى وشريعته، والتخلق بأخلاق الإسلام مع الكون من حولنا، وبذلك نصل إلى الآخرة بسلام وأمان"^(١)

إذن تظهر هداية التوفيق والمعونة في مسيرة إنسان العمران (فرداً وجماعاً) بتوفيقه لزيادة فهمه للآيات القرآنية والكونية والتكوينية، وتثبيتها في قلبه، وزيادة إمكانية التفاعل معها في التطبيق بأحسن وسيلة ممكنة، وبيان الحق حال التعرض للاختلاف أو العداوة، وتزويده بالقدرة على الاستقامة لمواصلة المسير والسعي في مسارات المشروع العمراني، وتحقيق غاية الاستخلاف.

٥- الإرادة - حرية الاختيار:

إن خامس مؤهل من مؤهلات التمكين هو الإرادة الحرة المستقلة التي أودعها الخالق في ذات الإنسان، والتي تؤهله ليختار الطريق، وتدلل عليها عبارة ﴿فَمَنْ تَبِعْ هُدَايَ﴾ في سياق قوله تعالى: ﴿قُلْنَا أَهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعْ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨]، تلك العبارة تبين إن للإنسان إرادة حرة في اتباع الهدى أو الابتعاد عنه، بمعنى القدرة في تحكيم إرادته في شق طريقه، فهو الذي يختار طريق الهدى الذي يؤهله للاضطلاع بمهام الأمانة، وتحقيق عمران الأرض، تحت مظلة الاستخلاف، أو يختار الابتعاد عن ذلك الطريق، وبالتالي ينال عاقبة اختياره في الدنيا والآخرة، ومما يؤكد معنى ارتباط الإرادة بنوعية المعيشة في الحياة الدنيا قوله تعالى: ﴿قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [طه: ١٢٣]، باعتبار أن تجاوز الضلال والشقاء والضنك في

(١) القره داغي، عشرة مبادئ للإصلاح في سورة الفاتحة، مرجع سابق

الدنيا يرتبط مع إرادة اتباع الهدى والذكر، التي تلتقي مع اتباع المنهج الذي يتحقق به العُمران.

ولقد حفل القرآن الكريم بآيات عديدة تؤكد أن الإنسان صاحب إرادة واختيار، على المستويين الفردي والجمعي، ومثال ذلك على المستوى الفردي قوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣]، والسبيل هو الطريق الواسع الذي يحتوي - فيما يحتويه - منهج العمران، وفي قوله تعالى: ﴿مَنْ أَهْتَدَىٰ فَأِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّٰ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلٰهَا...﴾ [الإسراء: ١٥]، فنجد إتاحة كل الفرص أمام الانسان ليختار ما يريد لنفسه، وإن العاقبة لاختياره واضحة دون سلطة خارجية عليه، وأن إنسان العمران ذلك الذي يعمر قلبه بالهداية الربانية، فتنعكس سلوكاً ليعمر ما حوله.

وعلى المستوى الجمعي يمثل مشهد سحرة فرعون موقف اختيار جمعي، إذ قرروا الإيمان جميعاً في لحظة مفاجئة للجميع، بعد أن رأوا البرهان القاطع من نبي الله موسى عليه السلام، وهم يمثلون الشريحة المتعلمة والمؤثرة في المجتمع، لقد قدّموا صورة لعمران معنوي، تحكّم بقلوبهم، فنبد مظاهر العمران المادي الذي تميزت به الحضارة الفرعونية، وثبت أمام استبدادها، كذلك موقف قوم يونس عندما قرروا جميعهم اتباع المنهج النبوي، فحققوا العزة، كما يظهر في قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ غَٰبَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يونس: ٩٨].

٦- التوبة (التصحيح):

لقد اقتضت المشيئة الربانية أن يوجد منهجاً لتصحيح المسار بعد الخطأ، بعد أن سمح بصدور الخطأ من بني آدم، ألا وهو تشريع التوبة، الذي يرتقي بإنسان العُمران، وقد ابتدأت تلك المشيئة بالظهور في قصة الخلق

الأولى، بين آدم عليه السلام وإبليس، ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتَ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧]، حيث تسَلَّح آدم عليه السلام بذلك المنهج قبل هبوطه إلى الأرض، وابتدأت مسيرة العمران في الحياة وقيمة التوبة متاحة للإنسان.

يمثل موضوع التوبة تربيةً لذات إنسان العمران، وسياباً يحميه من الانحراف في مسيرته، ونبراساً ينيّر طريقه، وموجهاً يعيده إلى السبيل عند أي انحراف عنه، وقد وضّح ابن عاشور عناصر التوبة بقوله: "والتوبة تتركب من علم وحال وعمل، فالعلم هو معرفة الذنب، والحال هو تألم النفس من ذلك الضرر، ويسمى ندماً، والعمل هو الترك للإثم، وتدارك ما يمكن تداركه، وهو المقصود من التوبة، وأما الندم فهو الباعث على العمل." (١)

وقد نظر ماجد عرسان الكيلاني إلى قضية التوبة على أنها عنصر أساسي في مضممار إصلاح المجتمعات، وأنها تشمل الفكر والقيم والسلوك، فقال: "ومفهوم التوبة في الإسلام يجسد قانون الإصلاح التربوي، ... والتوّابون الذين يحبهم الله هم أولئك الذين يتمثلون التوبة في أفكارهم وقيمهم، وأعمالهم وأنماط معيشتهم، فالتوبة بمفهومها الشامل مراجعة وتقويم لكل ما هو قائم في ميدان الفكر والشعور والسلوك" (٢).

ثانياً - المؤهلات المادّية الذاتية:

إلى جانب ما سبق ذكره من مؤهلات معنوية امتنّ الله تعالى على بني آدم بتمكينهم من القيام بمهامهم العمرانية الاستخلافية في الأرض، وتأهيلهم بأدوات

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٤٣٨/١

(٢) الكيلاني، ماجد، هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس، مرجع سابق، ص ٣٤٢

مادية لاستقبال المفردات المعرفية، وأخرى لمعالجتها، ومثلها للتطبيق والتنفيذ والتقويم في أرض الواقع، وقد جمع الله تعالى ذكر تلك المؤهلات جميعاً في قوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤]، إنه تقويم جمع مؤهلات معنوية ومادية تكمّله وتمكّنه أن يكون سيّد الكون، ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ... وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠]، وتوهّله لحمل الأمانة، فإن تنكص عنها استحق وصف الظلم والجهل ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢].

ولقد تمثلت تلك الأدوات بالحواس التي تستقبل المعرفة، والأعضاء التي تعالجها وتدرّك معانيها، وهي السمع والأبصار والأفئدة، حيث بيّنها الله تعالى منذ بداية خلق الإنسان، فقال: ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [السجدة: ٩]، فإذا كان السمع والبصر أدوات تلقي المعرفة، فإن الفؤاد مكان الإدراك، الذي قال عنه القاسمي: "الفؤاد أشرف الأعضاء الباطنة ومحل المعرفة"^(١)، وهو صاحب اختيار في إدراك المسموعات والمرئيات، كما ورد في قول الرازي: "السمع قوة واحدة ولها فعل ... والأذن محله ولا اختيار لها فيه، ... وأما الإبصار فمحله العين ولها فيه شبه اختيار فإنها تتحرك إلى جانب مرئي دون آخر، وكذلك الفؤاد محل الإدراك، وله نوع اختيار يلتفت إلى ما يريد دون غيره"^(٢)

(١) القاسمي، محمد جمال، ت ١٣٣٢ هـ، محاسن التأويل، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م، ٦/٣٢٥

(٢) الرازي، التفسير الكبير، ٢٥/١٤٢

وقد ذكرت تلك المؤهلات كأدوات تمكّن الإنسان من تحصيل العلم، بعد أن يولد طفلاً لا يعلم شيئاً، كما في قوله عز وجل: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨] النحل، وقوله: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [المك: ٢٣]، قال الشعراوي: "وهكذا حدد لنا القرآن الكريم وسائل العلم بالسمع والبصر، فإذا استقرت هذه المعلومات ففي الفؤاد، لأنه الذي يحفظ كل القضايا العقلية والفكرية، وإذا كان الإنسان يسمع ولا يفقه شيئاً فهو لا يعلم"^(١)، ويلاحظ أن الآيات التي جمعت بين السمع والأبصار والأفئدة ختمت غالباً بقيمة الشكر، التي تتحقق بالقول والعمل، من خلال حسن قراءة الكون، وتحصيل المعرفة وإدراكها، وحسن التفاعل التطبيقي مع عناصر الكون، وقد ترافق ذكر التمكين مع جعل السمع والأبصار والأفئدة، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ...﴾ [الأحقاف: ٢٦]، للدلالة على أن تلك الأدوات من عناصر التمكين.

ومن تلك المؤهلات المادية القلوب التي هي محل التعقل: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْيَى الْأَبْصَرَ وَلَكِنْ تَعْيَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]، وفي ذلك قال الرازي: "المقصود من قوله: قلوب يعقلون بها "العلم"، وقوله: ﴿قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ [الحج: ٤٦] كالدلالة على أن القلب آلة لهذا التعقل، فوجب جعل القلب محلاً للتعقل

(١) الشعراوي، تفسير الشعراوي، ٤٨٩٧/٨

(١)، وقد زودت تلك المؤهلات بمنهج يرشدها لما يحقق المطلوب منها، ويحذرها من مغبة الانحراف عن المنهج، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]، فكان التحذير من عدم حفظ مداخل المعرفة وهي السمع والبصر، وآلة إدراك تلك المعرفة وهو الفؤاد، ويلاحظ في هذا المقام أن التحذير فردي، لأن كل فرد مسؤول عما يسمع ويبصر ويدرك، وفي ذلك قال الشعراوي: "قال الحق ذلك (يقصد بالإفراد) لأن المسؤولية هنا هي الفردية الذاتية، وكل واحد مسؤول عن سمعه وبصره وفؤاده، وليس مسؤولاً عن أسمع وأبصار وأفئدة الناس" (٢).

ومن المؤهلات المادية التي منّ الله بها على الإنسان قوّة الجسم، التي تمكّنه من تطبيق المعرفة في مشاريع عملية، كما في قوله: ﴿... وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً﴾ [الأعراف: ٦٩].

ثالثاً - العناصر المساعدة:

لقد ذكرت عناصر ثلاثة مساعدة للتمكّن من عُمران الأرض ضمن سياق قصة آدم عليه السلام، وذلك في سورتي البقرة والأعراف، بعبارتين متشابهتين تشابهاً تاماً

﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتْعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾، والعناصر هي: المستقر، والمتاع، والحين.

(١) الرازي، التفسير الكبير، ١٤٢/٢٥

(٢) الشعراوي، تفسير الشعراوي، ٤٤١٥ /

• **المستقر (المكان):** هو المكان الذي يثبت فيه الإنسان، حيث قال الراغب: "قَرَّ في مكان يقرّ قراراً، إذا ثبت ثبوتاً جامداً"^(١)، وبما أن الآية ذكرت أن الأرض هي محل المستقر، ﴿... وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ...﴾ [البقرة: ٣٦]، يحسن الذكر أن الأرض وردت في الخطاب القرآني وفق دلالات ثلاث^(٢): الأرض بمعنى الكوكب الأرضي كله، والأرض بمعنى اليابسة المقابلة للبحر، والأرض بمعنى التربة الزراعية، وفي حالة دلالة الكوكب يكون الخطاب لجميع الناس، ويكون الاستعمار المقصود هو عمران كوكب الأرض عموماً، وينطبق عليها قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشٌ...﴾ [الأعراف: ١٠]، وفي حالة دلالتها على موقع محدد من اليابسة، يكون المقصود عمران ذلك الموقع، كما في قوله تعالى على لسان شعيب عليه السلام لقومه ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا...﴾ [الأعراف: ٥٦].

• المتاع (الانتفاع):

يعني المتاع الانتفاع بالشيء، وقد قال البقاعي في هذا: ﴿وَمَتَّعْ﴾ تتمتعون به، والمتاع هو الانتفاع بالمنتفع به وقتاً منقطعاً يعرف نقصه بما هو أفضل منه "^(٣)، وإن "متاع الحياة الدنيا" بالنسبة للإنسان له مصدران أساسيان وهما: خيرات الطبيعة "الأرض" بما فيها من نبات وثروات وأنعام وغيرها، وعمل الإنسان الواعي في التفاعل مع تلك الخيرات، وإن ذلك الانتفاع يشكل مساراً رئيساً في المشروع العمراني.

(١) الراغب، المفردات في غريب القرآن، مرجع سابق، ٦٦٢

(٢) ينظر: النجار، زغلول، الأرض في القرآن الكريم، بيروت: دار المعرفة، ط ١، ٢٠٠٥ م، ص ٨٣

(٣) البقاعي، نظم الدرر، مرجع سابق، ٢٩٢/١

❖ الحين (الزمن):

لقد ورد ذكر الزمن بكلمة ﴿حِينَ﴾ في قوله تعالى ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ وإن (الحين) في هذا السياق قد يدلّ على زمن عام لحياة البشرية في كوكب الأرض، أو يدلّ على زمن مرتبط بوجود الأفراد أو المجتمعات، وفي كلا الحالين فإن الخطاب القرآني اهتم بالتوجيه حيال حسن استثمار الزمن، ومن ذلك التذكير بتسخير الزمن للإنسان ليبتغي فضلاً من الله ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السَّيِّئِينَ وَالْحَسَابِ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً﴾ [الإسراء: ١٢]، ومنها التنبيه حول استثمار الزمن بالطاعات والإنجاز ﴿... أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [فاطر: ٣٧]، ومنها التأكيد على ضرورة ملئ الزمن بالأعمال الصالحة ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ١-٣].

المطلب الثالث: مقوّم التكليف

إنّ الآية المحورية التي تدلّ على تكليف الإنسان بعمران الأرض بشكل مباشر هي قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ نُمُودَ أَهْلِهِمْ صُلِحَ قَالَ يُقَوْمُوا عِبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود: ٦١]، وإن تدبّر هذه الآية يوصلنا إلى استنباط كل من: دلالة التكليف، المستهدف بالتكليف، وموجهات التكليف.

يُعدّ موضوع التكليف في القرآن من مظاهر تكريم بني آدم، وتشريفهم، فهو يعتبر الإنسان قوة هائلة، ومحركة للمعطيات الكونية، وطاقة قادرة على عمران

الأرض، وهو يركز على قضية التمكين - التي سبق ذكرها - والتي حبا الله بها عباده ليتمكنوا من العمران، ويحققوا الاستخلاف.

ويحتوي الخطاب القرآني على منظومة متكاملة تدل على مقصد العمران، وتؤدي إلى التكليف به، ويمكن تتبعها وفق عدة مؤشرات؛ منها الأمر باتباع الصراط المستقيم، الذي يعدّ طريقنا في الدنيا من التعمير والاستخلاف في الأرض^(١)، كما يمكن تتبعها في الدعوة للإصلاح، باعتبار أن لبّ العمران هو الإصلاح، كما يتضح في سلسلة آيات الاستخلاف، مثل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلْفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ...﴾ [الأنعام: ١٦٥]، ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلْفَ فِي الْأَرْضِ...﴾ [فاطر: ٣٩]، وإن تأمل هذه الآيات الكريمة يوصل إلى بعض المؤشرات، منها: القراءة الواعية لتاريخ من سبق، وحسن استثمار ما آتانا الله.

أولاً - دلالة التكليف:

تشكل عبارة ﴿وَأَسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ في الآية الكريمة الدلالة المباشرة للتكليف الإلهي للبشرية لاستعمار الأرض، وتحقيق الاستخلاف فيها، وتدلّ على الأمر بالعمارة^(٢)، قال الزمخشري: "وَأَسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا: وأمركم بالعمارة"^(٣)، وقال الشعراوي: "معنى كلمة «استعمر» هو طلب التعمير... ﴿وَأَسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ أي طلب منكم عمارتها، وهذا يتطلب أمرين اثنين: أن يبقى الناس الأمر الصالح على صلاحه،

(١) سبق البيان أن الصراط المستقيم هو القسم العملي لفعل الإنسان كما بين الغزالي، وأنه يمثل المسار العملي لتطبيق العمران كما ورد عند القره داغي، ينظر في مطلب دراسة مقاربات مادة (عَمَرَ) في الاستعمال القرآني - سياقات القيام، ص ١٠٦

(٢) ذهب بعض المفسرين إلى اعتبار معنى (استعمركم): جعلكم عماراً فيها، أو أطال أعماركم، أو جعلها لكم طول أعماركم، وعلى سبيل المثال: ورد المعنى الأول عند الطبري ٣٦٨/١٥، وعند ابن عاشور ١٢/١٢، ووردت المعاني الثلاثة عند الرازي، ٣٦٨/١٨، وعند أبي حيان ١٧٥/٦.

(٣) الزمخشري، الكشاف، ٤٠٧/٢

أو يزيده صلاحاً".^(١)، فإذا كانت الدلالة اللغوية تدل على الأمر، فإن الأمر يدل على التكليف، وإن ذلك التكليف متجه نحو الإصلاح - كما بينه الشعراوي - وهو لب معنى العمران المعتمد في هذه الدراسة^(٢).

ثانياً - المستهدف بالتكليف:

لقد عدّ بعض المفسرين أن الخطاب في هذه الآية خاص بتمود قوم صالح عليه السلام، بناء على الخطاب المباشر له، وعلى معنى الاستعمار الذي اعتمده، فمن عدّ الاستعمار دالاً على عِمارة مادية خاصة بتمود خصّهم بالخطاب، ومثال ذلك قول القرطبي: "﴿وَأَسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ أي جعلكم عمّارها وسكانها، قال مجاهد: ومعنى ﴿وَأَسْتَعْمَرَكُمْ﴾ أعمركم من قوله: أعمّر فلان فلانا داره، فهي له عمري، وقال قتادة: أسكنكم فيها"^(٣).

ولكن هذه الدراسة تنظر إلى التوجيه الوارد في قصة تمود باعتباره يرد من أجل الاعتبار العام، وفقاً لغاية القصة القرآنية، كما قال محمد قطب: "القصة القرآنية إحدى وسائل القرآن الكريم لإبراز أغراضه الدينية"^(٤)، وذلك مصداقاً لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ..﴾ [يوسف: ١١١]، وبناء عليه يكون المستهدف بالتكليف بإعمار الأرض هو الإنسان الخليفة في أرض الله، كما قال سيد: "استخلفهم الله فيها ليعمروها، استخلفهم بجنسهم واستخلفهم

(١) الشعراوي، تفسير الشعراوي، ٦٥٢٩/١١، ٦٥٣٠.

(٢) المقصود ذكر سابقاً عند بيان مفهوم العمران، وهو: السعي إلى إصلاح الأرض مادياً ومعنوياً، فردياً وجمعياً، انطلاقاً من حق الكون المسخر للإنسان، بالارتكاز على القيم الإيمانية المنطلقة من الوحي، ابتغاء تحقيق قيمة الاستخلاف، ص ٢٣.

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٥٦/٩.

(٤) قطب، محمد، ت ١٤٣٥ هـ، القصة القرآنية، القاهرة: دار قباء، ٢٠٠٢ م، ص ٣٣.

بأشخاصهم بعد الذاهبين من قبلهم" ^(١)، فهو خطاب يشرف الإنسانية جمعاء، ومما يؤكد أن المستهدف بالعمران هو جميع بني آدم، قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ...﴾ [النور: ٥٥]، وقوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ١٤].

إذن خطاب التكليف بالعمران موجّه لكل كيان فردي أو جمعي يحمل

كتاب الله، ويسعى في مناكب الحياة، لذلك قال الشعراوي: "المطلوب منك هو حركة الحياة؛ لأن تلك الحركة هي الفاصل بين الحياة والموت، والحق يقول: ﴿هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا...﴾ [هود: ٦١]، فقد أعطاك الحق سبحانه العقل لتفكر، وأعطاك الطاقة لتفعل، وسخر لك الكون بالمطمور فيه من الرزق؛ لتستخرجه وتعيش منه" ^(٢).

وإذا كان الاستعمار يتم بالحركة الفاعلة في الأرض، المتفاعلة مع عناصر الكون المسخّرة، بالاستعانة بعناصر التمكين التي امتنّ الله بها على عباده - التي سبق ذكرها - فكيف يمكن أن تُضبط تلك الحركة وتوجّه حتى تكون تحت مظلة الاستخلاف؟

ثالثاً - موجّهات التكليف:

لقد بيّن الخطاب الإلهي الموجّهات الرئيسة اللازمة ليكون الاستعمار المطلوب تاماً، فقال قبل التكليف بالعمران: ﴿... قَالَ يَقُومُ آعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ

(١) سيد، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ١٩٠٧/٤

(٢) الشعراوي، تفسير الشعراوي، ٦٨٠١/١١

مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ... ﴿[هود: ٦١]، وقال بعده: ﴿... فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود: ٦١]، وأرفقها بقضية الإنشاء من الأرض بقوله: ﴿... هُوَ أَنشَأَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ وَأَسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا...﴾ [هود: ٦١]، وقال موضع آخر: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ...﴾ [الأنعام: ١٦٥]، وعلى هذا تتحقق تلك الحركة الفاعلة بوجود عدة عناصر:

١- الاستمداد: إن ورود الدعوة لعبادة الله الواحد قبل التكليف باستعمار أرضه تعني استمداد منهج العمران منه سبحانه، لأن العبادة تحمل مفهوماً شاملاً لجميع مناحي الحياة، وفي ذلك قال سيد: "﴿... قَالَ يُقَوْمُ آعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ...﴾، إن «العبادة» لله وحده تعني «الدينونة الشاملة» لله وحده، في كل شأن من شؤون الدنيا والآخرة، ذلك أن هذا هو المدلول الذي تعطيه اللفظة في أصلها اللغوي ومن شأن هذا أن يوفر هذه الجهود والطاقات للبناء في الأرض والعمارة، والنهوض بتكاليف الخلافة فيكون الخير الوفير للناس، فضلاً على الكرامة والحرية والمساواة، التي يتمتع بها الناس في ظل الدينونة لله وحده دون العباد^(١)، وقال الشعراوي: "فكل عمل يؤدي إلى عمارة الكون واستنباط أسرار الله في الوجود يعتبر عبادة لله؛ لأنك تخرج من كنوز الله التي أودعها في الأرض ما يلفت الناس إلى الحقيقة الكونية التي جاء بها الإيمان."^(٢)

٢- التقويم المستمر: إن حركة الاستعمار حتى تكون في أحسن حال لا بدّ لها من التقويم والتعديل الدائم، وهذا المعنى يشير له موضوع الاستغفار والتوبة

(١) سيد، في ظلال القرآن، ٤/ ١٩٠٢-١٩٠٥

(٢) الشعراوي، تفسير الشعراوي، ٤/ ٢٢٠٧

الذي سبق بيان تداعياته، ﴿... فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾، باعتبار أن الاستغفار يحمل فكرة المنهجية في التغيير والإصلاح، لأنه يعني العزم على التصحيح، واستدراك ما فات، والبقاء على نهج الإصلاح في النفس والمجتمع، كما قالت رقية العلواني^(١)، وأن التوبة تعني بمفهومها الشامل؛ "مراجعة وتقويم لكل ما هو قائم في ميدان الفكر والشعور والسلوك." كما قال الكيلاني^(٢).

٣- استثمار ثروات الأرض: إن قوله تعالى في آية الاستعمار ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ فيه تنبيه للإنسان لثلاثة أمور: أصله من جهة، ومصدر العناصر المستخرجة لتحقيق العمران من جهة أخرى، ومهمة الاستخلاف في الأرض التي جعلها الله مهمة آدم وغايته من جهة ثالثة، وفي هذا قال المراغي: "إنه هو المنشئ لخلقكم والممدد لكم بأسباب العمران والنعم في الأرض فلا ينبغي أن تعبدوا فيها غيره، فهو ذو الفضل عليكم، وشكرانه واجب عليكم بإخلاص العبادة له وحده."^(٣)

٤- الاعتبار بالتاريخ: إذا كان قوم صالح قد فهموا الاستعمار بطريقة مادية - شأنهم شأن أقوام كثير غيرهم في مختلف العصور - فأقاموا عمارة مادية مميزة، فإن الخطاب القرآني جاء ليصحح تصوراتهم وتصورات البشرية تجاه العمران المطلوب، فذكرهم بالعبادة لله الواحد، ونبههم لضرورة دوام التقويم والتصحيح، فهم وإن بنوا عمارة مادية مميزة، إلا أن بناءهم لم يكن ليرقى إلى

(١) تسمع: العلواني، الاستغفار بداية منهج تغيير وإصلاح، سبق ذكرها عند الدراسة السياقية لمادة عَمَرَ

(٢) الكيلاني، ماجد، هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس، مرجع سابق، ص ٣٤٢ - سبق ذكره في مطلب التمكين ضمن المؤهلات المعنوية

(٣) المراغي، أحمد، ت ١٣٧١ هـ، تفسير المراغي، القاهرة، شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي، ١٩٤٦ م، ٥٣/١٢

مصاف العمران الذي أراده الله، حيث قال ابن باديس عن عمارتهم: "وقد كشفت لنا عن هذا الاستعمار الثمودي عدة آيات بليغة الوصف، ولكن أبلغها وصفاً وأدقها تصويراً قوله تعالى: ﴿أَتَتَرَكُونَ فِي مَا هَمْنًا آمِنِينَ﴾ في جَنَّتٍ وَعُيُونٍ ﴿وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلَعُهَا هَضِيمٌ﴾ وَتَنَجُّتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ﴾ [الشعراء: ١٤٦-١٤٩]... وفي ضمن هذا عرفنا حالتهم التي كانوا عليها في تعمير الأرض: وهي حالة أمة بلغت النهاية في الحضارة المادية وفنونها"^(١)، ولكن لم تغن عنها تلك الحضارة إذ قال تعالى عنهم: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [النمل: ٥٢].

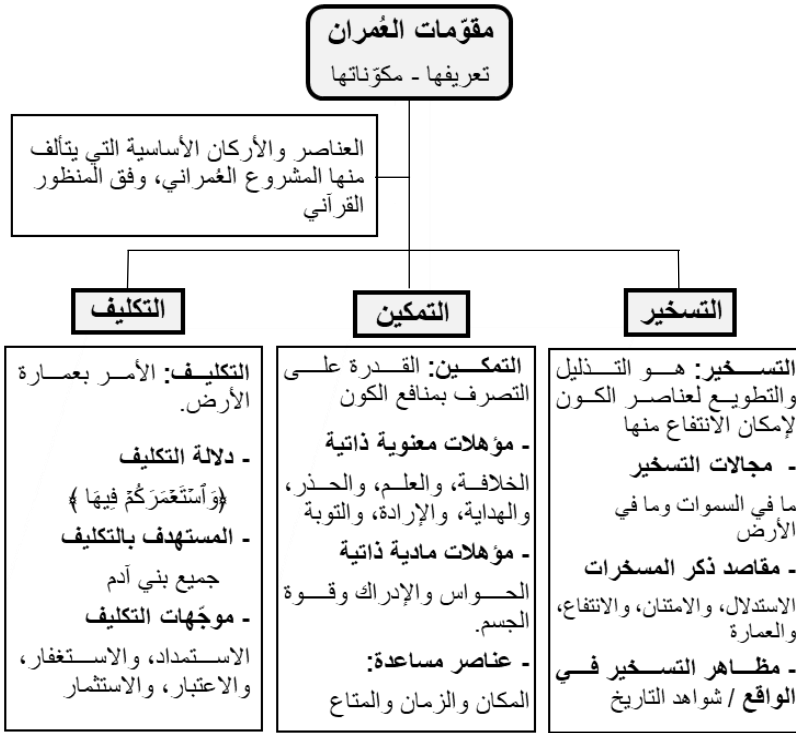
وقد حفل القرآن الكريم بالآيات التي تدعو إلى حسن قراءة التاريخ، وحسن الاعتبار بأحوال الأمم السابقة، ومنها قوله تعالى: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِيهَا خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَبْنَؤُ مُعْطَلَةٌ وَقَصْرٌ مَّشِيدٌ ٤٥ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا...﴾ [الحج: ٤٤-٤٦]

٥- استثمار المواهب: لقد قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا...﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وقال: ﴿... لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً أَتَنَاهَا...﴾ [الطلاق: ٧]، وقال: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام، تكشف تلك الآيات عن منظومة متكاملة حول مراتب التكليف؛ فالأولى والثانية تتحدث عن التكليف الفردي تحت مفهومي (الوسع والإيتاء)، والثالثة تتحدث عن التكليف الجمعي تحت مفهوم (الإيتاء الجمعي)، وإن الفرد المكلف له وسع في الحركة العمرانية،

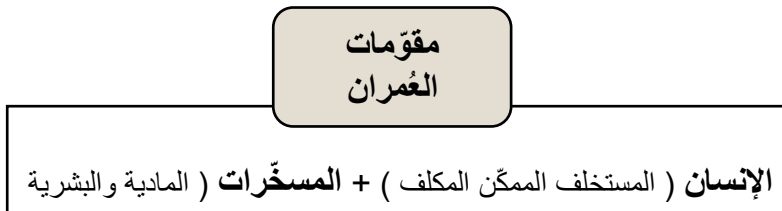
(١) ابن باديس، ت ١٣٥٩ هـ، تفسير ابن باديس، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٥ م، ٣٩٧/١

وذلك الوسع يرتبط مع ما آتاه الله من قدرات ومواهب، فتتنوع التخصصات وتتكامل، وكذلك الكيان الجمعي ينبغي أن تتكامل فيه التخصصات، وفق المواهب المتنوعة فيه، من جهة، وبما يرفع مكانة الأمة بين الأمم، ويحقق لها النجاح في الابتلاء، من جهة أخرى.

خلاصة مبحث مقومات العمران في الرؤية القرآنية



بناء على ما سبق؛ يبدو أن مكونات المقومات يظهر أثرها في المشروع العمراني، من خلال تفاعل الإنسان (المستخلف الممكن المكلف) مع (المسخرات المادية والبشرية)، ويمكن تمثيل ذلك التفاعل بالشكل التالي:



وحتى يكون التفاعل بين الإنسان وبين المسخرات سليماً، موجّهاً نحو الهدف، فإنه يحتاج لموجهات ضابطة ومرشدة، مما يقودنا إلى المبحث التالي الذي يدرس موجّهات البناء العمراني.

المبحث الثاني: موجّهات البناء العمراني في الرؤية القرآنية

لقد تمّ الذكر في المبحث السابق أن الموجّهات ضرورة لازمة لضبط التفاعل بين مكونات المقوّمات، ولكن قبل ذلك يصلح بيان المقصود بمفهوم الموجّهات.

مفهوم الموجّهات:

إنّ مفهوم الموجّهات لغة يدلّ على العوامل المرشدة لاتجاه ما، حيث ورد في معجم اللغة العربية المعاصرة قول أحمد مختار عمر: "(الموجّه) هو اسم فاعل من (وجّه)" وهو عامل مؤثر في ضبط الاتجاه"^(١)، وبناء عليه ترى الدراسة أن المفهوم المقصود لموجّهات البناء العمراني هو: ((العوامل المؤثرة في ضبط اتجاه بناء المشروع العمراني، وفق المنظور القرآني)).

تحديد موجّهات البناء العمراني:

• بما أن الموجّهات تتناول ضبط العلاقة بين الإنسان المستخلف الممكن المكلف، وبين المسخّرات، فإنّ الموجّه الأول يتعلق بفهم الإنسان لماهية الخطاب الرباني له، ومستوياته، والموجّه الثاني يتعلق بما يضبط العلاقة مع البيئة المسخرة (من سماوات وأرض وإنسان)، ألا وهو السنن الإلهية الكونية والاجتماعية، بما يحقق هدف الاستخلاف.

انطلاقاً مما سبق تتحدد موجّهات العملية العمرانية في: (فهم ماهية الخطاب الرباني ومستوياته، وإدراك السنن الإلهية الكونية والاجتماعية ومراعاتها، ومراعاة القيم والأخلاق الإيمانية).

(١) عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ٢٤٠٧/٣

المطلب الأول - فهم ماهية الخطاب الإلهي ومستوياته

يصلح - بداية - بيان المقصود بمصطلح (الإنسان) في تلك المعادلة، الذي تم تسميته بمسمى (إنسان العمران)، ثم تحديد مستويات الخطاب الإلهي لذلك الإنسان، وأثره على الفعل العمراني.

أولاً - تحديد المقصود بإنسان العمران:

لتحديد المقصود ب (إنسان العمران) ؟ يلزم طرح عدة أسئلة: مَنْ هو الإنسان الذي وُجّه الخطاب له لصناعة العمران؟ وَمَنْ هو المستفيد من العمران؟ وَمَنْ الذي يحافظ على العمران؟

لقد أجاب الأنصاري عن هذه الأسئلة عندما أشار للإنسان الذي يصنع العمران ويستفيد منه؛ بمصطلح (عُمران الإنسان) وللذي يحافظ على العمران، ويدافع عنه؛ بمصطلح (عُمران السلطان)، وبين أن (عُمران الإنسان) هو الفرد والمؤسسة، وهو الوجدان الذاتي والجماعي، وهو العامة والخاصة، وهو المجتمع والدولة، كما بيّن أن من يحافظ على العمران هو السلطة، التي سمّاها (عمران السلطان)، بمعنى طبيعتها العمرانية بعمقها النظامي، وليس طبيعتها البشرية، هي التي تنتج عن بناء عمران الإنسان، ووضّح أنّ الذي يجمع الأول والثاني ليتم لعمران هو (عمران الاستخلاف) الذي يشمل كل النشاط البشري^(١).

وإذ تعتمد هذه الدراسة نظرية الأنصاري، فإنها تنطلق منها لتحديد الكيانات التي تم توجيه الخطاب القرآني لها، يدعوها إلى أية درجة من درجات الإصلاح، التي

(١) ينظر: الأنصاري، بلاغ الرسالة القرآنية، مرجع سابق، ص ١٧، ١٦ - سبق ذكر قوله في سياق بيان مفهوم العمران في الفكر الإسلامي المعاصر.

تندرج تحت مظلة العمران، سواء كانت تلك الكيانات تمثل جمعاً عاماً على مستوى الإنسانية، أم كياناتاً جمعياً على مستوى قوم، أو مستوى أمة، أو فئة، أو فريق، أو مؤسسة، أو كانت كياناتاً فردياً.

كما أن هذه الدراسة تأخذ بعين الاعتبار أن الخطاب القرآني عموماً هو خطاب فردي وخطاب جمعي، وأن تحديد المقصود بالخطاب أمر مهم في تحديد التكليف، وماهيته، وحدوده، مما يساعد في توضيح المهام العمرانية لكل كيان، وبيان حدودها، لتكون موجهاً مرشداً للمشروع العمراني، وقد تحدث حول ذلك الشيخ الشاذلي في مقاله: تصحيح المفاهيم بالنسبة للخطاب الفردي والجماعي^(١)، حيث بيّن أن من الخطاب ماهو فردي لايعمم، ومنه ماهو جماعي على مستوى جماعة مثل؛ هيئة أو منظمة أو أمة، ولايصح فيه التحرك الفردي، ومنها ماهو للجماعة، ولكن يخص كل فرد فيها.

ثانياً - بيان مستويات الخطاب القرآني:

إن الخطاب الرباني - بما يحتويه من توجيهات تُرشد صناعة العمران^(٢) - توجه نحو جميع فئات الوجود البشري؛ فخطاب الإنسانية عموماً، وخطاب الفئات التي تجاوبت مع الخطاب الرباني وآمنت، والفئات التي رفضت ذلك الخطاب وكفرت أو نافقت، كما خص الفئات المؤمنة بخطاب مفصل يتناول كل مكونات المجتمع؛ فخطاب الأمة، ومؤسساتها المختلفة، كما خاطب الفرد المؤمن، وذلك خطاباً مباشراً أو غير مباشر، وفق مختلف مستويات الأمر والنهي^(٣)، ومعرفة مستويات الخطاب

(١) ينظر: الشاذلي، عبد المجيد، تصحيح المفاهيم بالنسبة للخطاب الفردي والجماعي، مقال في موقع فضيلة

الشيخ عبد المجيد الشاذلي، ٢٠١٥/٨/٧، تاريخ الزيارة: ٢٠٢١/٣/١٥

(٢) إن استقراء الآيات التي تدل على صناعة العمران ستكون فيما يدل إلى النشاط البشري في مجالات الإصلاح المختلفة، انطلاقاً من المفهوم المعتمد للعمران.

(٣) يقصد بمستويات الأمر والنهي: درجات الأحكام الشرعية: (الحلال، المستحب، المباح، المكروه، والحرام)

الرباني أمر مهم للتمييز بين مجالات التكليف لكل مستوى، وإن متابعة جميع المواضيع التي تحتوي ذلك الخطاب، لايتسع لها المجال، وإنما يكتفى في هذا المقام بانتقاء بعض الأمثلة التي تخدم الموضوع.

■ مستوى الخطاب الإنساني العام:

ابتدأ الخطاب العام للإنسانية ببيان مهمة الإنسان ودوره الذي خلق من أجله في الحياة، وذلك في قوله تعالى ﴿... إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً...﴾ [البقرة: ٣٠]، وهو خطاب شامل للفرد والمجتمعات والأمم، دون تحديد عرق أو لون أو قوم، ودون تحديد زمن في مسيرة الإنسانية، وقد ورد هذا المعنى في قول عبد المجيد النجار: "وليس المقصود بالخليفة شخص آدم فقط، بل المقصود به نوع الإنسان عامة"^(١)، وقد بيّنت الآية المقصد من خلق الإنسان بأنه الاستخلاف، وبيّنت معنى كثير من المفسرين دلالة الاستخلاف بأنه الإصلاح وعمران الأرض، وفي ذلك قال ابن عاشور: "فالخليفة آدم وخلفيته قيامه بتنفيذ مراد الله تعالى من تعمير الأرض"^(٢)

وقد تناول الخطاب العام حقائق أساسية، منها حقيقة وحدة الأصل البشري، وتكامل الذكر والأنثى، الأمر الذي ظهر في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، وإن استقرار هذه الحقيقة في نفوس الناس كفيل باستبعاد الصراع العنصري، واستبعاد الصراع الطبقي، وكفيل بالبيان أن المرأة والرجل زوجان متكاملان، وقد أشار سيد لذلك في

(١) النجار، عبد المجيد، فقه التحضر الإسلامي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٩، ص ٥١

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٣٩٩٩/١

تفسيره للآية الكريمة^(١)، كما أن استقرار هذه الحقيقة كفيل بعُمران معنوي يعمر نفوس الناس على مختلف عروقهم وانتماءاتهم، ويدفعهم للتعاون في عمران الأرض، إضافة لعمران معنوي يعمر الذكر والأنثى، ويدفعهما للتكامل في عمران الأسرة، وتُعدّ تلك الحقيقة من معايير تقييم الحضارات البشرية، فإن قيمة الحضارة تقاس بمدى احترامها للبشرية جمعاء، وليس بمدى ارتفاعها مادياً فقط.

كما تناول حقيقة الهدف من اختلاف الشعوب والألسنة والألوان والانتماءات، ألا وهو التعارف، وبين مقياس التفاضل، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]، إن حسن إدراك هذه الحقيقة جدير بوقف التناحر والخصام بين الشعوب، وفتح باب التعارف والوئام، والاتفاق على بذل الجهود في عُمران الأرض بدل تدميرها، وهو جدير كذلك بتكامل المواهب والاستعدادات، وتبادل الخبرات والثروات، لتحقيق كرامة الإنسان، والاجتماع تحت لواء التقوى في الحياة.

كذلك نبّه الناس لتداعيات الغفلة عن الإصلاح، وعن الدفاع عنه، وهي ظهور الفساد في الأرض، حيث قال: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١]، وقد سبق بيان معنى الظهور بالوضوح والغلبة، كما سبق البيان أن الفساد ضد الصلاح، وأن الإصلاح مدار العُمران، فإن غفل الناس عن وظيفتهم العُمرانية في تحري الإصلاح، وغفلوا عن دفع الإفساد، تغلب الفساد على الصلاح، وانعكس سوءاً عليهم، وقد نبّه

(١) ينظر: سيد، في ظلال القرآن، ٥٧٤/١

الشعراوي لهذا المعنى، وقال: "فإن علا تيار الفساد وظهر على الصلاح وغلبه بان للناس." (١).

مستوى خطاب الأقسام:

ينقل لنا الخطاب القرآني توجهاته لأقسام مضت، نلمس فيها الدعوة للإصلاح، وتحقيق العمران، مثل خطابه لبني إسرائيل حول الوفاء بالعهد: ﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّيَ فَآرْهَبُونَ﴾ [البقرة: ٤٠]، وبيانه لهم بعض مجالات العمران المعنوي؛ في حسن العلاقة مع الله ومع الآخرين، فقال: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ...﴾ [البقرة: ٨٣]، وكذلك خطابه الوارد على لسان الأنبياء، مثل قول صالح عليه السلام - سبق ذكره - ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَبْنَؤُمْ عِبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنفُسُوا الْكَيْالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَانَكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ [هود: ٨٤]، والأمثلة حول هذا الأمر متعددة، تبين التوجهات الربانية لمختلف الأقسام عبر الزمن لتحقيق العمران، ويبين الخطاب الجمعي للأقسام أن الاستجابة الجمعية هي المطلوبة في هذا المقام، وهي التي تحقق الأهداف العمرانية المرجوة، وإن إيراد قصص تلك الأقسام هي للاعتبار.

مستوى خطاب جمع المؤمنين:

لقد ورد الخطاب المباشر للمؤمنين بصيغة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ في تسع وثمانين موضعاً في القرآن الكريم، إضافة إلى مواضع تضمنت دلالة الخطاب دون

(١) الشعراوي، تفسير الشعراوي، ١٨/ ١١٤٧١، ١١٤٧٢

البدء بتلك العبارة، ويلاحظ أن الخطاب جاء بصيغة الجمع، لكنه يصلح في بعض المواضع أن يكون خاصاً بكل فرد مؤمن، إضافة لجمع المؤمنين، وبعضها خاص بالجمع فقط، وقد جاء ذلك الخطاب في البعدين المادي والمعنوي، كما سيتضح في بعض الأمثلة المنتقاة من آيات كثيرة:

أول ذكر - في ترتيب المصحف - للذين آمنوا واستجابوا للمنهج الرباني الداعي للعُمران، كان ذكر جزاء أعمالهم الصالحة: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ...﴾ [البقرة: ٢٥]، وهو خطاب يناسب كل فرد، ويناسب مجموع المؤمنين، أما أول خطاب مباشر لهم فكان دعوة لإصلاح القول، وهو بعد سلوكي، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رُعِنَا وَقُولُوا أَنْظِرْنَا وَاسْمِعُوا...﴾ [البقرة: ١٠٤] - وهو خطاب لكل فرد مؤمن - بعد ذلك ورد التأكيد على أهمية القول، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ٧٠]، وقد تتالى الخطاب ليبين ركائز الشخصيات المؤمنة القادرة على العُمران، حيث وردت عدة توجهات معنوية، تبني وجدان الفرد المسلم الإيماني، ضمن المجتمع المؤمن، مثال ذلك بيان مكانة الصبر والمصابرة والمرابطة، مع التعهد الجمعي، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

وكذلك تتضمن توجهات أخلاقية تبني الإنسان المؤمن، وتبني مجتمعه المحيط، مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا...﴾ [النور: ٢٧]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ...﴾ [الحجرات: ١١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا

تَنْجِيْتُمْ فَلَا تَنْجُوا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَنِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنْجُوا بِالْبِرِّ وَالْتَّقْوَىٰ
وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ [المجادلة: ٩].

وجاء الخطاب لبيان أبعاداً مادية، كبيان النظم الاقتصادية التي تحقق
العُمران، مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ ...﴾ [البقرة: ٢٥٤]، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٧٨]، وهذا التوجيه للفرد المؤمن في ممارساته المالية، وهو
خطاب جمعي في الوقت ذاته، يصلح للمؤسسات والأمم.

كذلك نظم علاقة الفئة المؤمنة مع الفئات التي رفضت الإيمان والمنهج
الإيماني: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ
فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَنَّةً ...﴾ [آل عمران: ٢٨]، وحذر من
طاعة تلك الفئة بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ
أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٩]، وهذه السياقات خاصة بالكيانات
الجمعية، تحذرها من العداوات الجمعية التي تستهدف الأمة، والأمثلة كثيرة لا يتسع
المقام لذكرها.

وقد اختتم ذلك الخطاب للمؤمنين - حسب ترتيب المصحف - بالتنبيه من
الخسران وبيان سبيل النجاة، في قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾
إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ١-
٣]، ويحسن في هذا المقام إدراج قول أبي يعرب المرزوقي حول بيانه بعضاً من معاني
العمل الصالح، والتواصي بالحق والصبر، وبيان دورهما في تقدم المجتمعات، وبناء
العمران، فيقول: "إن الشرطين المحددين لدور الجماعة وسهمها هما: ١- التواصي
بالحق ٢- والتواصي بالصبر، والأول هو روح الاجتهاد في طلب الحقيقة في الجماعة

وهو سر ابداع التراث الموحد روحياً، والثاني هو روح الجهاد في السعي لتحقيقها في التاريخ الفعلي وهو سر الثروة الموحدة مادياً^(١).

مستوى خطاب الأمة المسلمة:

إن مفهوم الأمة المقصود هنا هو "مجموعة من الناس تحمل رسالة حضارية نافعة للإنسانية، وتعيش طبقاً لمبادئ هذه الرسالة"^(٢)، كما قدمه ماجد عرسان الكيلاني في كتابه (الأمة المسلمة)، وإن الخطاب الذي وجه للأمة المسلمة حمل كليات تبين دورها الريادي في العالم، من شهود حضاري، وخير يعم الإنسانية.

إذن لقد توجه الخطاب القرآني للأمة المسلمة مبيناً دورها في العمران من خلال مكانتها في الشهود الحضاري، ومن خلال خيريتها، حيث يظهر دورها في الشهود الحضاري في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا...﴾ [البقرة: ١٤٣]، ويظهر دورها في الخيرية الحضارية في قوله تعالى: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ...﴾ [آل عمران: ١١٠]، وإن قضية الشهود الحضاري، تظهر في ثلاثة أمور^(٣):

- الخلافة لله، وذلك هو الإطار العقدي لهذا التحضر.
- الشهادة على الناس، وذلك هو البعد الإنساني فيه.

(١) المرزوقي، أبو يعرب، لماذا تراجع العرب والمسلمون، مقال في صحيفة (عربي) الالكترونية، ١٥/١/٢٠٢١م، تاريخ الزيارة: ٦/٣/٢٠٢١م.

(٢) الكيلاني، ماجد عرسان، الأمة المسلمة، بيروت: العصر الحديث للنشر والتوزيع، ط ١، ١٩٩٢، ص ١٤

(٣) النجار، عبد المجيد، فقه التحضر الإسلامي، مرجع سابق، ص ٦، بتصرف يسير

• ارتفاق الكون، وذلك هو علاقة التحضر بالبيئة الكونية التي هي المسرح المكاني له.

ويظهر التكريم للأمة المسلمة بوضوح في الشهود الحضاري وفي الخيرية، الأمر الذي يتطلب حضور وعي الأمة دوماً، حتى تقوم بدورها الرسالي خلال مسيرة العمران.

مستوى خطاب المؤسسات:

لقد حفل الخطاب القرآني بتوجيهات لمؤسسات المجتمع، التي تتشكل بمجموعها الأمة الراشدة الخيرة، ذات الشهود الحضاري، والتي بوجودها يتحقق العمران، ومن تلك المؤسسات مؤسسة الأسرة، والإدارة، والمؤسسة المالية، والمؤسسة التربوية، ومؤسسة التعليم، ومؤسسة القضاء، ومؤسسة الدفاع، وغيرها، وسيكتفى في هذا المقام بذكر بعضها باختصار.

تُعدّ مؤسسة "الأسرة" النواة الرئيسة لبناء الأمة الراشدة، والمحرك الأول لتوجيه المسار العمراني - الأمر الذي ظهر مفصلاً في دراسة متخصصة بعنوان: "مقصد الأسرة في القرآن: من الإنسان إلى العمران"^(١)، حيث ورد فيها أن الأسرة ذكرت منذ قضية الاستخلاف في الأرض، ﴿وَيَأْدُمُ أَسْكُنُ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٩]، مما يبين أن الاستخلاف قائم على الزوجية ضمن تلك المؤسسة، وقد اعتنت الآيات ببيان الأسس الواجب توفرها فيها حتى تكون مؤهلة للقيام بدورها في ذلك الاستخلاف، ومن تلك الأسس ما اختصرته عبارة: ﴿... هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ...﴾

(١) ينظر: تلوت، جميلة، مقصد الأسرة في القرآن: من الإنسان إلى العمران، بحث ضمن كتاب: مقاصد القرآن الكريم، القاهرة: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ط ١، ٢٠١٨.

[البقرة: ١٨٧]^(١)، كما اعتنت الآيات ببيان مقاصد الأسرة، ومن أهمها تحقيق السكن النفسي للزوجين: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١]، كذلك بيّنت أن الأسرة هي المنشأ الرئيس للأجيال المرجو قيامها ببناء العمران: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ...﴾ [النحل: ٧٢]، وبيّنت أن الزواج سبيل لتعارف المجتمعات ونشوء روابط بينها ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٤]، لذلك حذر الله تعالى من ممارسات تودي بالأسرة، مثل قتل الأولاد: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا يُمْلِكُنَّ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ...﴾ [الإسراء: ٣١]، وعالج المشكلات التي قد تنشأ في الأسر، فبيّن سبل الإصلاح حال الخلافات: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٥]، وتناول كثيراً من القضايا؛ مثل أمور الإرث ضمن العائلة الممتدة، وغيرها من القضايا التي يكتفى بما ذكر منها في هذا المقام.

ومن الأمور التي اعتنى بها الخطاب القرآني والمرتبطة بالمؤسسية موضوع الإدارة التي لا بد منها لكل مؤسسة، حيث ورد لفظ الإدارة في قوله تعالى: ﴿... إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجْرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ...﴾ [البقرة: ٢٨٢]، وجاء الأمر بكتابة الدين في الآية ذاتها، وهو يعدّ أمراً إدارياً توثيقياً وتنظيمياً للمعاملات بين البشر، كذلك احتوى الخطاب القرآني عناية بالمنهج الإداري، الذي

(١) معنى اللباس في قوله تعالى (هن لباس لكم ...) : الالتصاق، الوقاية من الحر والبرد، الزينة والجمال، الستر، الدفء، التناسب، الاحتواء، السكن، النظافة، الطيب، النعومة، الراحة، ينظر: العويد، محمد رشيد، ماذا نفهم من قوله سبحانه: (هن لباس لكم وأنتم لباس لهن) ، مقطع فيديو، برنامج وقفات – تلفزيون الكويت،

www.youtube.com/watch?v=ajVhKtgnNpw/، ٢١-١١-٢٠١٨، تاريخ الزيارة: ٢٠٢١-٣-٢١

تجلى في منظومة الاستقامة في القرآن، بدأً من آية: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]^(١)، وكذلك تنوعت قضايا الإدارة في القرآن، فقد نبّه إلى قضية إدارة الموارد الطبيعية كما ورد في قصة يوسف عليه السلام ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِصُونَ﴾ [يوسف: ٤٧-٤٩]، وأشار إلى قضية تنظيم الموارد البشرية كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٦٥]، ونبّه إلى حسن التوجيه والتواصل بين القائد وأتباعه، في قوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ...﴾ [آل عمران: ١٥٩]، ونبّه إلى قضية محاربة الفساد، فقال: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥].

كما احتوى الخطاب القرآني إلى جانب ذلك توجيهات للمؤسسة المالية، فحذّر من أن تكون الأحكام سبيلاً لأكل الناس أموالهم بينهم ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِيَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٨]^(٢)، ودعا إلى العدل والإنصاف في الميزان، ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٥]، وقوله: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٣]،

(١) تمت الإشارة إلى منظومة الصراط المستقيم في خلاصة دراسة ورود الصراط المستقيم، ص ١٠٦-١٠٧.

(٢) في الآية تحذير للأفراد كذلك، يقول الشعراوي: "أي إياكم أن تأكلوها بالباطل ثم تدلوا بها إلى الحكام ليبرروا

لكم أن هذا الباطل هو حق لكم" تفسير الشعراوي، ٧٩٩/٢.

ويلاحظ أن الخطاب المالي يصلح للأفراد مستقلين، كما يصلح للكيانات الجمعية المؤسسية أو الدولية.

كذلك اهتم الخطاب القرآني بمؤسسة الدفاع، فحفل بالآيات التي تنظم وتضبط القتال، مثل: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠]، وبين أهداف القتال: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ آنَهَوْا فَلَا عُدُونِ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٣]، وعالج الحالة النفسية للمؤمنين تجاه القتال: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦]، وبين دور القتال في حماية المشروع العمراني: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٧٥]، ويلاحظ أن الخطاب الخاص بموضوع الدفاع والقتال هو خطاب جمعي منظم، لا يستقيم أن يقوم به الأفراد مستقلين.

وإن التوجيهات الإلهية لمؤسسات المجتمع لإرشادها في مسيرة العمران واسعة وعميقة، يكتفى منها في هذا المقام بما ذكر.

مستوى خطاب الفرد المؤمن:

لقد نال الفرد المؤمن المؤهل للمشاركة في صناعة العمران، الكثير من توجيهات القرآن في جميع مناحي الحياة المادية والمعنوية؛ وقد ورد ضمن ذلك الخطاب بصيغة الجمع ضمن الأفراد المؤمنين حيناً، كما سبق ذكره، وبشكل إفرادي أحياناً، حيث احتوى الخطاب الموجّه إلى الفرد المسلم اتجاهين: توجيهه لمعرفة خالقه، ودوره الاستخلافي في الحياة، وتوجيهه لصناعة ذاته وإصلاح علاقاته مع

الآخرين، أما معرفة الخالق فقد تجلت في منظومة آيات، منها قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ٢٢]، وأما اتجاه صناعة ذاته فقد ظهرت من خلال الارتقاء بوجدانه وعقله وجسمه وعلاقاته مع الآخرين ومهاراته وقدراته، مثل قوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۖ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۖ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٦-١٠]، وقوله تعالى: ﴿... وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۖ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [فاطر: ١٨]، إضافة إلى منظومة آيات تصنع الإنسان، سيتم تفصيلها لاحقاً عند الحديث عن صناعة الفرد ضمن مجالات البناء العمراني.

المطلب الثاني – فهم السنن الإلهية ومراعاتها

تعتمد الدراسة "السنن الإلهية" موجهاً ثانياً يضبط العلاقة بين الإنسان وبين العناصر الكونية المسخّرة، من جهة، ويوجّه العلاقة بين الناس أفراداً وجماعات، ويحسن بداية تحديد المقصود بمصطلح السنن الإلهية، ثم بيان مكانة تلك السنن في ضبط اتجاه بناء المشروع العمراني، وفق المنظور القرآني.

أولاً - تحديد المقصود بموجّه السنن الإلهية

إن السنن مصطلح السنن هو مصطلح قرآني، ورد في أكثر من موضع، مثل قوله تعالى ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٢]، ولكن تبين بعد البحث والتنقيب في الدراسات التي تناولت مفهوم السنن الإلهية أنه قد تم التعبير عنه وفق مداخل أربعة^(١): السنن باعتبارها إرادة الله

(١) ينظر: حيدوسي، عمر، السنن الإلهية وتفسير القرآن الكريم في العصر الحديث، رسالة دكتوراه في جامعة

الحاج لخضر باتنة، الجزائر، ٢٠١٢م، ص ١٦١-١٩٢

وحكمته ومشيثته^(١)، والسنن بوصفها القانون الإلهي^(٢)، والسنن باعتبارها المنهج والطريقة^(٣)، والسنن بوصفها المثال والنموذج والعادة^(٤)، وتأمل ما أورده العلماء والمفكرون من مفاهيم للسنن ضمن المداخل السابقة، وبمراعاة أثر مدلولات التعريفات في قضية العُمران، فإن هذه الدراسة تميل لاعتبار السنن الإلهية بوصفها القانون الإلهي، وتبنى المفهوم الذي أورده زيدان لها^(٥)، بأن السنن الإلهية ((قوانين عامة حاكمة لكل شيء في العالم، وأن لهذه القوانين العامة وجهين؛ الأول مادي، تخضع له جميع الكائنات في وجودها المادي، والثاني إنساني يتعلق بخضوع البشر له باعتبارهم أفراد وأمم وجماعات))، والقانون هو علاقة ثابتة، بين متغيرات؛ يدعمها الدليل، يصدقها الواقع، فإن لم يدعمها الدليل كانت وهماً، وإن لم تطابق الواقع كانت جهلاً^(٦).

(١) ينظر: ابن تيمية، جامع الرسائل، تحقيق: محمد رشاد سالم، الرياض: دار العطاء، ط ١، ٢٠٠١ م، ٥٤، ٥٥/١ - رضا، رشيد، تفسير المنار، ٤١/١، ٢٦٧/٤ - كهوس، رشيد، القواعد الكلية في السنن الإلهية، مجلة المنار الجديد، القاهرة ٢٠٠٩ م، عدد ٤٥ ص ١٤ - البطيوي، سنن العمران البشري في السيرة النبوية، ص ٩٨ - وغيرهم

(٢) ينظر: عبده، محمد، الإسلام دين العلم والمدنية، القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٩٨ م، ص ١٣٢ - سعيد، اقرأ وربك الأكرم، ص ٤٣ - الصدر، السنن التاريخية في القرآن، ص ٦٢، هيشور: محمد، سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها، المنصورة: دار الوفاء، ط ١، ١٩٩٧، ص ٣٦ - زيدان، عبد الكريم، السنن الإلهية في الأفراد والمجتمعات، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ٣، ٢٠٠٢ م، ص ١٢ - عمارة، محمد، معالم المنهج الإسلامي، القاهرة: دار الشروق، ط ١، ١٩٩١ م، ص ٤٠ - وغيرهم.

(٣) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٢٨٠/١٦ - المراغي، تفسير المراغي، ٧٧/٢ - الفراهي، عبد الحميد، مفردات القرآن، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط ١، ٢٠٠٢ م، ص ٤٥ - الشعراوي، تفسير الشعراوي، القاهرة: مطابع أخبار اليوم، ط ١، ١٩٩٧ م - وغيرهم.

(٤) ينظر: الطبري، تفسير الطبري، ٢٧٦/٢٠ - ابن القيم، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، بيروت: دار المعرفة، ١٩٩٨ م، ص ١٩٩.

(٥) ينظر: زيدان، عبد الكريم، السنن الإلهية في الأمم والجماعات، مرجع سابق، ص ٧، ١٣.

(٦) ينظر: النابلسي، محمد راتب، قوانين القرآن، موسوعة النابلسي، ١٣-٩-٢٠٠٧، تاريخ الزيارة ٣٠-٣-٢٠٢١، بتصرف

وقد تم تناول قضية السنن الإلهية في بعض التفاسير والدراسات^(١)، وذلك وفق وجهي القانون العام الذي يمثلها، فتم إطلاق مصطلح "السنن الكونية" على القوانين الطبيعية التي تتعلق بالأشياء (من الذرة إلى المجرة)، والظواهر والأحداث المادية غالباً، مثل: السماء وما فيها من كواكب ونجوم، والأرض وما فيها من جبال وأشجار وأنهار وبحار وصخور وتربة وكائنات؛ (آيات الآفاق)، وكذلك جسم الإنسان، وما فيه من أسرار تندرج تحت المباحث الطبية؛ (آيات الأنفس)، وأطلق مصطلح "السنن الإنسانية" على القوانين التي تتعلق بسلوك البشر وأفعالهم ومعتقداتهم وسيرتهم في الدنيا، وفق أحوال الاجتماع والعمران البشري، وما يترتب على ذلك من نتائج في العاجل والآجل^(٢)، وقد اجتهد شهبان في بيان الأساليب القرآنية الدالة على السنن، والموجهة لاكتشافها^(٣).

وقد فصلت الدراسات المختلفة في خصائص السنن، فبينت أنها ثابتة، ومطرودة، وقابلة للكشف، وشاملة وعامة، وأنها عامة ومحيدة تستجيب لكل من يتعقلها، وأنها متداخلة ومتراصة^(٤).

(١) ينظر: رضا، تفسير المنار - سيد، افي ظلال القرآن - ابن عاشور، التحرير والتنوير - الشعراوي، تفسير الشعراوي، الغلبوري، توفيق، السنن الكونية والاجتماعية في القرآن الكريم، فاس: جامعة القرويين، بدون تاريخ، وغيرهم

(٢) لقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية الفرق الدقيق بين السنن الكونية والاجتماعية، بعدما ذكر كثيراً من السنن الشرعية والاجتماعية، فقال: (... وهذه السنن كلها سنن تتعلق بدينه، وأمره ونهيه، ووعده ووعدته، وليست هي السنن المتعلقة بأمور الطبيعة، كسنته في الشمس والقمر والكواكب وغير ذلك من العادات)، ابن تيمية، جامع الرسائل لابن تيمية، مرجع سابق، ٥٢/١

(٣) ينظر: شهبان، راشد، تأصيل علم السنن الربانية، عمان: مجلة القسم العربي، العدد ٢٥، ٢٠٠٨، ص ٢٤ -

(٤) ينظر: شهبان، تأصيل علم السنن الربانية، مرجع سابق، ص ٤٠ - ٥٧

ثانياً - السنن الكونية موجّهة للمشروع العمراني :

إذا كانت معرفة السنن الكونية الطبيعية أمراً مهماً للاستدلال على الخالق

ومعرفته وعبادته حق العبادة، فإن معرفتها من أجل ضبط وتوجيه عملية التفاعل مع العناصر الطبيعية المسخرة للإنسان أمر لا يقل أهمية، وذلك للقيام بواجب الاستخلاف من خلال حسن الاستفادة منها، والانتفاع بها من جهة، ودعوة الناس إلى الخالق من خلال نفع البشرية، من جهة أخرى، ويُعدّ ذلك كله ضرورة لتحقيق عُمران الأرض فيما يتعلق بالجانب المادي منه.

تتجلى السنن الكونية في القرآن الكريم من خلال حديثه عن دعائم النظام الكوني المتناسك بفضل التوازن الرباني الذي يحكم عناصر الكون، وإن أفضل ما يشير إلى تلك السنن الكونية ما ورد على لسان موسى عليه السلام في مواجهة الطغيان الفرعوني: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: ٥٠]، والتي أتمها المولى سبحانه في قوله المرتبط بسياق التقديس والتنزيه: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ﴿ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ [الأعلى: ١-٣]، مما يشير إلى أن السنن الكونية انبثقت من اسم الله الأعلى في تدبير ملكه، ونفع عباده، وتكليفهم، وابتلائهم.

لدى البحث عن قضية السنن الكونية في التفاسير والدراسات، نجد أن عرجون قد عدّ السنن الكونية العامة ثلاثة: (التوازن، والتناسق، والحركة والجريان)^(١)، وأضاف شهبان ثلاثة (الوحدة، والسببية، والتكامل)^(٢).

(١) ينظر: عرجون، سنن الله في المجتمع من خلال القرآن، مرجع سابق.

(٢) ينظر: شهبان، تأصيل علم السنن الربانية، مرجع سابق، ص ٤٦

ولدى محاولة البحث عن الدراسات التي ربطت بين تلك السنن وبين مقصد العمران نجد أن معظم الدراسات تهتم بمقصد من مقاصد السنن الكونية فقط ، هما الاستدلال على الخالق عز وجلّ، وإثبات البعث والحساب، من جهة، والوصول إلى الإعجاز العلمي الذي يُعدّ ورقة رابحة للدعوة في زمن تقدم العلم من جهة أخرى. أما قضية الكشف عن السنن من أجل القيام بواجب عمران الأرض، واستلام زمام العلم، وإعمار الأرض بالمنجزات العلمية، والدعوة إلى الله من خلال نفع العالم، فلا يكاد يبحث إلا فيما ندر، ومن تلك الدراسات التي ربطت بين السنن الكونية وإعمار الأرض، دراسة بعنوان (في سنن الله الكونية) لمحمد أحمد الغمراوي^(١)، حيث احتوت الدعوة لعلم باسم "سنن الله الكونية"، يدرس النظم التي فطر الله عليها الخلق، وكل ما اتصل بطبائع الأشياء وخصائصها وعلاقات بعضها ببعض، وبَيَّنَت أن الحكمة من ذلك العلم تكمن في أمرين رئيسين: الأول هو معرفة الخالق عز وجلّ وتعظيمه وخشيته وعبادته، والثاني تحقيق منافع مادية آتية من استخدام حقائق العلم في شؤون الإنسان، كالانتفاع - مثلاً - بخواص الكهرباء والبخار والحديد في تسيير المركبات^(٢)، وهذا يلتقي مع مقصد العمران في شقه المادي، ومن تلك الدراسات دراسة باسم (آيات الله الكونية في القرآن الكريم)، للمؤلف محمد المهيري^(٣)، حيث بينت أن الآيات الكونية احتوت دعوة للإنسان لتشغيل عقله في التفكير النافع فيما

(١) الغمراوي، محمد أحمد، في سنن الله الكونية، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والنشر، ط ١، ١٩٣٦ م، الكتاب كان ثمرة تدريس علم سنن الله الكونية في كلية أصول الدين في جامعة الأزهر، ثم تم إيقاف تدريس ذلك العلم، وحذف من المناهج.

(٢) ينظر: الغمراوي، في سنن الله الكونية، المرجع السابق ص ١، ٤

(٣) ينظر: المهيري، محمد، آيات الله الكونية في القرآن الكريم، تونس: جامعة الزيتونة، ١٩٨٠

خلق الله، لاكتشاف أسرار الكون، واستخراج كنوزه، ذلك التفكير المصحوب بتذكر الخالق المنعم^(١).

ويتبين بعد التأمل في منظومة الآيات الكونية في كتاب الله أنها وردت باتجاهين؛ الأول الحديث عن الأفاق، والثاني الحديث عن الأنفس، والتي أجملت في قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣]، حيث وجهت آيات الأفاق النظر نحو الخارج البعيد، بينما وجهت آيات الأنفس الاهتمام بأعماق الإنسان، وقد شملت آيات الأفاق السموات بكل ما فيها: (بناء السماء، والشمس، والقمر، والنجوم، والكواكب، والفلك)، وشملت الأرض بما فيها: (الجبال، والصخور، والتربة، والمعادن، والبحار، والأنهار، ودورة الماء، والنبات، والحيوان، والحشرات، والذرة)، أما الآيات التي تتحدث عن الأنفس فجزء منها مادي وآخر معنوي، والذي يندرج تحت الآيات الكونية هو المادي الذي يتعلق بجسم الإنسان.

من أمثلة آيات الأفاق قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ السَّابِقِينَ يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ اللَّهَ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِينَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤]، ومن أمثلة آيات الأنفس قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّىٰ مِنْ قَبْلٍ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [غافر: ٦٧]، إن التأمل في المثالين السابقين يدل على عدة هدايات:

(١) ينظر: المهيري، آيات الله الكونية في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص هـ

• حضور قضية العقل في الفاصلة، والسياق يدل ضرورة على إعمال العقل في القضايا الطبيعية المذكورة، فضلاً عن التعقل المطلوب تجاه عظمة الخالق.

• احتوت آية الأفاق موضوع (منفعة الناس)، والمنفعة لا تتم تلقائياً من المسخرات إلا بتفاعل البشر معها، ووفق سننها.

• لا تتم الدعوة إلى الله من خلال الحديث عن آيات الأفاق، وعن تطابقها مع حقائق العلم الحديث (الذي تقدم به غير المسلمين) فقط، وإنما تتم من خلال حسن التفاعل معها، ونفع الإنسانية بها.

وتؤصل الآيات الكونية لعدة قضايا، منها:

١- الدعوة للوصول إلى درجة العالمية فيها، كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٍ﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿[فاطر: ٢٧-٢٨]، حيث يتضح من السياق أن المراد بالعلماء هنا هم العالمون بأسرار المخلوقات التي تم ذكرها في الآيات^(١)، هم علماء الأرض والأحياء والنبات والطب ... الخ، حيث احتوت الآية عدة قضايا علمية: (دورة الماء، وإنبات الزرع، وتنوع الثمار، وتنوع الجبال والصخور، وتنوع العروق البشرية، والسلالات الحيوانية).

(١) ورد هذا المعنى عند الشعراوي في تفسيره، ٧٨٣٩/١٣، حيث قال: "فلنا أن نعرف أن العلماء هنا مقصود بهم كل عالم يقف على قضية كونية مركوزة في الكون أو نزلت من المكون مباشرة، ولم يقصد الحق سبحانه بهذا القول علماء الدين فقط، فالمقصود هو كل عالم يبحث بحثاً ليستنبط به معلوماً من مجهول، ويجلي أسرار الله في خلقه"، كما ورد عند الغمراوي في سنن الله الكونية، المرجع السابق ص ٤،

٢- الدعوة إلى قضية التخصص في مختلف أنواع العلوم؛ فقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٩٧] يدعو إلى الاهتداء بالنجوم، الأمر الذي يحتاج لوجود تخصص بعلم الفلك تحديداً، وذات الأمر يتضح في قوله تعالى: ﴿فَلَا أَقْسَمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ﴾ [الواقعة: ٧٥]، حيث يقسم الله بمواقع النجوم، ومعرفة مواقع النجوم أمر لا يقدر عليه إلا علماء الفلك، كما تظهر الدعوة للتخصص في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ [النحل: ٦٥]، حيث لا يعرف سرّ نزول الماء إلا بالعلوم الطبيعية، ولا يعرف تركيب الماء وخواصه إلا بعلم الكيمياء، أما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُم فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ [النحل: ٦٦]، فإنها دعوة للتخصص في علوم الأحياء، وعلوم الطب، أما قوله تعالى ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النحل: ٦٧]، فإنها دعوة لسبر أغوار علم النبات والتغذية.

٣- الدعوة إلى اكتشاف خصائص الأشياء لإمكانية الانتفاع بها الانتفاع الأمثل، كما في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥]، حيث بيّنت أهمية الحديد ونفعه للناس، وتضمنت الدعوة لاكتشاف خصائصه والعمل على الاستفادة منه في السلم والحرب.

٤- الدعوة إلى دراسة الخامات والظواهر الطبيعية والاستفادة منها، كما ورد في قوله تعالى حول دور بعض الخامات والظواهر في عملية البناء، كما

في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمِئَةً إِلَى حِينٍ﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنُنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَبِيلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ وَسَرَبِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ [النحل: ٨٠-٨١].

خلاصة القول أن السنن الكونية العامة تندرج تحت سنن كلية هي: (الوحدة، والتوازن، والسببية، والتناسق، والتكامل، والحركة والجريان)، وتدور في فلكها سنن جزئية هي قوانين العلوم المختلفة، مثل علوم: الفلك والأرض والفيزياء والكيمياء والأحياء والطب، وغيرها، وأن تحقيق الجانب المادي في العمران مرهون بفهم تلك السنن، وتطبيقها في الواقع، خلال التعامل مع المسخرات في الكون، وقد أهاب شهبان بالعلماء لاستقراء تلك السنن من الآيات القرآنية كل من زاوية تخصصه، من أجل التقدم في مختلف تطبيقاتهم العلمية والعملية^(١)، فلا يمكن الانتفاع بالمسخرات ومراعاتها دون فهمها، كذلك لا يمكن تحقيق الجانب المادي في عمران الأرض، ولا يمكن ارتفاع مكانة الأمة المسلمة بين الأمم، وبالتالي لا يمكن الدعوة إلى الله على خير وجه.

ثالثاً - السنن الإنسانية موجّهة للمشروع العمراني :

سبق البيان - ضمن بيان مفهوم السنن - أن السنن الإنسانية هي قوانين عامة حاكمة يخضع لها الإنسان باعتباره أفراداً وأممًا وجماعات، واستناداً لذلك؛ لا يمكن أن يتم عمران الأرض في جانبه المعنوي دون فهم تلك السنن ودون تطبيقها في الواقع، وقد رأى عرجون أن السنن الاجتماعية في الخطاب القرآني هي حلقة من

(١) ينظر: شهبان، تأصيل علم السنن الربانية، مرجع سابق، ص ٢٣

النظام الكوني القائم على التناسق بين عناصر الكون الوجودية، تناسقاً تؤدي به عملها الذي تقتضيه طبيعة وجودها في مكانها من الحياة^(١)، وذلك على الرغم من عدم وضوح السنن في الواقع البشري كما هو واقع المادة، بسبب العنصر الروحي في الإنسان وإرادته الحرة، مع الخفاء والغموض الملاحظين في المجال البشري^(٢).

لقد حفل كتاب الله تعالى بذكر سنن إنسانية توجه مسيرة المجتمعات، وقد تم ذكر تلك السنن إجمالاً وتفصيلاً، قال تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الفتح: ٢٣]، وقال: ﴿سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٧]، ﴿أَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٣]، وهذا يدل على أن تلك السنن هي قوانين إلهية ثابتة لا تتغير، ولا تتبدل، ولا تجمّد، ولا تعطل، ولا تعدّل ولا يضاف عليها، ولا يحذف منها شيء، وأنها تنطبق عليها جميع خصائص السنن المذكورة سابقاً في بيان السنن.

تبدو السنن الإنسانية في الخطاب القرآني قد وردت باتجاهين: اتجاه يتعلق بالإنسان الفرد، واتجاه يتعلق بالمجتمع بكافة مستوياته (مؤسسة، وجماعة، ودولة، وأمة)، ولكل من الاتجاهين خصائص تميزه، وقد بيّن عرجون أن تمازج القوى الفردية في المجتمع يحقق سنة التوازن التي تنبثق منها سائر السنن الأخرى الموجهة

(١) ينظر: عرجون، سنن الله في المجتمع من خلال القرآن، مرجع سابق، ص ٩

(٢) خميس، رمضان، مفهوم السنن الربانية، ص ٧٢

للأفراد والجماعات والأمم والشعوب^(١)، وبناء عليه أسس لعدة قضايا اجتماعية تركز عليها السنن، سمّاها (العوامل الحافظة)، وتوجّه لإعمار الأرض، وفقاً للآتي:

العامل الأول (وحدة الأصل الإنساني):

يظهر ذلك العامل في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ - وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ - فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنُكَوِّنَنَّ مِنَ الشَّكْرِينَ﴾ [الأعراف: ١٨٩]، وقوله: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا...﴾ [الزمر: ٦].

وإن تعدد الورود للقضية ذاتها ليس للتأكيد، وإنما للتأسيس لحقيقة الأمر في بناء المجتمع الإنساني ضمن المسيرة العمرانية، باعتبار أن هذا العامل هو الحافظ للمجتمع الإنساني من الانحلال كما في قوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ [محمد: ٢٢].

العامل الثاني (المودة الرحيمة والرحمة الودودة)

جعل الله تلکم المودة والرحمة بين عنصري الخلية الأساسية في المجتمع، وذلك في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا...﴾ [الأعراف: ١٨٩]، وهو إجمال تم تفصيله في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ

(١) ينظر: عرجون، سنن الله في المجتمع من خلال القرآن، مرجع سابق، ص ٩

لَا يَتَّبِعُ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ [الروم: ٢١] ^(١)، باعتبار أن الجانب المعنوي المتمثل في المودة والرحمة هما مادة لبناء أول مجتمع يقوم عليه صرح المجتمع الانساني الشامخ العريض، وهما ثمرة الإخاء الرحمي الذي ربط الله بوشائجه الانسانية كلها رباطا أخويا لا تنفصم عراه. ^(٢)

العامل الثالث (التعارف العام بين فصائل الإنسان)

الأمر الذي ظهر في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿[الحجرات: ١٣]، وقد عبّر عرجون عن الأمر بقوله: "وهذا هو المجتمع الذي أنشأه الله تعالى، ووضع له سننه كي يعيش على هذه الأرض يعمرها فكريا واجتماعياً، وقيم عليها منارات العدل ومنازل الرحمة والتعرف الأخوي". ^(٣)

تبدو تلك العوامل بمثابة مرتكزات للسنن الإنسانية التي تؤثر في توجيه المشروع العمراني في الأرض، ويمكن تلخيص أهم تلك السنن فيما يلي:

سنة التغاير والاختلاف: قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۚ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [هود: ١١٨]، فبالرغم من وحدة الأصل الإنساني شاء تعالى أن يجعل الناس مختلفين، وطلب منهم التعارف في ظل ذلك الاختلاف، ﴿... وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا...﴾ [الحجرات: ١٣]، فإن سنة الاختلاف والتغاير تحكم عملية التعارف بين الناس، وتوجه أنظارهم للخروج من ضيق دوائر العصبية، إلى سعة التنوع والتكامل، الذي يحقق الكرامة، تحت مظلة التقوى ﴿... إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ...﴾ [الحجرات: ١٣]

(١) عرجون، سنن الله في المجتمع...، مرجع سابق، ص ٩

(٢) عرجون، سنن الله في المجتمع...، المرجع السابق، الصفحة نفسها

(٣) ينظر: عرجون، سنن الله في المجتمع...، نفس الصفحة

سنة الاعتصام: قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا...﴾ [آل عمران: ١٠٣]، إن سنة الاعتصام كفيلة بتوجيه الاختلاف نحو التكامل^(١)، وإن حبل الله يعني عهده ونهجه، والاعتصام بذلك النهج سبب للهداية للصراط المستقيم، وتحقيق مشروع العمران ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَأَعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ [النساء: ١٧٥]، تلك السنة نعمة تحولت بفضلها المجموعة المسلمة الأولى من كيانات منشغلة بالتناحر، إلى كيانات تعمّر الأرض وتنشر دين الله، بفضل هدايتها إلى الصراط المستقيم، الذي سبق البيان أنه يحتوي المنهج العمراني^(٢).

سنة التدافع: قال تعالى: ﴿... وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١]، ولأن العمران يعني الإصلاح كانت سنة التدافع ضرورة لمواجهة الإفساد في الأرض، وتحقيق مشروع العمران.

سنة التداول: قال تعالى: ﴿... وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ...﴾ [آل عمران: ١٤٠]، وقال: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ...﴾ [يونس: ١٤]، وفي التعليق على تلك السنة قال صاحب المنار: " فلا تكون الدولة لفريق دون آخر جزافا، وإنما تكون لمن عرف أسبابها ورعاها حق رعايتها"^(٣)، وقد انتصر المسلمون في بدر حينما حققوا أسباب النصر، ولم ينتصروا في معركة أحد حينما فرطوا في الأسباب،

(١) ينظر: شهوان، تأصيل علم السنن الربانية، مرجع سابق، ص ٦٤

(٢) سبق بيان علاقة الصراط المستقيم بالمنهج العمراني عند الدراسة السياقية للصراط المستقيم ص ١٠٦ -

١٠٧

(٣) رضا، تفسير المنار، مرجع سابق، ١٢٢/٤

وبناء عليه لا يتم العمران ما لم يتمسك الكيان الجمعي بأسباب وجوده، وبقوانين النصر.

سنة الأجل: قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤]، وهذه الآية تؤيدها منظومة من الآيات التي تبين أن هذه السنة تدل على الأجل المحتوم للوجود الجمعي للأفراد، كما ورد في المدرسة القرآنية: "وكما أن الفرد يخضع لأجل ولقانون، كذلك الأمم أيضاً لها آجالها المضبوطة وقوانينها ... فالأجل الجماعي هنا يعبر عن حالة قائمة بالجماعة" ^(١)، مما يعني أن دوام الكيان الجمعي مرهون بقيامه بالعمران، وأن تحقيق العمران مرهون بعدة عوامل، إن تم التفريط بها جاء الأجل.

سنة التغيير: قال تعالى: ﴿... إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ...﴾ [الرعد: ١١]، إن التغيير المذكور في هذه الآية يعني التغيير نحو الأحسن أو نحو الأسوأ، وفي ذلك قال سيد: "لا يغير عزاً أو ذلة، ولا يغير مكانة أو مهانة إلا أن يغير الناس من مشاعرهم وأعمالهم وواقع حياتهم، فيغير الله ما بهم وفق ما صارت إليه نفوسهم وأعمالهم" ^(٢)، وبما أن المقصود في هذا المقام هو التغيير نحو الأحسن تُعد هذه السنة من أهم السنن في تحقيق الإصلاح الذي هو مكمّن العمران، فإن إصلاح المجتمع وعمرانه يبدأ من تغيير نفوس جمع مناسب من الأفراد حتى يحصل التغيير الجمعي، وفي ذلك قال جودت سعيد: "هي سنة اجتماعية لاسنة فردية، بمعنى أن كلمة قوم تعني الجمع أو الجماعة، التي يطلق عليها الأمة أو

(١) الصدر، المدرسة القرآنية، السنن التاريخية في القرآن، مرجع سابق، ص ٥٧

(٢) سيد، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ٢٠٤٩/٤

المجتمع" ^(١)، وهذه السنّة من أهم موجّهات العمران التي تجمع بين صناعة الفرد وصناعة المجتمع.

أما بخصوص السنن الفردية، فإن الخطاب القرآني قد حفل بالعديد من السنن الفردية في مجال الهداية والجزاء، أما فيما يتعلق بعمران الأرض فإننا نعود إلى مقولة عرجون؛ الذي رأى أن تمازج القوى الفردية في المجتمع يحقق سنة التوازن التي تنبثق منها سائر السنن الأخرى الموجهة للأفراد والجماعات والأمم والشعوب ^(٢)، وبناء عليه فإن في كل سنّة جمعية ذكرت تقابلها قوى فردية تؤسس لها، ويمكن استنباط بعض السنن الإنسانية الرئيسية الخاصة بالفرد التي تصنع إنسان العمران، القادر على صناعة ذاته وفق سنن الله وقوانينه الإنسانية، والقادر على المشاركة في إصلاح مجتمعه، وصناعة العمران، ومن تلك السنن:

• الفرج والرزق مفتاحهما التقوى:

قال تعالى: ﴿... وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ * وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ...﴾ [الطلاق: ٢-٣]،

فالفرج والرزق، بعض من ثمرات التقوى، التي تسكن الوجدان، وتحرك نحو العمران.

• التيسير مفتاحه التقوى والعطاء:

قال تعالى: ﴿... وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤]، ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ [الليل: ٥-٧]، فالتيسير في الأمور من ثمرات التقوى، إن سكنت في القلوب، ودفعت نحو العطاء.

(١) سعيد، حتى يغيروا ما بأنفسهم، القاهرة: مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع، ط٤، ١٩٩٨، ص ٣٨

(٢) ذكرت مقولة عرجون عند ذكر السنن الإنسانية موجّهة للمشروع العمراني، ص ١٩٨.

● الأمن ينشأ من الإيمان ومن استقامة الإنسان:

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ...﴾ [الأنعام: ٨٢]، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠]، إنه الأمن الذي يشكل البيئة المطلوبة لتحقيق العمران.

● الحياة الطيبة طريقها العمل الصالح: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]، إذن التقوى والإيمان والاستقامة والعمل الصالح هي التي تحقق الحياة الطيبة التي يخيم عليها الأمن ويميزها التيسير ويرافقها الفرج والرزق، والتقوى هي التي تصنع إنسان العمران.

المطلب الثالث - مراعاة القيم الإيمانية

لقد تم اعتبار القيم موجّهًا ثالثًا للعمران، وذلك لأن التفاعل الإنساني بمستوياته المتنوعة مع المسخرات المادية والإنسانية، وفق سننها وقوانينها الكونية والاجتماعية، أمر قد ينتج حضارة، ولكنه لا ينتج عُمراناً يحقق قيمة الاستخلاف، إلا إذا سار وفق مقتضيات القيم المنطلقة من المنظور الإيماني، فكم من حضارة قامت على أشلاء الإنسانية^(١)، دون اعتبار لقيمة الرحمة، وكم من حضارة تحترم الإنسان فيها، ولا تقيم وزناً للإنسانية.

ولتحديد المقصود بالقيم لا بد من التنبيه أن القيم كمصطلح معاصر له أصل قرآني، فالقيَم هي جمع قِيَمَة، وجذرُها قَوَمَ، وقد سبق بيان الدراسة الدلالية

(١) مثالها: حضارة أمريكا في العصر الحاضر، والحضارة الحضارة الفرعونية في العصور القديمة.

والسياقية لمادة قَوْمَ في القرآن ^(١)، حيث تبين أنها دللت عموماً على (القيام والاستقامة) بمعنى الحركة الفاعلة التي يؤديها الإنسان فتحقق العمران، بالاستمداد من عدة أصول؛ (الله القيوم، والدين القيم، والكتب القيمة) ^(٢)، ومما جاء في بيان معنى (القيوم، والقيم، والقيمة): "الْقِيُومُ الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه ... الدِّينُ الْقِيَمُ أي المستقيم.... وَالْقِيَمَةُ: كُتُبٌ قِيَمَةٌ أي مستقيمة لا عوج فيها"، وذلك فيما أورده القاسمي في تفسيره ^(٣)، وقد قال تعالى: ﴿... إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ...﴾ [الإسراء: ٩].

إن مفهوم القيم في التعاريف المعاصرة يدور حول معايير السلوك الإنساني ومحدداته وضوابطه، مع ذاته ومع الآخرين، ومع المجتمع، ومع البيئة ^(٤)، بينما ينطلق مفهوم القيم في الإسلام من العقيدة التي تقرر أن الإنسان خلق ليكون خليفة في الأرض، لذلك يعبر مفهوم القيم عن مجموعة المفاهيم والمبادئ والمعايير التي تستهدف ضبط السلوك البشري وتوجيهه لتحقيق الاستخلاف في الأرض ^(٥).

ويمكن أن يطلق على منظومة القيم التي توجه السلوك العمراني لفظ (القيم الكونية) لأنها تنفع الإنسانية كلها، فهي كالشمس والماء، تحقق مبدأ العمران وتحفظه وتوجهه، كما اقترح الصمدي في دراسته ^(٦).

(١) سبق بيان في مبحث مقاربات مادة عَمَرَ، ص ١٠٤.

(٢) ينظر: دراسة القيام في مبحث المقاربات، ص ١٠٤.

(٣) القاسمي، محاسن التأويل، مرجع سابق، ١٨٩/٢، ٤٠٨/٥، ٥٢١/٩.

(٤) ينظر: ملكاوي، التأصيل الإسلامي لمفهوم القيم، مرجع سابق، ص ٩.

(٥) ملكاوي، التأصيل الإسلامي لمفهوم القيم، مرجع سابق، ص ١٣.

(٦) الصمدي، خالد، منظومة القيم الكونية، محاضرة الكترونية مرئية في موقع اليوتيوب، منشورة بتاريخ ٢٠١٦/١٢/١٨، تشرح جهوداً بحثية علمية في تطوان: المركز المغربي للدراسات والأبحاث التربوية، جامعة الملك سعدي

تعتمد هذه الدراسة قيمتي التوحيد والتكريم كقيمتين أساسيتين في المسيرة العمرانية، بل يمكن اعتبارهما القيم الوعاء لغيرها، وذلك باعتبار أن منظومة القيم القرآنية مصدرها من الله عز وجل، وهدفها مصلحة الإنسان بما يصب في محور تكريمه، وذلك باعتبار الإنسان فرداً أو مجتمعاً محدداً، أو مجتمعاً واسعاً، فقيمة الرحمة مثلاً تنبثق من اسم الله الرحيم، وتهدف إلى تكريم الإنسان من خلال رحمته تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وكذلك قيمة العدل التي تظهر في خلق الله وأفعاله، أرادها تعالى أن تتجلى في أفعال عباده ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَنِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُم لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

أولاً- قيمة التوحيد

يَعَدُّ التوحيد مقصداً قرآنياً عاماً، بل هو القيمة القرآنية العليا الأولى فيه، وقد ظهرت تجلياتها عند طه جابر العلواني وفتحي ملكاوي ضمن ما سمي (منظومة القيم الحاكمة)^(١)، بعد أن وردت عند اسماعيل الفاروقي باعتبارها قيمة تحكم مسيرة العمران البشري وتوجهها، وذلك في كتابه (التوحيد .. مضامينه على الفكر وعلى الحياة)، حيث يقول: "إن قيمة التوحيد تعني مركزية مفهوم الله بالنسبة للمسلم، في كل مكان وفي كل فعل، وفي كل فكرة، وفي كل زمان، أي أن يكون وعي المسلم ممتلئاً بوجود الله تعالى على الدوام"^(٢)، وهذا يتطلب استحضاراً دائماً للنوايا وللمبادئ التي تنطلق من قيمة التوحيد، وتوجه الفعل الإنساني خلال المسيرة العمرانية.

(١) ينظر: العلواني، التوحيد والتزكية والعُمران - ملكاوي، التأصيل الإسلامي لمفهوم القيم، مراجع سابقة

(٢) الفاروقي، التوحيد، مرجع سابق، ص ٤١... بتصرف يسير

إن التوحيد يجعل الفعل الإنساني في إعمار الأرض ينطلق من رؤية العالم المرتكزة على شهادة (لا إله إلا الله)، وهذا الأمر تجليه منظومة قرآنية متكاملة تدور حول النقاط التالية:

١- التوحيد بين الاعتقاد والممارسة:

لقد ورد التكليف الإلهي المباشر بعمران الأرض مرتبطاً بقضية التوحيد عقيدة وممارسة في قوله تعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ [هود: ٦١]، بل جاء الأمر بالتوحيد سابقاً للأمر بعمران الأرض، حتى يكون موجهاً له عليه خلال مسيرة العمران.

إن كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) تبدأ بلا النافية، (لا) تنفي الشريك لله الواحد الأحد^(١)، حتى إذا ترسخ الاعتقاد، وتمكن التوحيد، واستعدت النفوس لتلقي التشريع وتطبيقه، جاءت (لا) الناهية تحملها الشريعة لتعمل على تلبية المجتمع من الممارسات الفاسدة، كما تم من قبل إخلاء النفوس من الاعتقادات الفاسدة، ومنظومة النهي تطول في كتاب الله، ويمكن اختيار أمثلة منها.

منها النهي عن القول الملتبس: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رِعْنَا وَقُولُوا نُنْظَرُ وَأَسْمَعُوا لِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٠٤]، والنهي عما يسيء لمشاعر الآخرين؛ مثل المن والأذى بعد الصدقة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى ...﴾ [البقرة: ٢٦٤]، ومثل النهي عن السخرية وعن اللمز والتنازع بالألقاب: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا

(١) العلاقة بين لا النافية في كلمة التوحيد ولا الناهية في الشريعة ذكرتها هبة رؤوف عزت في كتابها: في ظلال

رمضان، بيروت: جسر للترجمة والنشر، ٢٠١٥م، ص ٢٢

نِسَاءً مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّمَّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللَّأْلَفِ ... ﴿[الحجرات: ١١]﴾، والنهي عن الخيانة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧]، وعن كتمان الشهادة ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنَ مَقْبُوضَةً فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُوتِيَ مَنَّهُ وَلْيَقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ ءِثْمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٣]، وعن الربا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٠]، وعن أكل الأموال بالباطل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩]، وعن إيذاء النساء: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُم أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ ...﴾ [النساء: ١٩]، وعن تولى الكافرين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٤٤]، وغيره.

وإن المتأمل في مجموعة المنهيات يجد أنها تنضوي تحت مظلة الظلم بكل أشكاله، ولما كان الظلم هو أهم مكونات الفساد، كان النهي عنه من أهم الأمور لتحقيق الإصلاح، وإقامة مشروع العمران.

٢- التوحيد والفعل الجمعي: يظهر ارتباط التوحيد بالفعل الجمعي فيما يكرره الفرد المسلم يومياً في صلاته بقوله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، فالإقرار بالعبادة لله وحده تصدر بلسان الجماعة، والفعل الذي يعبر عنه بالاستعانة يصدر أيضاً بلسان الجماعة، مما يرشد إلى أن الإرادة الإلهية توجه الفعل الإنساني نحو الاجتماع البشري، الذي يدل عليه مفهوم (الأمة)، الأمر الذي

يظهر في قوله تعالى ﴿وَلَتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ﴿١٠٤-١٠٥﴾، حيث تبين الآيات أن الدعوة للخير والنهي عن المنكر ترتبط بفعل جمعي، ينأى عن التفرق والاختلاف، وإن خير ما يجسد ذلك الفعل الجمعي هو وجود يحتاج أنظمة شاملة مستمدة من المنهج الإلهي، وقد تناول الفاروقي ذلك الأمر، كما تناوله ماجد عرسان الكيلاني، وغيرهم^(١).

٣- التوحيد بين الضمير الفردي والجمعي: إن وجود أمة تحقق مقتضيات التوحيد يتحقق من وجود أفراد تعمق في ضميرها الغيب، وارتبطت أفعالها بالنوايا، فارتكز النظام الجمعي على أخلاق النية، التي تشكل دافعاً ذاتياً نحو إصلاح الفعل الإنساني في الأرض، وتظهر تلك العلاقة بين الضمير الفردي والجمعي في قوله تعالى: ﴿لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ سَوَاءُ عَنَّا وَاعْفُ رَحْمَتُهُ أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، حيث بدأت الآية بالحديث عن مستوى الفرد من حيث التكليف والكسب، ثم انتقلت إلى مستوى الاكتساب الفردي واثره على الفرد، ثم ارتفعت إلى مستوى أثر الاكتساب على المجتمع، وذكرت أخيراً مستوى العلاقة مع المجتمعات الأخرى.

(١) ينظر: الفاروقي، التوحيد- الكيلاني، الأمة المسلمة - مراجع سابقة.

ثانياً - قيمة التكريم:

يتبين للنّاظر المتأمل في موضوعات الاستخلاف والتمكين والتكليف، أن الإنسان هو محور تلك الموضوعات، فهو المقصود بتسخير الكون، وهو المؤهل للتفاعل معه، وهو المكلف بعمرانه، وهو المنتفع من إصلاحه، فإن خير ما تدور حوله تلك المعاني هو قضية تكريم بني آدم من قبل خالقه تبارك وتعالى، الأمر الذي يجعل التكريم هو ثاني قيمة ضمن القيم الموجّهة الضابطة للمشروع العمراني، الذي يدور حول الإصلاح الذي يصب في مصلحة الإنسان المكرّم ذاته، بتكليفه بالإصلاح، من جهة، ومن خلال دعوته لمراعاة تحقيق مصلحة أخيه الإنسان، من جهة ثانية، ومن خلال محافظته ودفاعه عن مشروع العُمران، من جهة ثالثة.

إنّ قيمة تكريم الإنسان قد ذكرت صراحة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠]، نلاحظ هنا ذكر بني آدم باعتباره اسم جنس، مما يدل أن التكريم لكل فرد، وباعتبار التكريم جمعياً، لكل جنس آدم، كما نلاحظ ارتباط ذكر ذلك التكريم بذكر العناصر المسخرة له، مما يدعو الإنسان إلى استحضار قيمة التكريم خلال تفاعله مع تلك العناصر، لذا فإن من أهم موجّهات عملية العُمران مراعاة تحقيق تكريم ذلك المخلوق، الذي جعله الله خليفة في أرضه، وأمر ملائكته بالسجود له، وسخر له ما في الأرض والسموات، وكلّفه باستعمارها، وأكرمه بمؤهلات ذاتية مادية ومعنوية تمكّنه من التفاعل مع تلك المسخّرات.

يقول الشعراوي مبيناً مظاهر تكريم بني آدم، في سياق تفسيره لآية التكريم، المذكورة: "وهل هناك تكريم لبني آدم أعظم من أن يعدّ لهم مقومات حياتهم قبل أن يخلقهم؟ لقد رتب لهم الكون وخلق من أجلهم الأشياء ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي

الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمُوٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿البقرة: ٢٩﴾، إذن: فكل ما في الوجود مسخر لكم من قبل أن توجدوا؛ لأن خلق الله تعالى إما خادم وإما مخدوم، وأنت أيها الإنسان مخدوم من كل أجناس الكون حتى من الملائكة، ألم يقل الحق سبحانه: ﴿لَهُ مُعَقِّبَتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ...﴾ [الرعد: ١١]، ... فالكون كله يدور من أجلك وفي خدمتك، يعطيك عطاء دائما لا ينقطع دون سعي منك" ^(١)، كذلك يظهر تكريم الإنسان في خلقه في أحسن تقويم، وفي الإرادة التي من الله بها على الإنسان، وفي ذلك قال سيد: "ومناط التكريم هو الإرادة: إنها الإرادة والإدراك والمحاولة وحمل التبعية .. هي ميزة هذا الإنسان على كثير من خلق الله، وهي مناط التكريم الذي أعلنه الله في الملائكة الأعلى" ^(٢)

وبما أن موضوع العمران هو الإصلاح، فإن ذلك يعني تحقيق مصلحة الإنسان، وهو عين تكريمه، الأمر الذي ظهر من خلال تكليفه بالإصلاح، من جهة - كما سبق ذكره ^(٣) - ومن خلال دعوته لمراعاة تحقيق مصلحة أخيه الإنسان خلال مسيرته العمرانية، من جهة ثانية، ومن خلال محافظته ودفاعه عن مشروع العمران، من جهة أخرى.

وقد قصّ علينا الخطاب القرآني قصص حضارات لم تراعِ تكريم الإنسان خلال مسيرتها الحضارية، بل مارست الاستبداد والظلم فاندثرت رغم بقاء آثار حضارتها المادية، مثل الحضارة الفرعونية التي مازالت آثار حضارتها المادية شاهدة حتى يومنا هذا: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ

(١) الشعراوي، تفسير الشعراوي، ١٥/١٦٤، ١٦٥.

(٢) سيد، في ظلال القرآن، ٥/٢٨٨٥.

(٣) تم ذكر التكليف ضمن مطلب المقومات ص ١٧١.

أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَجِـيْءُ نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ٤ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ٥ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ٦ [القصص: ٤-٦]، وقد بين الدقور ان مشروع فرعون الذي يقوم على الاستبداد والظلم والاستقواء والفساد وتحقيق مصلحة الفئة الخاصة على حساب المجتمع، لم يستطع الصمود تجاه من جاء بمشروع تحقيق الحرية للإنسان، وتحقيق عبوديته المطلقة^(١).

والواقع يشهد أن أي فعل ونشاط إنساني خلال المسيرة الحضارية يغفل عن هدف تكريم بني آدم يكون فعلاً قاصراً، ولا يصب في قضية العمران، مهما حقق من إنجازات مادية كبرى، وإن أية أمة لا تكون عزيزة إن لم تكن رسالتها تكريم الإنسان الذي ينتهي إليها.

ثالثاً - القيم المكملّة:

لقد حفل القرآن الكريم بمنظومة من القيم التي توجّه الفعل الإنساني في مسيرته الحضارية، والتي تنطلق من التوحيد، وتراعي التكريم، وقد رأت إحدى الدراسات في المركز المغربي للدراسات والأبحاث التربوية: أن القيم القرآنية تبلغ ما يقارب ثلاثاً وعشرين قيمة، وأن قيمة الرحمة هي الأولى بينها^(٢)، وتأمل آيات كتاب الله تبدو القيم القرآنية المؤثرة في الفعل البشري تتمثل في منظومة قيمية على رأسها: الرحمة، والحق، والعدل، والقوة، والحرية، والأمانة، والإحسان، والقسط، والميزان، والتعاون، وغيرها، وإن تلك القيم القرآنية تدور في دوائر ثلاث: الأولى دائرة الذات، والثانية دائرة المجتمع،

(١) ينظر: الدقور، سليمان، القصص القرآني، أهدافه وخصائصه ومنهج الكتابة فيه، عمان: دار النفائس،

٢٠١٨ م.

(٢) يتابع: الصمدي، خالد، منظومة القيم الكونية، مرجع سابق

والثالثة الكون بأسره، باعتبار أن القيم في الدائرة الفردية هي التي يتصف بها الفرد بشكل ذاتي، وهي التي تصنع إنسان العمران، أما القيم في الدائرة الجمعية فهي التي تنظم العلاقات بين مكونات المجتمع، وهي التي تصنع مجتمع العمران.

لقد تجلت قيمة الرحمة على المستوى الإنساني الواسع في قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وظهرت في مستوى الجماعة المقيّد، حين ضبّطت علاقة القائد مع أتباعه ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وحين كانت من تجليات هوى الأفئدة الذي يجمع بين الناس ويؤهلهم للعمران ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧]، كما بدت في البعد الذاتي لصيانة القلب، من خلال رجاء العبد لربه ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨]، فالرحمة إذن توجّه الفعل الإنساني خلال عملية الإصلاح، وترافق أصحاب منهج الإصلاح والتوبة ﴿... كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ...﴾ [الأنعام: ٥٤]، وبالرحمة يستخلف الله الأقوام ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾ [الأنعام: ١٣٣]، فبالرحمة يستقر الأفراد، في جميع مستويات العلاقات، وفي مختلف المجالات، وبها تدوم الحضارات، ويتحقق العمران.

وظهرت قيمة العدل كقيمة مطلقة، حيث وردت بموجب أمر إلهي مطلق ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ...﴾ [النحل: ٩٠]، وجاءت تنظم العلاقة بين الناس في

كافة مستويات العلاقات ﴿... وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ...﴾ [النساء: ٥٨]، كما وردت قيمتان تدعمان قيمة العدل، هما قيمتا القسط والميزان، كما في قوله تعالى ﴿وَيَقُومُوا أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [هود: ٨٥]، فبينت أن تحقيق قيم القسط والميزان كالسيف القاطع للفساد، والسبيل الأمثل لتحقيق الإصلاح والعمران.

ومن القيم الرئيسة في أداء المشروع العمراني قيمة الأمانة، فقد كانت القيمة المبدئية في حمل مهمة عمارة الأرض: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢]، بعد ذلك حفل الخطاب القرآني بالتأكيد على أدائها: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ...﴾ [النساء: ٥٨]، فهي أمانات وليست أمانة واحدة، تسير عبر حلقات دائرية تبدأ بدائرة الذات، ثم تتسع للمجتمع المحيط الأقرب فالأبعد، حتى دائرة الحكام، وتتجاوزها لتصل إلى العلاقات مع الدول، لتحقيق الإصلاح لكل ما يقع تحت مسؤوليته، وكل ذلك يحتاج إلى صبر حتى يتحقق العمل الصالح، حيث قال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [هود: ١١]، وبذلك تتحقق أهم الثمرات، ألا وهي وراثة الأرض: ﴿... وَالْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨].

ويجدر ذكر قيمة القوة لأنها المعينة على تحقيق بقية القيم، واللازمة للإنجاز والتحدي في المشروع الحضاري، وللقوة منحيان؛ معنوي، ومادي، يتجلى المنحى المعنوي في التمسك بالمنهج في قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَاءَ آتَيْنَكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٦٣]، وقوله: ﴿... خُذُوا مَاءَ آتَيْنَكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا ...﴾ [البقرة: ٩٣]، وقوله: ﴿يُحْيِي خُذِ الْكِتَابَ

بِقُوَّةٍ ... ﴿ [مريم: ١٢]، وقوله: ﴿وَكُنْتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنُهَا ...﴾ [الأعراف: ١٤٥]، وكذلك في الثبات على المنهج: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكُثًا ...﴾ [النحل: ٩٢]، وأما المنحى المادي فيتمثل في الإعداد المناسب للحذر من العداوة ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ...﴾ [الأنفال: ٦٠]، وتتمثل كذلك في حسن استخدام موارد الأرض ﴿قَالَ مَا مَكْنِيَ فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ [الكهف: ٩٥]، وغير ذلك من المجالات التي يضيق المقام عن ذكرها.

ولا يتسع المجال للاستفاضة بموضوع القيم وتأثيرها على المشروع العمراني، ولكن يجدر البيان أنه حتى تحقق القيم دورها في التوجيه العمراني لا بد لها أن تنتقل من المفهوم الذهني في النصوص إلى التطبيق، وذلك بعدة خطوات: التحليل المعرفي، والتحرير العملي، ترسيخ القيمة كمبدأ اجتماعي، والتفعيل العملي للقيمة، وأخيراً اتخاذ إجراءات حماية لضمان دوام القيمة^(١).

(١) يتابع: سلطان، جاسم، إشكالية منظومة القيم في الإسلام، مادة مرثية على الیوتیوب، ١١/١٢/٢٠١٧م-

خلاصة مبحث موجّهات العمران في الرؤية القرآنية

موجّهات العمران

تعريفها - مكوّناتها

العوامل المؤثرة في ضبط اتجاه بناء المشروع العمراني، وفق المنظور القرآني

مراعاة القيم الإيمانية

القيم الإيمانية: المفاهيم والمعايير التي تستهدف ضبط السلوك البشري وتوجيهه للاستخلاف في الأرض.

- قيمة التوحيد
- قيمة التكريم
- القيم المكملّة

الرحمة، والحق، والعدل، والقوة، والحرية، والأمانة، والإحسان، والقسط، والميزان، والتعاون، وغيرها

إدراك ومراعاة السنن الإلهية

السنن الإلهية: قوانين عامّة حاکمة لكل شيء في الكون (مادية " كونية"، ومعنوية " إنسانية ")

- السنن الكونية :

تضبط العلاقة بين الإنسان وبين عناصر الكون المسخرة

- السنن الإنسانية :

تضبط العلاقة بين الناس أفراداً وجماعات.

فهم ماهية الخطاب الإلهي ومستوياته

فهم المستويات للتمييز بين مجالات التكليف لكل مستوى

- مستوى الخطاب الإنساني العام

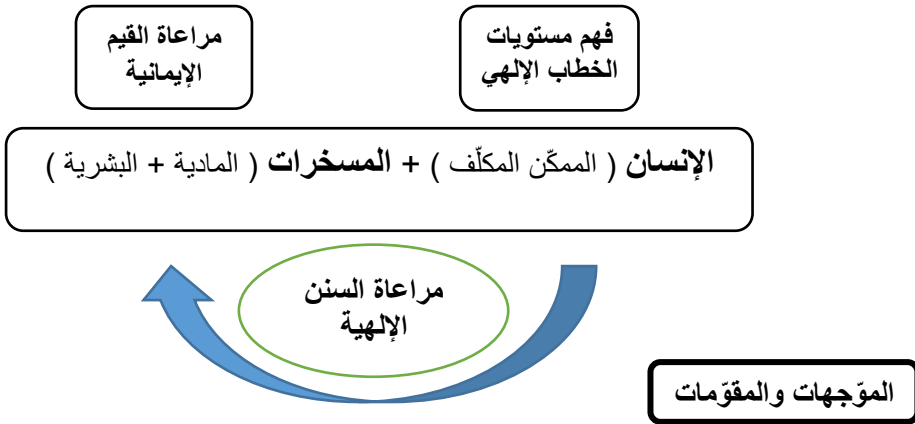
- مستوى خطاب الأقوام
- مستوى خطاب الأمة المسلمة
- مستوى خطاب جمع المؤمنين

- مستوى خطاب المؤسسات
- مستوى خطاب الفرد المؤمن

الموجّهات

فهم مستويات الخطاب الرباني + إدراك ومراعاة السنن الإلهية + مراعاة القيم الإيمانية

لقد تبين أن الموجّهات تضبط المقوّمات، وتضبط التفاعل فيما بينها، فإن موجّه (فهم مستويات الخطاب الإلهي) يضبط فهم الإنسان للتكليف، موجّها (السنن، والقيم) يضبطان تفاعل الإنسان مع البيئة المسخرة)، ويمكن تمثيل تلك العلاقة بالشكل التالي:



المبحث الثالث: مجالات البناء العمراني في الرؤية القرآنية

يهتم هذا المبحث ببيان مجالات البناء العمراني، بمعنى بيان ميدان تطبيق المشروع العمراني، وذلك بعد أن تم بيان مقومات العمران وموجّهاته.

لقد تبين في المبحثين السابقين أن العملية العمرانية هي ناتج تفاعل الإنسان الممكن والمكلف، مع المسخّرات المادية والبشرية، وفق منهج الإيمان، لذلك فإن مجالات العمران تشمل صناعة كل من عناصر المعادلة، أي صناعة الإنسان الذي سيقوم بالمشروع العمراني، وذلك باعتباره فرداً ومجتمعاً، كما تشمل محل الإنتاج والإنجاز؛ ألا وهو المسخّرات المادية والبشرية، وتشمل طريقة التفاعل بينها، وبناء عليه تكون المجالات مفصلة بما يلي:

- صناعة الفرد: من خلال تزكيته في جوانب شخصيته
- صناعة المجتمع: من خلال تحديد المعايير القرآنية الضابطة له.
- مسيرة الإنتاج والإنجاز: وتكون باتجاهين (مادي ومعنوي)
 - أما المادي فيشمل التفاعل مع المسخّرات المادية التي ذكرت في كتاب الخالق وهي: (السماء بما فيها، والأرض بما فيها)، الأمر الذي يظهر في: الزراعة، والصناعة، والتكنولوجيا، والبناء، والفلك، والمناخ، والاتصالات، والبحار، والأحياء، وغيرها.
 - أما المعنوي فيكون بحسن بناء شبكة المسخّرات البشرية وإدارتها وقيادتها، مما ينتج عنه: الإصلاح التربوي، والاقتصادي، والسياسي، والإعلامي، والعسكري.

المطلب الأول: صناعة الفرد (إنسان العمران)

إنَّ صناعة الفرد المؤمن تبدو محل تطبيق مقاصد القرآن العليا، فهو الذي يُطلب منه التوحيد، وهو المقصود بالتزكية، والدليل على ذلك قوله تعالى ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]، لذلك أولى الخطاب القرآني اهتماماً كبيراً بقضية صناعة الفرد^(١)؛ فهو الكائن المكرم، المخاطب في القرآن، والمستخلف في الأرض، والمكلف بعمارتها، والمحاسب على فعله فيها، ولن يتم العمران إلا بوجود الشخصيات والكيانات المؤهلة لذلك.

وقد ورد موضوع صناعة الفرد القادر على العمران عند عبد المجيد النجار بمسمى (خلافة الترقى الفردي)، بمعنى تنمية الفرد لقدراته الذاتية تنمية مستمرة كل قدرة حسب طبيعتها، وقد عدَّ المجالات الذاتية ثلاث: الروح، العقل، الحواس، وبين أن ترقية هذه القدرات إنما تكون خلافة حينما تكون موجهة في وجهة العبودية لله، وضرب على ذلك مثلاً: تسخير القوانين التي يكتشفها الإنسان تكون خلافة إن كانت لتعمير الأرض وتحقيق الخير للإنسان، وتكون غير ذلك إن كانت في سياق صنع قنبلة تدمر الإنسان.^(٢)

تعتمد هذه الدراسة خمسة مجالات ذاتية عند الفرد، هي: الفكر، الوجدان، الجسم، المهارات، العلاقات، وترى أن تنمية هذه الجوانب الخمس وفق المنهج الفرآني جديرة بصناعة إنسان العمران الفرد، وتؤكد أن القرآن اهتم بتنمية تلك

(١) تم استخدام مفهوم صناعة الإنسان لأنه يتقارب مع المفهوم القرآني (واصطنعتك لنفسك)

(٢) ينظر: النجار، عبد المجيد، فقه الحضرة الإسلامي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط ١، ١٩٩٩ م، ج ١، ص

الجوانب لإخراج المؤمن المتوازن، ضمن مواضيعه المتنوعة، وستحاول هذه الدراسة استجلاء بعضها.

أولاً - البناء الفكري:

ظهر اهتمام الخطاب القرآني ببناء فكر الإنسان جلياً عندما كان العلم أول مؤهل من الله به على آدم ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ...﴾ [البقرة: ٣١]، وكان مفتاح ذلك العلم هو القراءة التي أمر الله تعالى بها مع بدء التنزيل ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١]، إنها القراءة ذات المنهج الرباني ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾، التي تشمل التفكير بمخلوقات الله كافة ﴿الَّذِي خَلَقَ﴾؛ أي التي توجه النظر نحو الآيات القرآنية، والآيات الكونية، والآيات التكوينية^(١)، وقد كان القلم وسيلة لذلك العلم ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ [العلق: ٤]، القلم الذي أقسم الله تعالى به في قوله ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: ١].

أما الآيات الكونية فتظهر في الآيات القرآنية التي تدعو لتأمل خلق الله، وسننه فيها، ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١]، حيث ختمت الآية الأولى بعبارة ﴿لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾، وفي ذلك قال سيد: "أولو الألباب» من الناس، الذين لا يمرون بهذا الكتاب المفتوح، وبهذه

(١) ينظر: النابلسي، محمد راتب، التفكير في آيات الله الكونية والتكوينية والقرآنية، موسوعة النابلسي الالكترونية، ٢٠١٤/١١/١٦ - وقد تناول ذات الأمر طه جابر العلواني، في كتابه: التوحيد والتزكية والعمران، تحت مسمى (الجمع بين القراءتين، والمنهج التوحيدي للمعرفة)، مرجع سابق - كما تناولها سليمان الدقور في كتابه: القرآن ومعادلات صناعة الإنسان، مرجع سابق.

الآيات الباهرة مغمضي الأعين غير واعين" ^(١)، إذن هم الناس الذين يتفكرون في الآيات الكونية، فيصلون بها للخالق، من جهة، ويتفهمون سننها وقوانينها، من جهة أخرى، فيقومون بمهمتهم في عمارة الأرض.

وأما آيات الله التكوينية فتظهر في الآيات القرآنية التي تدعو لتأمل أفعال الله، ومنها قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا...﴾ [النمل: ٦٩]، والنظر هنا هو التأمل العقلي في التاريخ، وفي السنن الاجتماعية.

وقد نبّه القرآن إلى مداخل تحصيل المعلومات، وإلى مسؤولية الإنسان تجاه تفسيره للمعلومات ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]، وحفّز على البناء الفكري من خلال مفردات ترتبط به مثل: يتفكرون، يعقلون، يتذكرون، يتدبرون، وحول هذا قال الشعراوي: "قوله تعالى: ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ أي أنها عجائب لقوم يعقلون، وحين يقول الحق: ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ فكأنه ينبه الملكة المفكرة العاقلة في الإنسان." ^(٢)، وهذا يحتاج إلى منهجية علمية في تعقل تلك الآيات، والوصول بها إلى الحق، وإن التأمل الموضوعي الشامل في كتاب الله يجد أن تلك المنهجية تتميز بعدة خصائص: تحرير العقول، الانطلاق من المحسوس إلى المعقول، الواقعية، التبيين، الشمولية، الحركية، وإن التفصيل في هذه الخصائص تناوله عبد المجيد النجار في بحثه حول مقاصد القرآن في بناء الفكر العمراني ^(٣).

(١) سيد، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ٥٤٣/١

(٢) الشعراوي، تفسير الشعراوي، مرجع سابق، ٦٩٢/٢

(٣) النجار، عبد المجيد، مقاصد القرآن في بناء الفكر العمراني، مجلة الفكر الإسلامي المعاصر، العدد ٨٩،

٢٠١٧، ص ٩٨-٨٠

ثانياً - البناء الوجداني:

لقد احتلت قضية البناء الوجداني للإنسان حيزاً واسعاً في الخطاب القرآني، ذلك الوجدان الذي يقصد به العالم الداخلي في النفس الإنسانية؛ محل الإيمان، والعقائد، والقيم، والأخلاق، والمشاعر، والانفعالات، حيث وردت الآيات تعمّق الإيمان وتزيده، وتوثق العقيدة، وتصنع الأخلاق، وتوجّه مشاعر الفرد، وتضبط انفعالاته، وتبث فيه السلام الداخلي، وتهبه القوة، وتمده بالثبات الذاتي، وتحقق له التوازن الشخصي في مسيرة البناء العمراني.

وإن أعلى القيم التي حرص الخطاب القرآني على زرعها في وجدان الإنسان هي قيمة الإيمان بالله الواحد، فهي التي تبني وشائج الصلة مع الله عز وجل، وتمنح الإنسان قوة ذاتية، وثباتاً واطمئناناً، وتمدّه بالبصيرة والفاعلية خلال المسيرة العمرانية، لذا كثرت عبارة ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ وذلك في سياق الدعوة للإيمان، وبيان سبيله، وبيان أجره وجزائه، من ذلك قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٧]، وقد جاء تعزيز ذلك الإيمان بالتنبيه لقرب الله من ذات الإنسان ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسَّوَسُ بِهِ ۚ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]، وآيات تبين علم الله بما في ذات الإنسان، وعلمه بسلوكه وكسبه ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمُوتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ٣]، وآيات تبين استجابته تعالى للدعاء ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]، كذلك بيّنت الآيات السبيل الحركي

للوصول إلى مرتبة الإيمان الحق ﴿فَمَ الْآيِلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿نَصَفَهُ أَوْ أَنْقَضَ مِنْهُ قَلِيلًا﴾ ﴿أَوْزِدَ عَلَيْهِ وَرَبَّلِ الْفُرَّاءَ أَنْ تَرْتِيلاً﴾ [المزمل: ٢-٤]، إنها العبادة الواعية، في أفضل الأوقات، حتى تنشأ النفس السوية، صاحبة إنسان العمران ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ الْآيِلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾ [المزمل: ٦].

ومن الأمور التي تغذي الوجدان بيان مواطن المحبة الإلهية للعبد، كجزاء مقابل الإحسان والتوبة والتطهر والتقوى والصبر والتوكل والقسط: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤]، ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة: ٤٢].

وحرص الخطاب القرآني على تعزيز قيمة الجمال الحسي في وجدان المؤمن، فشد انتباهه لجمال الأنعام التي تقدم له المنافع ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ [النحل: ٦]، كما لفت نظره لجمال الطبيعة الخلابة من نبات وجبال ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٍ﴾ [فاطر: ٢٧]، هذا ولم يغفل الجمال المعنوي المتمثل في جمال الأخلاق، حيث ورد على لسان لقمان لابنه: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْظُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٨-١٩]، فرسم بذلك صورة إنسان جميل الخلق والسلوك، يفيض وجدانه باللطف والجمال.

ومن القيم القرآنية التي تغذي وجدان الإنسان قيمة "التسامح"، التي وردت في سياق بيان صفات المتقين ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، إضافة إلى قيمتي الصبر والتقوى، والطريق لهما عبر التسبيح اليومي ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ [طه: ١٣٠].

إن بناء الوجدان في ذات المؤمن يجعل عنده مؤشراً ذا حساسية عالية تكشف الأعداء، وإن ظهوراً بصورة بهية، وفي ذلك قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَاحِبَةٍ عَلَيْهِمْ هُمْ الْأَعْدُو فَاَحْذَرُهم فِتْنَتُهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤَفَّكَونَ﴾ [المنافقون: ٤]، مما يوقظ قيمة الحذر من العداوة في نفس الإنسان المؤمن، ويحفظه ويحفظ جهوده في العمران.

ثالثاً – البناء الصحي:

لأن الجسم وعاء الفكر والوجدان، ولأنه مناط القوة، فقد أولاه الخطاب القرآني رعاية خاصة، فاهتم ببنائه من الداخل بالصحة السليمة، وأرشده لطريقة الغذاء السليم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢]، ﴿... وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١]، واهتم بنظافته وطهارته ﴿وَتِيَابَكَ فَطَيَّرَ﴾ [المدثر: ٤]، كما اهتم بجماله الخارجي ﴿بَنِي ءَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ...﴾ [الأعراف: ٣١]، وأشار إلى قوته ﴿... وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ...﴾ [هود: ٥٢]، وهكذا يكون الاهتمام بجسم الإنسان وفق منظومة متكاملة هي منظومة الصحة، والنظافة، والقوة، والجمال.

رابعاً - بناء العلاقات:

لقد اعتنى الخطاب القرآني بتنظيم العلاقات بين الناس، في دوائرها المختلفة، فرسم خريطة متكاملة لمجمل علاقاته، حيث بدأ بالدائرة اللصيقة وهي دائرة الأسرة، ثم الدائرة الأوسع مع الأقارب، فالأوسع مع الأصحاب والمعارف، لتتسع أكثر مع المؤسسات المختلفة، وصولاً إلى العلاقة مع الوطن، ثم العالم بأسره، ولم يغفل القرآن العلاقة مع البيئة المحيطة بما فيها من كائنات متنوعة، الأمر الذي يساعد الفرد على القيام بدوره العمراني، من خلال علاقات تدعمه وتدفعه.

في دائرة الأسرة تحدث القرآن عن العلاقة الزوجية، وعن آثارها المرجوة في شخصية الفرد، فذكر مقصد المودة والسكينة والرحمة منها، مما يجعلها وسيلة تنموية لذات كل من الزوجين ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٢١]، وتحدث عن قيمة المسؤولية التي تحققها القوامه ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ...﴾ [النساء: ٣٤]، كما أحاط تلك العلاقة بما يحفظها فأشار لقضية الصلح ﴿... فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: ١٢٨]، مما يرجي منه أن تكون الأسرة نواة لراحة الفرد ونجاحه في مسيرة العمران.

وتحدث عن العلاقة مع الأبناء في مجالات متعددة، مثل حفظ حقهم في الحياة ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ ...﴾ [الإسراء: ٣١]، وحقهم في التربية

الإيمانية ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ [طه: ١٣٢]، وحقهم في التربية السلوكية ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْظُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٩]، وحقهم في الدعاء ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤]، فمهد لإنشاء أجيال مؤهلة لتحمل مسؤولية العمران.

أما العلاقة تجاه الوالدين فقد وردت آيات كثيرة تضبطها، منها آية جامعة لكثير من العلاقات معها ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦]، مما يمهّد لإنشاء مجتمع مترابط، ومؤثر في الآخر، يساعد في إرساء القواعد المعنوية للعمران.

في دائرة الأصحاب تم توجيه الفرد للصحبة التي ترتفع بالذات ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهًا وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

كذلك أرسى الخطاب القرآني أسساً لصناعة علاقات متينة مع الآخرين؛ فدعا لأحسن القول ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ [الإسراء: ٥٣]، ونهى عن سلوكات تؤذي العلاقات وتفككها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا ...﴾ [الحجرات: ١٢]، كما نظم العلاقات المالية بين الناس؛ في الدين، وفي التجارة، وفي البيوع، وغيرها...، ففي

مجال الدين وجه لحسن حفظ الحقوق، وفي مجال التجارة وجه للشهادة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ... إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ ...﴾ [البقرة: ٢٨٢]، وفرق بين البيع وبين الرِّبَا ﴿... وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا...﴾ [البقرة: ٢٧٥]، بل ونظم علاقاته مع الأعداء ﴿... وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ءَاعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ...﴾ [المائدة: ٨].

واعتنى الخطاب القرآني ببناء علاقة حسنة بين الإنسان وبين المخلوقات المتنوعة، فوجه نظر الإنسان لها، وأعلى من شأنها ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ ...﴾ [الأنعام: ٣٨]، وبين حالتها المسبحة لله ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ...﴾ [الإسراء: ٤٤]، مما يخلق تناغماً بين الإنسان وبين عناصر الطبيعة، ويمهد للتفاعل الحسن مع المسخّرات، وتحقيق عمران الأرض.

خامساً – بناء المهارات والقدرات:

إن بناء المهارات لدى الإنسان يركز على معرفة مواهبه وتنميتها واستثمارها، وإن قضية المهارات في الخطاب القرآني انضوت تحت قاعدتين رئيسيتين: (الوسع والإيتاء): ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ...﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ﴿... لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً أَتَمًّا ...﴾ [الطلاق: ٧]، وبين هاتين الآيتين تأتي قاعدة ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ...﴾ [التغابن: ١٦].

وإن اكتشاف الوسع والإيتاء قد ترك للجهد البشري المستنير بالسيرة النبوية وبعلم النفس والشخصية، وإن السيرة النبوية الشريفة حافلة بما يوضح هذا الموضوع، ويظهر الأمر جلياً في الوصف النبوي لسمات الصحابة: "أَرْحَمُ أُمَّتِي

بأمتي أبو بكرٍ، وأشدُّهم في دين الله عُمرُ وأصدقُهم حياءً عثمانُ، وأقضاهم عليُّ بنُ أبي طالبٍ، وأقرأهم لِكتابِ الله أبيُّ بنُ كعبٍ، وأعلمُهم بالحلالِ والحرامِ مُعَاذُ بنُ جبلٍ، وأفرضُهم زيدُ بنُ ثابتٍ، ألا وإنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا، وأمين هذه الأُمَّةِ أبو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاحِ" ^(١)، مما انعكس في طريقة التوزيع النبوي للمهام على الصحابة، الأمر الذي نجده موضَّحاً في دراسات مفصلة حيال الأمر ^(٢).

إن بناء المهارات والقدرات يساعد على ترشيد الحركة والسعي المطلوب من الفرد ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ وَأَنْ سَعْيُهُ سَوْفَ يَرَى﴾ [النجم: ٣٩-٤٠]، وفيه انتقاء لنوع السعي الذي يحقق التيسير ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ [الليل: ٤-٧]، فكلما كانت القدرات الشخصية واضحة جليلة فاعلة كان العطاء أفضل، كذلك فإن موضوع بناء القدرات يحقق جودة القيام، فالقيام لا يتم بوجهه الأمثل إلا بتوفر القدرة عليه، فعندما قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يُصَدَّعُونَ﴾ [الروم: ٤٣]، كان السياق ذم ظهور الفساد في البحر، والدعوة للإصلاح ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ ...﴾ ... فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ ...﴾ [الروم: ٤١-٤٣]، فإن القدرة على الإصلاح في الأرض ترتبط ارتباطاً وثيقاً بإقامة الدين القيم.

المطلب الثاني: صناعة المجتمع (مجتمع العمران)

(١) ابن ماجه، ت ٢٧٣ هـ، سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، بدون تاريخ، حديث رقم ١٥٤، ٥٥/١، الحديث صحيح على شرط الشيخين.

(٢) ينظر: الحديثي، رضا، مدرسة الصحابة، الجزء الأول (التاصيل)، اسطنبول: نشر talents، ٤٠٢٠ م.

إن في قوله تعالى: ﴿وَلَتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ...﴾ [آل عمران: ١٠٤]، وقوله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ...﴾ [آل عمران: ١١٠]، ما يشير إلى دور الجماعة في البناء الحضاري، بمعنى أن مهمة العمران لا يمكن أن ينهض بها الأفراد منفصلين، لذا كان لا بدّ من الاجتماع البشري بهدف العمران، وهي التي سمّاها النجار (خلافة الترقى الجمعي)، حيث بيّن أن الترقى الفردي لا يفضي بالضرورة إلى الترقى الجمعي وإن كان شرطاً من شروطه، إذ لا بدّ من اعتبارات مشتقة من خصوصيات الحياة الجماعية، تراعي الشراكة، وتحقيق المصالح والأهداف.^(١)

ولمّا كان المجتمع يبني من مجموع أفرادهِ، ويؤثر في صناعة أفرادهِ، فالعلاقة إذن علاقة متداخلة، أي كلما صلح المكون الداخلي للإنسان صلحت حركته، وكلما زادت نسبة الأفراد الصالحين صلح الكيان الجمعي، وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿... إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ...﴾ [الرعد: ١١]، وكلما صلح النظام العام للمجتمع ساعد في تغيير ما بالأنفس، لأن تغيير المحتوى الداخلي للنفس بشكل جمعي يحتاج جهوداً تربوية جمعية واعية، تتبع منهجية ربانية، وعلمية، تجمع بين المعرفة والعلم والتدريب والمتابعة، وتنضوي تحت مظلة القوانين والأنظمة، وتشرف عليها مؤسسات شتى، بدءاً بمؤسسة الأسرة، مروراً بالمؤسسات التعليمية والتربوية، انتهاءً بالمؤسسات صاحبة القرار في المجتمع.

لم يرد مفهوم المجتمع في القرآن الكريم تحت هذا المسمى، وإنما ورد ذكر لوازم المعنى، مثل ذكر التجمع البشري الدالّ عليه تحت مسمى (القوم)، أو (الأمة)، لذا فإن هذه الدراسة تعتمد مصطلح الأمة في تتبع صناعة مجتمع العمران

(١) النجار، فقه الحضرة الإسلامي، مرجع سابق، ص ٥٨

في القرآن الكريم، وإن خير من تناول دراسة الأمة المسلمة - في محيط الاطلاع - هو ماجد عرسان الكيلاني في دراسة مختصة حول الأمة المسلمة^(١)، حيث بنى دراسته على مفاهيم قرآنية مستنبطة من دلالات قرآنية، من سورتي آل عمران، والأنفال، وقد اعتمدت هذه الدراسة على ما توصل له الكيلاني، وقامت بتلخيصه وإعادة عرضه بما يتناسب مع أهدافها وسياقاتها.

أولاً - مفهوم الأمة

بين الكيلاني ان مفهوم الأمة يتمثل في النقاط التالية^(٢):

- المعنى الاصطلاحي المتكامل للأمة يتضمن عناصر أربعة: "العنصر البشري، والعنصر الفكري، والعنصر الاجتماعي، والعنصر الزمني"، فالأمة مجموعة من الناس تحمل رسالة حضارية نافعة للإنسانية، وتعيش طبقاً لمبادئ هذه الرسالة.
- العنصر الرئيسي في مفهوم الأمة هو عنصر الرسالة.
- لا يشترط في العنصر البشري الروابط الدموية، أو الجغرافية، أو الكم العددي.
- الأمة الراشدة لا ينال منها تنوع الشعوب والقبائل والأماكن، ما دامت ولاءاتها تدور في فلك الرسالة وحدها، وما دام التنوع يعمل كما يعمل التنظيم الإداري القائم على الوحدة في الغاية، والتنوع، والاختصاص، والوسائل.
- للأمة مراحل في الولادة، والنمو، والنضج، والرشد.
- الأمة كيان صناعي يمكن بناؤه وهدمه.

(١) ينظر: الكيلاني، ماجد، الأمة المسلمة، مرجع سابق

(٢) ينظر: الكيلاني، ماجد، الأمة المسلمة، المرجع السابق، ص ١٤-١٦

- استمرار حياة الأمة مرهون باستمرار حملها للرسالة، وما يتفرع عنها من تطبيقات في الواقع.
- سعة دائرة الأمة يحددها مدى التواصل والاتصال الذي تحدده تكنولوجيا العصر.

ثانياً - مهمة الأمة المسلمة

لقد بيّن التوجيه الرباني مهمة الأمة المسلمة بأنه الدعوة للخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، ورأى الكيلاني معنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأنه: "بذل الجهد والمقدرات لتطوير المؤسسات التربوية والإدارية للقيام بالدراسة والتخطيط المستمرين، لإحكام تطوير الأمة، وإخراجها بما تتطلبه وظيفتها حسب حاجات الزمان والمكان"^(١)، وبيّن أن استمرار وجود الأمة مرهون بمدى قيامها بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو ما تبينه الآية الكريمة ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ...﴾ [آل عمران: ١١٠]^(٢)، وبناءً عليه فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يتوسع ليشمل مجالات الإصلاح في الأرض كافة، بما تحتويه من مجالات مادية ومعنوية، ويشكل أحد أهم مجالات العمران.

ثالثاً - سبيل إخراج الأمة المسلمة

(١) الكيلاني، الأمة المسلمة، مرجع سابق، ص ١٥

(٢) الكيلاني، الأمة المسلمة، المرجع السابق، نفس الصفحة

لقد توصل الكيلاني إلى سبيل إخراج الأمة المسلمة من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِّنْ وَلِيَّتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَقٌ مِّنَ اللَّهِ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الأنفال: ٧٢]، فبين أن تلاحم شبكة الأفراد عبر شبكة من الروابط الاجتماعية التي تندرج تحت قيم (الهجرة، الجهاد، الإيواء، النصرة) هو السبيل لإخراج تلك الأمة ^(١)، (وهنا نلاحظ أهمية المكان في تحقيق فعالية الأمة، بدلالة الهجرة إليه لتشكيل كيان الأمة).

رابعاً - أهمية إخراج الأمة المسلمة

تظهر أهمية إخراج الأمة المسلمة في بيان أمرين: (الأضرار التي تنشأ عن عدم إخراجها، والفوائد التي تتحقق بإخراجها)، والأمران يرتبطان بشدة بالعمران نفيّاً أو تحقيقاً، أما الأضرار فقد ظهرت في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٣]، وتتمثل في أمرين: ^(٢)

١- هيمنة قيم الكفر في الأرض، وظهور "أمة الكفر" من خلال تجمع الكافرين وموالاتهم لبعض، واستلام زمام التخطيط والتنفيذ لكل ما يتعلق بشؤون المسلمين، وبالتالي ظلم المسلمين، وتعرثر العمران في الأرض، وهذا ما أثبتته الواقع.

(١) الكيلاني، الأمة المسلمة، المرجع السابق، ص ٢٩، ٣٠

(٢) ينظر: الكيلاني، ماجد، الأمة المسلمة، المرجع السابق، ص ٣٠

٢- انتقال القيادة العالمية إلى " أمة الكافرين "، مما يؤدي إلى سوء استغلال المقدرات البشرية والمادية في الأرض، وانتشار الفساد الكبير فيها، في الميادين المادية والمعنوية، من حروب وصراعات، وفواحش، وانهيار قيمي وخلق، واستغلال التقدم التكنولوجي في منافع وفي مفاسد تفوق المنافع، إضافة لتلوث يملأ الأرض في كافة الميادين المادية.

وأما الفوائد فقد ظهرت في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجْهَهُدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجْهَهُدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٤-٧٥]، وبناء عليه تتمثل الفوائد في أمور أربعة: (١)

١- تجسيد الإيمان في " هوية " مميزة، وفي حضارة إسلامية تتمكن من تحقيق العمران، الأمر الذي لا تتمكن الأقليات المسلمة المنصهرة في المجتمعات غير المسلمة من تحقيقه، وهذه المعاني مستنبطة من قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا ... أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ...﴾ [الأنفال: ٧٤].

٢- الاستقرار الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، بدليل: ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٤]

٣- عزة الأمة المسلمة واستعدادها لاستقطاب المسلمين من كافة أنحاء العالم، وهذا يظهر في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجْهَهُدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ ...﴾ [الأنفال: ٧٥]

(١) ينظر: الكيلاني، ماجد، الأمة المسلمة، المرجع السابق، ص ٣١-٣٣

٤- إيجاد رابط الأمة الذي يغطي الكرة الأرضية بمحتوياته الفكرية والنفسية وتطبيقاته الاجتماعية التي تتجاوز روابط الدم والأرض والمصالح المادية، وترتقي إلى روابط العالمية.

خامساً - مكونات الأمة

لقد أظهرت الآيات المذكورة من سورتي آل عمران والأنفال مكونات الأمة المسلمة على النحو التالي: الأفراد المؤمنون، والهجرة، والمهجر، والجهاد، والرسالة، والإيواء، والنصرة، والولاية^(١)

١- الأفراد المؤمنون: هم الأفراد الذين تعرضوا للتربية الإيمانية، وتمت صناعة شخصياتهم بمنهج الله، فسمت أفكارهم بالعلم والمعرفة، وزكت نفوسهم وارتقت بالإيمان والطهارة والجمال، وتميّزوا بمحاسن الأخلاق، وتهذب سلوكهم بالقيم، وقويت أجسادهم في عبادة الله وطاعته، واستعدوا للعمل والعمران وفق منهج الله، وفي سبيله^(٢).

٢- الهجرة والمهجر: وهي الانتقال الحسي من مجتمعات الكفر إلى مجتمعات الإيمان، من مكان تحكمه كيانات غير مؤمنة إلى مكان تحت سلطان الإيمان ومنهج الله، والانتقال النفسي من ثقافة المجتمعات غير المؤمنة إلى ثقافة الإيمان بمضمونه، ومظاهره، وتطبيقاته، ومؤسساته.

(١) ينظر: الكيلاني، الأمة المسلمة، المرجع السابق، ص ٣٧- ١٣٣

(٢) صناعة الأفراد المؤمنين تم ذكر تفاصيلها في مطلب (صناعة الفرد) من المبحث الحالي، ص ٢١٩- ٢٢٨

٣- الجهاد والرسالة: إن الجهاد هو " استفراغ الطاقة لتحقيق الأهداف

التي توجه إليها الرسالة الإسلامية في ميادين الحياة الفكرية والعلمية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعسكرية وغيرها، في أوقات السلم والحرب"، أما الرسالة فهي الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والإيمان بالله، انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ...﴾ [آل عمران: ١١٠].

يظهر الجهاد في مجالات رئيسة ثلاثة: الجهاد التربوي الذي يسعى لصناعة إنسان العمران، والجهاد التنظيمي الذي يهتم ببناء مؤسسات الأمة، والجهاد العسكري الذي يهدف لإزالة العوائق التي تحول دون تحقيق المجالات السابقة، والذي يسعى لحماية المكتسبات المذكورة.

أما المعروف الوارد في الآية فيحسن لتحديد المقصود منه الرجوع للسنة الشريفة، فحينما سئل الرسول صلى الله عليه وسلم عن معناه قال: "لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تعطى صلة الجبل، ولو أن تعطى شسع النعل، ولو أن تنزع من دلوك في إناء المستسقي، ولو أن تنحي الشيء من طريق الناس يؤذيهم، ولو أن تلقى أخاك ووجهك إليه منطلق، ولو أن تلقى أخاك فتسلم عليه، ولو أن تؤنس الوحشان في الأرض"^(١)، حيث يتضح من الحديث الشريف أن المعروف يدلّ على ما ينفع الجنس البشري، ويرتقي بسلوكهم والعلاقات المتبادلة بينهم، ويكون المنكر هو المعنى المخالف، وقد أجمل الكيلاني الأمر بقوله: "إن كل ما ينفع الإنسان ويورث الانسجام

(١) أحمد، ت ٢٤١ هـ، مسند الإمام أحمد، تحقيق شعيب الأرنؤوط، عمّان: مؤسسة الرسالة، ط ١، ٢٠٠١ م، ٣١٠ / ٢٥، رقم ١٥٩٥٥، إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح/ حسب السلسلة الصحيحة للألباني.

مع سنن الله وقوانينه في الخلق يندرج في قائمة (المعروف)، وما يضر البشر ويتصادم مع هذه السنن والقوانين يندرج في قائمة (المنكر) ^(١).

وبناء على ما سبق يمكن التوصل لبيان الهدف من الرسالة، ألا وهو إيصال الخير إلى الناس، كل الناس، والتمكن من تحقيق ذلك الهدف لا يتم إلا إذا كانت أمة الإسلام قوية عزيزة بين الأمم، وإذا كان الإيمان هورأس الأمر الذي يحرر الإنسان من طغيان الآلهة المدعاة، وهو الذي يطلق قدراته العقلية والنفسية والجسدية لاستعمالها في مجالات الكون المسخّر، وتحقيق العمران.

٤- الإيواء: إن مكّون (الإيواء) في بناء الأمة المسلمة مستنبط من قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَاوُوا﴾ [الأنفال: ٧٤]، وإن النظر في دلالات الإيواء في اللغة وفي الاستعمال القرآني وفي الحديث الشريف والسيرة يبين أن الإيواء يحقق المعاني التالية: حسن الاستقبال والتكريم، الرعاية والعناية، الاستقرار النفسي والاجتماعي، طلب الأمن والنجاة، السند والدعم والحماية، الراحة والاسترخاء، مكان الإقامة الدائمة، وإن المظاهر التي تحققها تلك المعاني تتجلى في الأمور التالية:

● ألفة تجمع بين القلوب، كالتي طلبها إبراهيم عليه السلام ﴿... فَأَجْعَلْ أَفْدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ...﴾ [إبراهيم: ٣٧]، وكالتي أنعم الله بها على المؤمنين ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ...﴾ [الأنفال: ٦٣].

● إتاحة المجال لحسن الانتفاع بالأرض مكاناً للاستقرار.

● حسن الانتفاع بالأرض مصدراً للعيش والغذاء.

● اشتراك الأمة كلها بالانتفاع بمصادر الثروات العامة.

(١) الكيلاني، الأمة المسلمة، المرجع السابق، ص ٧١

- حسن التفاعل مع العناصر المسخرة في الأرض لتحقيق الإنتاج والإبداع والابتكار.
 - حسن الانتفاع بالأرض مصدراً للمعرفة الموصلة لله.
 - ٥- النصر: إن عنصر (النصر) الذي ورد في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا﴾ [الأنفال: ٧٤]، يعد العنصر الخامس في إخراج الأمة المسلمة، وإن النظر في دلالات النصر في اللغة وفي الاستعمال القرآني وفي الحديث الشريف والسيرة وفي المناسبات التي اقترنت بالتوجيهات التي عالجت هذا العنصر يوصل للمعاني التالية: اتباع دين الله وطاعة أوامره واجتناب معاصيه، التأييد والمساعدة، والمؤازرة، والحماية، ومساندة الحق وإشاعة العدل، والثأر ودفع العدوان، ومنع الظلم، والالتزام العملي والتضحية، وإقامة معاني الإسلام في الحياة، وتتجلى مظاهر النصر بالأمور الآتية:
 - نصر أفكار الرسالة في مواجهة طغيان الأشخاص وزخرف الأشياء.
 - نصر العدل في مجابهة الطغيان والتسلط.
 - نصر الحرية في مجابهة الاستعباد.
 - نصر المؤسسات للإنسان في مواجهة أشخاص الحاكمين المتسلطين وأشياء المترفين.
 - نصر المجموع في مواجهة طغيان الفردية.
 - نصر أهل الفكر في مواجهة أصحاب القوة والسلطان.
 - نصر الأمة في مواجهة العدوان الخارجي.
- وللتفصيل في عناصر مظاهر النصر يرجع إلى دراسة الكيلاني التي سبقت الإشارة إليها.

٦- **الولاية والولاء:** ورد عنصر الولاية في آيات الأنفال السابقة ﴿أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٢]، ومنها أولي الأمر، والولاء، وهو مفهوم قرآني يدل على القيام بأمور الآخرين كافة، ومنه المصطلح الاجتماعي الولاء الذي يعني ولاء المسلم للأفكار التي جاءت بها الرسالة الإسلامية أكثر من ولائه لنفسه، من خلال تطبيقات عملية.

وتحقق الولاية بالمفهوم الإسلامي حكمة بالغة، إذ توسع نطاق الفاعلية ليضم الإنسانية المشتركة برابط الإيمان، وبذلك تتسامى عن العصبية والقبلية والقومية، فتحفز مفهوم العمران في كل أنحاء الأرض التي تحوي إخوة مؤمنين.

المطلب الثالث: مسيرة الإنتاج العمراني

تظهر ضرورة مسيرة الإنتاج لإتمام العمران، في آيات عدّة، تمثل كل منها جوانب من الإنتاج، مثل الزراعة والصناعة والبناء والمواصلات وغيرها، كما تظهر في مجالات التعليم، والإعلام، والاقتصاد، والسياسة.. الخ، وغيرها مما سيتبين لاحقاً، مثالها في مجال الصناعة قوله تعالى: ﴿... وَجَعَلْ لَكُمْ سَرِيلَ تَقِيكُمْ أَلْحَرَ وَسَرِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ...﴾ [النحل: ٨١]، وقوله: ﴿... وَاللَّاهُ أَلْحَدِيدَ﴾ أن أَعْمَلَ سَبَغَتْ ...﴾ [سبأ: ١٠-١١]، وترتبط مسيرة الإنتاج بصناعة الفرد والمجتمع، فكلما ارتفعت نسبة الصلاح الفردي والجمعي في الأمة كان مجال الإنتاج أكثر جودة، وأقرب إلى الترقى العمراني الاستخلافي.

وإن التأمل في الآيات التي تحتوي مسيرة الإنتاج يبين أنها تنتظم في مسارين رئيسيين؛ مسار مادي حركي يتعلق بالتفاعل مع المسخّرات، ومسار معنوي تنظيمي يتعلق بالأنظمة والقوانين الاجتماعية، التي تنظم حركة الناس، وتنظم علاقاتهم

خلال مسيرة الإنتاج، وكلا المسارين يندرج تحت مسمى العمل الصالح الذي كلف الله الإنسان به.

أولاً - مسار الحركة والتفاعل مع المسخرات:

لقد سبق ذكر العناصر المسخرة في مبحث مقومات العمران، وتم البيان أن الورد كان في آيات صريحة أحياناً، أو من خلال المفهوم أحياناً أخرى، فكانت تلك العناصر هي: (الأرض، والسماء، والليل، والنهار، والنجوم، والشمس، والقمر، والبحار، والأنهار، والفلك، والأنعام)، كما سبق الذكر أنه من مقاصد ورود تلك العناصر العمل على الانتفاع منها، ونفع العالم بها، وإقامة العمران، بعد فهم الإشارات العلمية الواردة فيها، وإدراك خصائص كل منها، وإن فهم الإشارات العلمية كان يتوقع أن ينشط به المسلمون قدر استطاعتهم عبر العصور المختلفة، وقد فعلوا ذلك في العصور المبكرة، ثم تركوا الأمر، وفي أحسن الأحوال - بعد ذلك - اجتهدوا في الربط بين الاكتشافات الغربية وبين الإشارات الواردة في القرآن، من باب إثبات سبق القرآن تحت مقصد الاحتجاج والدعوة، تحت مظلة الإعجاز العلمي، وتركوا أمر التفاعل الأمثل مع المسخرات للغرب، كما تركوا لهم مجال نفع العالم بالمجالات التطبيقية الواقعية.

١- التفاعل مع الأرض: وردت مفردة الأرض أربعمئة وواحد وستين مرة وفق دلالات ثلاث؛ الأولى تشير إلى الكوكب كله في مقابل السماء، والثانية تشير إلى اليابسة التي نحيا عليها أو على جزء منها، والثالثة تشير إلى التربة التي تغطي صخور الغلاف الصخري للأرض^(١)، وقد اهتم الخطاب القرآني بالجوانب الثلاثة، ووجه للنظر إليها، ودعا للعمل على عمرانها.

(١) ينظر: النجار، زغلول، الأرض في القرآن الكريم، بيروت: دار المعرفة، ط ١، ٢٠٠٥ م، ص ٨٣

عندما وردت الأرض بمعنى الكوكب تمت الإشارة إلى قيمة الاستخلاف فيها ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً...﴾ [البقرة: ٣٠]، وإلى الأمر بإصلاحها ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا...﴾ [الأعراف: ٥٦]، كما تم التنبيه إلى احترام جميع أشكال الحياة فيها ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ...﴾ [الأنعام: ٣٨]، كما كلف الناس باستعمار الأرض ﴿... هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا...﴾ [هود: ٦١]، وأمر بالنظر فيها ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١]، وإن هذه الايات وغيرها تدلّ على كامل كوكب الكرة الأرضية، بما يحيط بها من غلاف جوي، وبما تحتويه من طبقات داخلية، وبما تكتنزه من ثروات وكنوز، وعندما وردت الأرض بمعنى اليابسة وردت الإشارة إلى تنوع قطعها ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَوِّرَةٌ وَجَنَّتْ مِنْ أَعْنَبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ...﴾ [الرعد: ٤]، وإن ذلك يحمل توجيهات حول ترشيد التفاعل مع اليابسة، ويوجّه لحسن استعمال الأراضي حسب طبيعتها وخصائصها^(١)، كما وردت الإشارة إلى حسن استخدام ثروات الأرض من حديد ونحاس وغيرها، وكيفية تطويعها لإنتاج بنيان مادي ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرٌ﴾ [الكهف: ٩٦]، ولما وردت الأرض بمعنى تربة جاءت التوجيهات بحسن استثمارها وحسن الإنفاق من مخرجاتها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ...﴾ [البقرة: ٢٦٧]، ومنها التنبيه لمخرجات الأرض المتنوعة، والتحفيز لإنتاجها ﴿فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوْكُهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٩].

(١) ينظر: العظم، عليا، العمارة والبيئة في القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة، فكر وتطبيق، كتاب المؤتمر المعماري الأردني الثاني، عمان: نقابة المهندسين الأردنيين، ٢٠٠٠م، ص ١٦

وإن مجمل آيات الأرض تحمل إشارات حول ضرورة تفاعل المؤمنين معها، بالنظر والتأمل والتدبر، ليس فقط للاستدلال على الخالق وتعميق الإيمان به، وإنما أيضاً بالتفكير والدراسة والعمل لتحقيق مراده تعالى في إعمارها بأحسن صورة ممكنة، وإن ذلك متاح إذا تم إدراجها ضمن المجالات العلمية التطبيقية، كعلوم الأرض (الجيولوجيا)، والهندسة الزراعية، علوم التربة، وهندسة البناء، وتخطيط المدن، وعلوم البيئة، وغيرها.

ومما يجدر ذكره أن الذين تعمّقوا بدراسة طبيعة كوكب الأرض من غير المؤمنين حققوا عدة منافع للإنسانية، منها إطلاق الأقمار الاصطناعية، التي تشكل تحكمهم في العالم، وسيطرتهم عليه، وما ترتب على ذلك من أمور قلبت وجه العالم، وساعدت في دعم وسائل العولمة، أثرت على العالم عموماً، وعلى المسلمين خصوصاً، لاسيما عندما أتقنوا التفاعل المادي مع سمات السماء وخصائصها، في حين كان المؤمنون أجدر بتحقيق ذلك النفع، واكتساب تلك السيادة^(١).

ويلحق بدراسة الأرض من المسخرات: (البحار، والأنهار، والفلك، والأنعام، والدواب) ولا يتسع للتفصيل في ورود كل منها، ولمجالات الانتفاع بها خلال مسيرة العمران، ولكن يكتفى في هذا المقام بالإشارة لها، والتنبيه إلى أن دراسة (البحار،

(١) من العلوم التي بيّنت على علوم الأرض، والتي برع فيها غير المسلمين، معرفة طريقة دوران كوكب الأرض وما يحيط به من مدارات، ومعرفة سنن الدوران، مما ساعدهم في إطلاق الأقمار الاصطناعية وجعلها تثبت في مدارها، ينظر: اتصالات الأقمار الصناعية، موقع موسوعات بالعربي، ١٠/١١/٢٠٢٠، تاريخ الزيارة، ٢٠٢١/٥/٢٢ م.

والأنهار، والفُلك) تتبع العلوم التي تنبثق من علوم الأرض^(١)، وأن دراسة (الأنعام والدواب) تتبع لعلم الأحياء^(٢).

٢- التفاعل مع السماء: ورد ذكر السماء في القرآن الكريم ثلاثمئة وعشر مرات، بين الجمع والإفراد، وبين التعريف والتنكير، وقد تنوعت سياقات ورود، منها ما احتوى الأمر بالنظر لها ﴿قُلْ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾ [يونس: ١٠١]، ذلك النظر الذي يعني البحث عن حكمها وتصاريدها - كما قال القزويني^(٣)، والبحث عن سماتها وخصائصها، مثل التفكير بمعنى الرجوع في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ [الطارق: ١١]، حيث تبين أنه بسبب سمة الرجوع استطاع الإنسان أن يحقق التطور التكنولوجي الكبير في الاتصالات الفضائية، حيث إن الأمواج الكهرومغناطيسية التي تبث إلى الفضاء الخارجي نحو الأعلى ترجع إلى الأرض^(٤).

(١) هناك عدة علوم تنبثق من علوم الأرض هي: الغلاف الجوي، والغلاف الحيوي، والغلاف المائي، والغلاف الصخري، ينظر: مقال علوم الأرض، موقع معرفة: www.marefa.org، تاريخ الزيارة: ٢٠١٦/٥/٢١ م.

(٢) علم الأحياء يشمل: علم الحيوان، وعلم النبات، وعلم البيئة، وعلم الكائنات المجهرية، وعلم الكيمياء الحيوية، ينظر: مقال علوم الأرض، موقع معرفة: www.marefa.org، تاريخ الزيارة: ٢٠١٦/٥/٢١ م.

(٣) القزويني، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، المرجع السابق، ص ٢٧- سبق ذكره في مطلب المسخرات، في مبحث المقومات

(٤) يقول النابلسي: " الأمواج الكهرومغناطيسية تبث نحو الفضاء وترجع إلى الأرض، بسبب طبقة في الجو اسمها الأثير ولولا هذه الطبقة لما كان اتصال على وجه الأرض، هي تبث إلى الفضاء ويستقبلها أصحاب الأجهزة في الأرض"، النابلسي، محمد راتب، والسماء ذات الرجوع، الروائع العلمية، موسوعة النابلسي الالكترونية، ٢٠١٩/٣/٢٨، تاريخ الزيارة ٢٠٢٢/٥/٢١

وقد ورد في دراسة مختصة: "تي تنتشر فيها الموجة الكهرومغناطيسية بسبب آلية الانعكاس لطبقة الغلاف الأيوني في الغلاف الجوي، وبسبب الانتشار عبر الأيونوسفير يُعرف أيضاً باسم انتشار الموجات الأيونوسفيرية" ما هو انتشار موجة السماء في الاتصالات Sky Wave Propagation؟ موقع موسوعتك بالعربي، ٢٠٢١/٤/٢٢، تاريخ الزيارة: ٢٠٢١/٥/٢٢

وبالتأمل في آيات السماء؛ يبدو أن موضوع "بناء السماء" من أهم المواضيع التي ظهر أنها ترتبط بموضوع العُمران، وقد ورد الموضوع سبع مرات^(١):

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرْشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً...﴾ [البقرة: ٢٢]، ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً...﴾ [غافر: ٦٤]، ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا...﴾ [ق: ٦]، ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧]، ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ [النبا: ١٢]، ﴿أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾ [النازعات: ٢٧]، ﴿وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَاهَا﴾ [الشمس: ٥].

وإن توارد ذكر بناء السماء سبع مرات في الخطاب القرآني أمر يدعو إلى التساؤل حول النظر في حقيقة ذلك البناء، وحول الحكمة منه، وحول كيفية الانتفاع من تسخير ذلك البناء، فإذا علمنا أن العلم البشري - المنقطع عن الوحي - قد اكتشف بعد الوحي بزمان طويل^(٢) أن السماء بناء محكم التشييد، دقيق التماسك والترابط، مليئ بمركبات كيميائية وغازات ومجالات مغناطيسية^(٣)، وأن ذلك العلم توصل باكتشاف بناء السماء - الذي يسميه الفضاء - إلى التفاعل معه في أمور عدة؛ بعضها يتعلق بالصحة، وبعضها يتعلق بالمناخ، وبعضها يتعلق بشبكات الاتصال التي تطورت حتى غدت محور حياة الناس، والوسيلة الأهم في

(١) سبق ذكر موضوع بناء السماء في الدراسة السياقية للمقاربات؛ ص ٦٣، ٦٤، وتم البيان أن هذه الدراسة اعتمدت من أقوال المفسرين ما شابه رأي صاحب المنار الذي قال: "والبناء: وضع شيء على شيء بحيث يتكون من ذلك شيء بصورة مخصوصة، وقد كون الله السماء بنظام كنظام البناء، وسوى أجزائها على هذه الصفة المشاهدة وأمسكها بسنة الجاذبية فلا تقع على الأرض"، تفسير المنار، ١٥٧/١

(٢) ما يقارب ١٤٠٠ عام

(٣) المساحات بين أجرام السماء مليئة بغلالة رقيقة جداً من الغازات ومن المواد الصلبة المتناهية في الصغر، ومن جزيئات من بخار الماء والأمونيا وغيرها من المركبات الكيميائية، إضافة إلى وجود مجالات مغناطيسية تنتشر بين كل أجرام السماء لتربط بينها، ينظر: النجار، زغلول، السماء في القرآن الكريم، بيروت: دار المعرفة، ط ١، ٢٠٠٧م، ص ٨٦

اتصالهم^(١)، فإذا علمنا كل ذلك ألا نوقن أن الله الذي أخبر عباده في كتابه المحكم عن بناء السماء، كان يريد منهم اكتشاف ذلك البناء واستثماره في عمران الأرض، ونفع البشرية، ورفع الضر عنها.

ومن المسخرات في السماء (الشمس، والقمر، والنجوم) كذلك حدوث (الليل والنهار)، ويكتفى في هذا المقام بالتنبيه والإشارة إليها، كما يجدر البيان أن دراسة السماء وما يتبع لها تدرج ضمن علم الفلك، وعلم الفضاء، إضافة لعلوم المناخ وهندسة الاتصالات، وغيرها.

ثانياً – مجالات تنظيم الحركة الفاعلة:

يشمل هذا المجال كافة الأنظمة اللازمة لإدارة حركة الأمة، بدءاً من الفرد، ومروراً بالمجتمع ومؤسساته، وانتهاءً بالدولة والأمة، وتتمثل تلك الأنظمة في الجوانب التربوية^(٢)، والتعليمية والتنموية والإعلامية والاقتصادية، والسياسية، والقانونية، والعسكرية.

وقد يستغرق الخوض في أنظمة كل جانب دراسة متكاملة، يضيق عنها المقام، ولكن يصلح هنا إيراد منطلقات تنظيمية عامة في كل مجال، مستقاة من المنهج القرآني وهداياته، توجه بوصلة المسيرة العمرانية نحو الاستخلاف، وتُضبط

(١) لقد تبين للعلماء أن الغلاف الجوي يتكون من خمس طبقات مختلفة صُنفت من حيث سمكها ونوعية جزيئاتها وكثافتها والأدوار التي سخرت لها بتقدير مضبوط من رب العالمين لضمان الحياة والنمو لكل المخلوقات، منها طبقة (إكسوسفير: Exosphere) أعلى طبقة في الأجواء الأرضية. تدور فيها كل الأقمار الاصطناعية، وتلك المكونات الفضائية حول الأرض، ينظر: الأشقر، إدريس، السماء بناء وزينة، رابطة العالم الإسلامي، تاريخ الزيارة: ٢٢/٥/٢٠٢١ م.

(٢) سبق بيان المجالات التربوية عند ذكر البناء الفردي والجمعي؛ ص ٢١٩

بها الحركة الفاعلة للفرد وللمجتمع في كل عصر، وتنسق بها الجهود الفردية في نطاق المؤسسات، وتنظم بها الجهود المؤسسية في نطاق الدولة، وترتقي بها إلى مرتبة الأمة.

١- مجال التعليم الشامل:

يرتكز هذا المنطلق على دلالة ﴿كُلِّهَا﴾ في قوله تعالى قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ...﴾ [البقرة: ٣١]، وقد احتوى الخطاب القرآني عدة إشارات تدل على محتويات ذلك العلم، من ذلك الإشارات التي تدفع الإنسان للتعمق في استخدام الأرقام، والتوسع في دراسة المقادير في معرفة الكون والحياة والإنسان ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٥]^(١)، لذا فإن ضمان دوام المسيرة العمرانية يلزمه العلم بالمقادير والحساب، وأولئك الذين وصفوا بالعلم في قوله تعالى: ﴿يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾، مما يدل على أن غيرهم ممن لا يتقنون العلوم المرتكزة على الحساب هم قوم لا يعلمون، لذا فإن الإحاطة بكل المستجدات العلمية ضرورة لوجود الأمة ودوام تفوقها، وإن الواقع والتاريخ يثبت ذلك، فما ارتفعت أمة، وما دام ارتفاعها وهي تحتاج في أمورها إلى غيرها، لذا عدّ العلماء التمكن في العلوم من فروض الكفاية^(٢)، وذهب بعضهم

(١) ينظر: الصالح، صبحي، ت ١٤٠٧ هـ، الإسلام ومستقبل الحضارة، دمشق: دار قتيبة، ط ٣، ١٩٩٠ م، ص ٥٨

(٢) يقول الإمام الغزالي: "فلا يتعجب من قولنا: إن الطب والحساب من فروض الكفايات؛ فإن أصول الصناعات أيضاً من فروض الكفايات"، الغزالي، أبو حامد، (ت ٥٠٥ هـ) إحياء علوم الدين، بيروت: دار ابن حزم، ط ١،

إلى أن فروض الكفاية أولى من فروض العين^(١)، مما يدلّ على أن تحقيق العمران يحتاج إلى الإحاطة الجمعية بأنواع العلوم كافة، وإتقانها والارتقاء بها.

٢- مجال التعليم المنهجي:

ينطلق التعليم المنهجي من القراءة المنهجية التي يشير لها مدلول الآية: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١]، إنه المنهج الذي يرشد باسم الله ﴿بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾، إنه المنهج الذي يوجّه لمجالات القراءة؛ ألا وهي قراءة الكتابين: المسطور والمنظور ﴿الَّذِي خَلَقَ﴾، ويوجه للاهتمام بتفاصيل الخلق مهما صغرت ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [العلق: ٢]، وهذا كله يعني أن ما يبينه العلم من فكر هو الأساس في أي نشاط عمراني، لذلك كثرت الآيات التي تذكر مقام التفكير، مثالها قوله تعالى ﴿... وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١]، حيث يتم للانتقال من المحسوس إلى المعقول، الأمر الذي يرشد المؤسسات التعليمية الشرعية إلى الاهتمام بالواقع، ومحاولة استيعابه بكل تفاصيله، وعدم تجاهله خلال العملية التعليمية، كما يوجّه التخصصات الأخرى للاندماج مع إشارات الوحي، لتبني عليها منطلقات فاعلة، وقد أشار إلى هذا طه العلواني حينما عدّ اعتبار الجمع بين القراءتين محدداً منهجياً لا يتعطل عن العمل ولا يتوقف، ولا يقصر عن الإحاطة بجوانب الواقع مهما بلغت تعقيداته^(٢).

(١) عدّ بعض العلماء أن القيام بفرض الكفاية أولى من القيام بفرض العين، وممن ذهب إلى هذا القول أبو إسحاق الإسفراييني وأبو محمد الجويني، وغيرهم، وبينوا لنا العلة من ذلك القول، وهي أن الذي يقوم بفرض العين إنما يسقطه عن نفسه، أما من يقوم بفرض الكفاية فإنه يسقطه عن نفسه وعن الأمة جميعاً؛ فالنفع في فرض الكفاية متعلّق، وأما نفع فرض العين فمقصود على الشخص، ينظر: سلامة، مراد، مقال: فروض الكفايات ودورها في نهضة المجتمعات، موقع الألوكة، ٢٠١٧/٢/٧، تاريخ الزيارة: ٢٤/٥/٢٠٢١ م.

(٢) ينظر: العلواني، التوحيد والتزكية والعمران، مرجع سابق، ص ١١

٣- مجال التعليم التطبيقي:

إن خير ما يوضح مفهوم التعليم التطبيقي ما ورد من خلال القصص القرآني، ومن ذلك موقف ذي القرنين في إنشائه للسد الحامي من يأجوج ومأجوج، حيث طبق علمه في الواقع، ونقل خبرته إلى القوم، وجعلهم يمارسون الأمر ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ [الكهف: ٩٥]، وذلك وفق علمه الذي مكّنه الله به ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ [الكهف: ٩٥]، كما أنه استخدم ثروات الأرض المسخرة من حديد ونحاس مذاب ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ أَنفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ [الكهف: ٩٦]، حتى أقام بنياناً متيناً يصمد في وجه العدوان ﴿فَمَا آسَاطَعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا آسَاطَعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ [الكهف: ٩٧]، وهذا المنهج يُعدّ نموذجاً في التعليم وقيادة الجماهير، وصدّ العدوان، وإقامة البنيان في الأرض.

٤- منطلق الإعلام المؤثر:

لقد احتوى الخطاب القرآني عدة آيات مفتاحية تدل على أهمية دور الإعلام في التأثير، من أهمها قوله تعالى: ﴿... وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ [النساء: ٦٣]، ذلك القول الذي يحاكي النفس البشرية، ويبلغ آفاقها فيؤثر فيها ويصنعها، بل يصنع الرأي العام، ويؤثر في صناعة العُمران، القول الذي ينبني على مؤهل البيان، الذي أودعه الله في الإنسان ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿لَمَّهُ أَلْبَيَانَ﴾﴾ [الرحمن: ٣-٤]، ويرتكز على حسن التواصل بالكلمة والدعوة ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]، ويتميز بالحكمة

والجدال بالتي هي أحسن ﴿... وَجَدِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾ [النحل: ١٢٥]، ويعمل على جمع شمل الأمة وحمايتها من الخسر ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ٢-٣]، ويواجه الإعلام المعادي بالإعلام المضاد ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَاتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [هود: ١٣]، إنه الإعلام الحذر الذي يتحقق من الأخبار، كما ورد في قصة الهدهد مع سليمان عليه السلام^(١)، فعندما جاء الهدهد بخبر سبأ وقال: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ﴾ [النمل: ٢٢]، اتخذ سليمان عليه السلام موقف الحيطة والحذر، فقال: ﴿قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [النمل: ٢٧]، إذن الإسلام يبني أسساً يركز عليها الإعلام الفاعل والمؤثر في المسيرة العمرانية.

٥- مجال اقتصاد الماعون :

إن ((اقتصاد الماعون)) هو الاقتصاد المنطلق من مقصود قوله تعالى ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ [الماعون: ٧]، حيث ورد السياق يذم من يمنعون الماعون وكأنه يدعوا لاقتصاد الماعون، فهو الاقتصاد الذي يعين الناس على إقامة دينهم ودنياهم، ويساعدهم في إصلاح حياتهم وحياة الآخرين، وقد اشار لهذا المعنى الكيلاني، إذ بين أن الله رفع ذلك الاقتصاد، حيث وضع المشتغلين فيه الذين يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله، في منزلة المجاهدين والشهداء، لأنهم يوفرون للناس مقومات حياتهم، كما يوفّر المجاهدون سلامة نفوسهم وحرمتهم،

(١) وردت هذه الفكرة في قول أحمد الريسوني ضمن مقال الكتروني عن الإعلام بعنوان: الإعلام المعاصرين الترشيد والتضليل، مرصد ومدونات عُمران، ٢٠٢٠/٥/٥ م، تاريخ الزيارة: ٢٧/٥/٢٠٢١ م

بدليل قوله تعالى: ﴿... عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَىٰ وَأَآخِرُونَ يَضُرُّونَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَآخِرُونَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ...﴾ [المزمل: ٢٠].^(١)

وقد تتبع الصدر الفكر الذي يدير ذلك الاقتصاد، فبين أن الاقتصاد يأخذ دوره الفاعل والمحرك في مسيرة العمران حينما يتم استثمار الموارد الطبيعية المسخرة على النحو الأمثل، وحينما ينتفي الظلم في التوزيع، فقال: "ويتجسد ظلم الإنسان على الصعيد الاقتصادي: في سوء التوزيع، ويتجسد كفرانه للنعمة: في إهماله لاستثمار الطبيعة، وموقفه السلبي منها"^(٢)، وقد انطلق في ذلك من قوله تعالى: ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ﴾ ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمُوتَ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِّنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَمْثَرَ﴾ ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ ﴿وَأَتْلُوكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣١-٣٤]

إن اقتصاد الماعون المحرك - وفق المنظور القرآني - يخضع لعدة سنن وقوانين إلهية، منها قانون الوفرة، وقانون الميزان، وقانون الاستقامة، وقانون التقوى، وقانون الاستغفار، وغيرها.

قانون الوفرة يعني أن الكون زاخر بالنعمة والرزق والفرص التي تكفي الناس جميعاً في مختلف الأزمان، ويبدو في قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمُوتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ١٣]، وقانون الميزان يعني أن كل شيء خلق بقدر ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، ويعني

(١) الكيلاني، مقدمة كتاب: هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس، مرجع سابق، ص ١٧

(٢) الصدر، محمد باقر، ت ١٤٠٠ هـ، اقتصادنا، بيروت: دار التعارف للمطبوعات، ط ٢٠، ١٩٨٧ م، ص: ٣٣٠

أن ما يتاح من المياه والثروات الطبيعية بقدر ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا...﴾ [الزخرف: ١١]، ﴿وَأِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١]، وقانون الاستقامة يظهر في قوله تعالى: ﴿وَالْوِاسْطِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾ [الجن: ١٦]، فالاستقامة سبيل لتوفر الرزق، باعتبار أن الماء رمز للرزق، أما قانون التقوى الذي يجلب الرزق فدليله قوله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦]، قانون الاستغفار يبدو في قوله تعالى ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح: ١٠-١٢]، وقد سبق الذكر أن الاستغفار أكثر من ذكر باللسان، بل إنه منطلق في التوبة والتغيير لتحقيق الإصلاح.

٦- مجال السياسة الرشيدة:

لقد ذم الخطاب القرآني السلطة غير الرشيدة، التي تدمر العباد، حيث ورد عن فرعون ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ۖ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ [هود: ٩٧-٩٨]، في حين مدح صاحب السياسة الرشيدة، ممثلة في ذي القرنين، حيث قال عنه: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبِيلًا﴾ [الكهف: ٨٤]، حيث تجلت سياسته الرشيدة في خمس نقاط رئيسة، حين ساس قومين في مغرب الأرض وفي مشرقها؛ النقطة الأولى: محاربة الفساد والظلم بقوة وحزم، النقطة الثانية: مكافأة أصحاب الأعمال الصالحة بالحسنى والتيسير، وذلك في قوله تعالى ﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ ۖ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكَرًا ۙ ٨٧ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ [الكهف: ٨٧-٨٨]، النقطة الثالثة: حسن استثمار الموارد الطبيعية والبشرية في تحقيق التنمية

المطلوبة، وذلك في قوله تعالى: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرَ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ٩٥ ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ أَنفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ [الكهف: ٩٥-٩٦]، وأما ما ورد في قوله تعالى ﴿فَمَا آسَاطَعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا آسَاطَعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ [الكهف: ٩٧]، فقد تجلت فيه النقطة الرابعة، وهي الحذر من الأعداء والتصدي لهم، والتفوق عليهم، أما النقطة الخامسة فهي إرجاع كل نجاح للمنهج الرباني، وقد ظهر ذلك في قوله تعالى ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ...﴾ [الكهف: ٩٨]، والنقطة الأخيرة هي استشراق المستقبل، وفق وعد الله ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ...﴾ [الكهف: ٩٨]، وبناء عليه يبدو أن مفهوم السياسة الرشيدة في المنظور القرآني يعني إصلاح ما أفسده الناس، وضمان استمرار ذلك الإصلاح^(١).

٧- مجال الإدارة الحكيمة:

لقد احتوى الخطاب القرآني منطلقات إدارية حكيمة، جديرة بتنظيم المجتمع، وقيادته نحو العمران، مثالها ما ورد في سورة الأحزاب، التي قال عنها النصيرات أنها جمعت الوظائف الإدارية الخمسة: التخطيط والتوظيف والتنظيم والتوجيه والرقابة، حيث بين أن التخطيط ظهر في التشريعات الإلهية التي تحفظ كيان الأسرة على مر الزمان، مثل قوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢]، وأن التوظيف ظهر في حث كل فرد على القيام بالمهام الموكولة إليه، ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: ١٨]، بينما قام عنصر التنظيم على

(١) ياسين، يونس محمود، الإصلاح السياسي من منظور قرآني، عمان: جمعية المحافظة على القرآن الكريم،

المفاصلة في الولاء والبراء، ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ...﴾ [الأحزاب: ٤]، في حين ظهر التوجيه في التوجيهات الأخلاقية، مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا ...﴾ [الأحزاب: ٥٣]، وظهرت الرقابة من خلال النداءات المتكررة للنبي - صلى الله عليه وسلم - أن يتابع ما يؤمر به، وأن يبدأه بنفسه وبأهل بيته ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٥٣] ^(١).

٨- مجال القوانين المهيمنة:

لقد أسس الخطاب القرآني لقاعدة تلزم المؤمنين بالخضوع للقوانين المنظمة لحركة العمران في المجتمع، حيث قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ...﴾ [المائدة: ١]، ثم أورد كليات تنظم المجتمع، يسترشد بها المعنيون في تقرير الأمور الجزئية وفق مقتضيات الزمان والمكان، من أهمها حماية الهوية، وحفظ سيادة المؤمنين، حيث وضع قانوناً عاماً يصلح لصيانة الهوية في مجال التعليم والإعلام والاقتصاد والسياسة وغيرها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ ...﴾ [آل عمران: ١١٨]، وأرشد لتحقيق العدالة الاجتماعية كما في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ...﴾

(١) ينظر: النصيرات، جهاد، شخصية القائد في ضوء سورة الأحزاب، مكتبة عين الجامعة، مكتبة الكترونية،

٢٠١٥ م، ص ١٥، ١٦ بتصرف

[الحديد: ٢٥]، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوْمِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ ...﴾ [النساء: ١٣٥]، وعلى صعيد ضبط الأمور الاقتصادية وضع قانوناً عاماً يبين مصادر الرزق ﴿... وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ...﴾ [البقرة: ٢٧٥]، وفي مجال ضبط العقود والاتفاقيات ورد قوله: ﴿... وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٤]، وهكذا يبدو أن القوانين حين تهيمن على المجتمع تدفع كلاً من الفرد والمجتمع للانضواء في ظلها، وتساعد المجتمع في الحفاظ على كينونته، وعلى سلامة سيرورته نحو تحقيق العمران، كما أن قوة القوانين وهيمنتها تحمي وجود المنطلقات الجمعية من محاولة انتهاكها أو تجاوزها.

٩- مجال التنمية المستدامة:

يُعدّ مصطلح التنمية المستدامة مصطلحاً معاصراً، رغم كون المفهوم أصيلاً في المنظور القرآني، فإذا كان مفهوم التنمية المستدامة هو: "تلبية احتياجات الحاضر دون التأثير على الأجيال المقبلة في تلبية احتياجاتها" ^(١)، تكون الآيات المؤسسة له هي التي تدعو للاستهلاك دون إسراف، بمعنى حفظ حاجات الأجيال القادمة، مثل قوله تعالى: ﴿... وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١]، ﴿... كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: ١٤١]، وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧]

ويرتبط هذا المفهوم مع المنظور القرآني في نقاط أربع ^(٢):

(١) كلاوي، رامي، حوار حول هدي الإسلام في التنمية المستدامة، دبي: دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري

بدبي- إدارة البحوث، ط ١، ٢٠١٢م، ص ١٢

(٢) ينظر: الجبوسي، عودة، الإسلام والتنمية المستدامة - رؤى كونية جديدة، عمان: مؤسسة فريدريش

ايرت، ٢٠١٣م، ص ٢٣، ٢٤

● إدراك القدرة الاستيعابية للبيئة، والتي يشار لها في المنظور القرآني "بالميزان"، كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۚ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾ [الرحمن: ٧-٨].

● تقييم الواقع وفقاً لبعض المعايير المادية، والقيم المعنوية، التي يشار لها في المنظور القرآني "بالإحسان" ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ...﴾ [النحل: ٩٠].

● اعتبار مصالح الناس وآرائهم عند صياغة السياسات، والذي يشار له في المنظور القرآني "بصلة الأرحام" ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ...﴾ [النحل: ٩٠].

● التركيز على النهج البيئي الذي يركز على تناغم عناصر البيئة، والذي يشار له بالتسبيح ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمُوتُ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ...﴾ [الإسراء: ٤٤].

إذن يُعدّ مفهوم "التنمية المستدامة" منطلقاً رئيساً لتحقيق العمران، لأنه يعني الإصلاح المستمر، كما قال بافضل: "التنمية المستدامة تعني إيصال الجيل الحاضر لأقصى إمكانات الصلاح والنفع الدنيوي والأخروي بما لا يؤثر سلباً على متطلبات الأجيال القادمة"^(١)

١٠- مجال القوة العسكرية :

لقد حفل الخطاب القرآني بتنظيم الأمور العسكرية والقتالية تحت مصطلح (الجهاد)، أو تحت مفاهيم مقارنة: فمن الآيات ما ورد فيها الأمر بإعداد القوة في

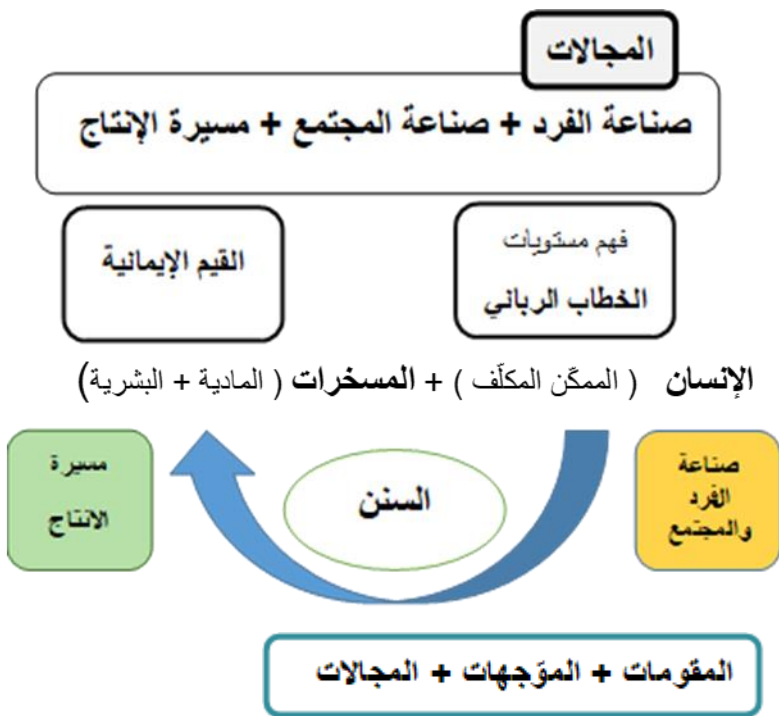
(١) بافضل، أحمد صالح، الفروض الكفائية سبيل التنمية المستدامة، الدوحة: وزارة الوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر، ٢٠١٤م، ص ٤١

حالة السلم " ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ...﴾ [الأنفال: ٦٠]، ومنها بيان مواطن القتال وضوابطه، مثل قتال المقاتلين وعدم الاعتداء ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠]، أو قتال الذين ينكثون أيمانهم ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ...﴾ [التوبة: ١٢]، ومنها التنبيه إلى الخامات الطبيعية التي تعين في صناعة أدوات القتال ﴿... وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ...﴾ [الحديد: ٢٥].

ويجدر هنا الإشارة إلى ما ذكره الكيلاني حول الجهاد العسكري بأنه المرحلة الأخيرة من مراحل الجهاد، حيث يسبقها مرحلتان؛ هما الجهاد التربوي، أو التغيير الفكري، والجهاد التنظيمي وبناء المهجر الجديد للأمة المسلمة^(١)، كما يجدر البيان أن القوة العسكرية تعدّ ركناً أساسياً في بناء المشروع العُمُراني، فهي التي توفر حالة الردع لكل من يحاول المساس بالكرامة الإنسانية، أو العزة المجتمعية، كما تشكل قوة حماية للمشروع العُمُراني تجاه الأعداء.

(١) ينظر: الكيلاني، ماجد، هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس، مرجع سابق، ص ٣٧٢، ٣٧٣

خلاصة مبحث مجالات العمران في الرؤية القرآنية



خلاصة الفصل الثاني

العمران

السعي نحو إصلاح الأرض مادياً ومعنوياً،
فردياً وجمعياً، انطلاقاً من حق الكون
المسخر للإنسان، بالارتكاز على القيم
الإيمانية المنطلقة من الوحي، ابتغاء تحقيق
قيمة الاستخلاف.

المجالات

المجالات هي ميدان تطبيق
المشروع العمراني.

وهي تنظم في ميادين
ثلاث:

- صناعة الإنسان
- صناعة المجتمع
- مسيرة الإنتاج والإنجاز

الموجهات

الموجهات هي العوامل
المؤثرة في ضبط اتجاه
المشروع العمراني، وفق
المنظور القرآني.

وهي تنظم في عوامل
ثلاث:

- فهم مستويات الخطاب
الإلهي
- إدراك ومراعاة السنن
الكونية
- مراعاة القيم والأخلاق
الإيمانية

المقومات

المقومات هي
العناصر والأركان
الأساسية التي يتألف منها
المشروع العمراني، وفق
المنظور القرآني.

وهي تتألف من مكونات
ثلاث:

- التسخير
- التمكين
- التكليف

الفصل الثالث

معوّقات البناء العمراني وآلياته وثمراته - في الرؤية القرآنية

انطلاقاً من الرؤية القرآنية تجري في هذا الفصل محاولة اكتشاف ما يعوق إتمام البناء العمراني ويهدد وجوده، كما يتم البحث عن الآليات التي تقاوم تلك المعوّقات، وتستثمر المقوّمات في المجالات المخصصة لها، وفق الموجهات المناسبة، لتصل إلى بيان ثمرات تحقيق المشروع العمراني في الأرض.

المبحث الأول: معوّقات البناء العمراني في الرؤية القرآنية

يحسن البدء ببيان معنى المعوّقات، والمفهوم المقصود لهذا المصطلح.

معنى المعوّقات لغة:

المعوّقات جمع معوّق، وقد ورد في معجم اللغة العربية المعاصرة: "المعوّق هو اسم فاعل من عوّق، من يُعوّق عملاً أو تقدّم شيء، وخاصّة من يُحاول اعتراض إقرار قانون"^(١)، وهو ما يصرف عن أمر ويعترضه، قال الفارابي: "عوق عن كذا أي حبسه وصرفه عنه، وعوائق الدهر: الشواغل من أحداثه، والتّعوّق: التثبُّط، والتّعويق: التثبيط."^(٢)

مفهوم معوّقات البناء العمراني :

بناء على ما سبق يمكن بيان معنى معوّقات البناء العمراني بأنها: (الأمور التي تعترض مسيرة المشروع العمراني، وتعمل على تثبيطه، والصرف عنه)، وتتمثل بأمور تمنع العمران وهي التي تغفل المقوّمات، وأخرى تقلل من فاعلية البناء العمراني، أو تقلل من زمن وجوده، وتتمثل في إغفال الموجهات.

(١) عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، مرجع سابق، ١٥٧٧/٢

(٢) الجوهري، الصحاح تاج اللغة، ٢٥٣٤/٤

المطلب الأول: المعوّقات المادية للبناء العمراني

إن المعوّقات الرئيسة تعني ما يعاكس المقوّمات، ويلغي بناء المشروع العمراني أصلاً، إذا كانت المقوّمات - كما سبق ذكره - هي (التسخير والتمكين والتكليف)، يكون ما يعاكسها هو: ضعف التفاعل مع المسخّرات، وإغفال مقتضيات التمكين، وإهمال التجاوب مع التكليف.

أولاً - ضعف التفاعل مع المسخّرات:

١ - ضعف التفاعل مع المسخّرات المادية: سبق البيان أن مقاصد ذكر المسخّرات هي أربعة^(١)؛ الاستدلال على وحدانية الخالق، والامتنان له لنعمه العظيمة، والانتفاع بالمسخّرات، وعمارة الأرض، ومما يلاحظ أن تلك المقاصد تنضوي تحت أمرين؛ الأول عقدي، ألا وهو التوحيد والامتنان، والثاني مادي ألا وهو الانتفاع والعمارة، وإنّ إغفال أحد الجانبين يعدّ معوّقاً من معوّقات العمران، الأمر الذي يظهر في قوله تعالى: ﴿... إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، الذي ورد بعد ذكر عدد من المسخّرات في السموات والأرض ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمُوتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾ [إبراهيم: ٣٢-٣٤]، يلاحظ أن لفظ (ظلم) قد ورد بصيغة المبالغة ليدل على كثرة أنواع الظلم وشدته؛ فمن دلالاته العقدية عدم

(١) سبق الذكر في مبحث المقوّمات، مطلب مقوم التسخير، ص ١٣٩.

توحيد المنعم، وعدم الامتنان له، ومن دلالاته المادية سوء توزيع الثروات، أما لفظ (كفّار) فمن دلالاته المادية ضعف إدراك خصائص تلك المسخّرات، وإهمال استثمار الطبيعة، والموقف السلبي منها.

إن تحقق الجانب العقدي دون المادي يجعل الأمة تقصّر في أداء دورها في العُمران المادي، ونفع الناس به، وتكون عالية على غيرها في حاجاتها، وبالتالي تكون في المستوى الأدنى في سلم الحضارات، مما ينعكس سلباً على متانة الثبات العقدي عند أبنائها، ويؤثر على دورها الدعوي بسبب نقص نفعها للعالم، كما أن تحقق الجانب المادي دون العقدي يؤدي إلى الغفلة والطغيان، وإن الواقع يشهد على ذلك؛ فإن الأمم المتقدمة مادياً في الشرق والغرب الذين يبرز اهتمامهم ببناء الأرض مادياً من خلال التقدم العلمي المتسارع، بعيداً عن مقتضيات الاستخلاف، تصبح كلمتهم عليها على الأمة المسلمة، ويقودون الكوكب بعيداً عن مقتضيات عُمرانه.

٢- ضعف التفاعل مع المسخّرات البشرية:

لقد كرّم الله بني آدم إذ سخر لهم الطبيعة وما فيها ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَهُمْ فِي الْوَبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ [الإسراء: ٧٠]، وفي الوقت ذاته جعل بعضهم مسخرين لبعض ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُلَخِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣٢]، وجعل ذلك التسخير منسجماً مع ما آتاهم من مواهب ونعم ﴿... وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ...﴾ [الأنعام: ١٦٥]، فإن أي خلل في التفاعل البشري يقلل من كرامة الإنسان، أو يضيع المواهب والطاقات التي جعلها الله مناط تسخير البشر لبعضهم، يخلّ بمعادلة الابتلاء، ويقلل من الفاعلية البشرية، ويُعدّ من معوّقات العُمران، وقد قال مالك بن نبي حول هذا الأمر: "للفرد بصفته عاملاً أولاً وللحضارة

قيمتان: الأولى منهما خام، والأخرى صناعية، ... أما القيمة الأولى فهي موجودة في كل فرد من الأفراد في تكوينه البيولوجي، ... وأما الثانية وهي القيمة الصناعية فإنه يكتسبها من وسطه الاجتماعي .. وإن الاستعمار يفرض على حياة الفرد عاملاً سلبياً ^(١)

ثانياً - إغفال مقتضيات التمكين:

سبق الذكر أن مقتضيات التمكين هي المؤهلات التي منّ الله بها على ذات الإنسان ^(٢)، وهي على نوعين؛ معنوية ومادية، إضافة لمؤهلات مساعدة تتمثل في المكان والزمان، وقد تم البيان أن المؤهلات المعنوية الذاتية تتمثل في (العلم، والزوجية، والحذر من العداوة، والهداية، والتوبة)، وقد تم ترتيبها حسب ورودها في آيات الاستخلاف، فتكون المعوّقات المقابلة وفق الترتيب ذاته: (الجهل، وتفكك الأسرة، والغفلة عن مكائد العدو، والابتعاد عن منهج الهداية، عدم التوبة والتغيير)، وأن المؤهلات المادية هي المقومات الجسميّة: (الحواس، والقدرة على التعقل، والقوة الجسميّة)، فتكون المعوّقات المقابلة: (إهمال المنهجية الربانية في تفسير المحسوسات، وإهمال البناء الجسمي)، إضافة للمعوقات الإضافية: (الركون للحياة الدنيا، وضياح الأرض، وهدر الأوقات)، ويُعدّ إغفال أي من تلك المؤهلات من معوّقات العمران.

١- الجهل: لقد تم اعتبار الجهل المعوّق الأول ضمن إغفال مقتضيات التمكين، لأنه المقابل للمؤهل الأول؛ وهو العلم، الذي ورد في قوله تعالى ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ ...﴾ [البقرة: ٣١]، علماً أن الجهل ورد في القرآن الكريم بدلاتين؛ الأولى: الجهل المركب، وهو الاعتقاد بما يخالف الواقع، والثانية: الجهل البسيط؛ وهو عدم العلم،

(١) ابن نبي، مالك، ت ١٣٩٣ هـ، مشكلات الحضارة، شروط النهضة، عمّان: وزارة الثقافة، ٢٠١٨ م، ص ١٤٥

(٢) سبق الذكر في مطلب التمكين ضمن مبحث المقومات ص ١٤٨-١٤٩.

قال ابن عاشور: "والجهل: انتفاء العلم، أو تصور الشيء على خلاف حقيقته" ^(١)، كما ورد ليدل على مستويين؛ الأول مستوى الجهل بالمفاهيم والتصورات، والثاني الجهل بحقيقة الواقع، مثال المستوى الأول قوله تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعْ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا...﴾ [يونس: ٣٦]، ومثال المستوى الثاني: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ...﴾ [يونس: ٣٦]، وهذا يعني انتفاء القدرة على التفاعل مع الواقع بسبب الجهل بالمفاهيم المرتبطة به، إضافة إلى سوء تصوره، وبالتالي العجز عن القيام بالمهام العمرانية.

وقد ورد ذم الجهل في مواضع كثيرة، ولعل الموضوع الذي يبين تأثير الجهل على المسيرة العمرانية قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢]، قال ابن عاشور في سياق تفسير الآية: "والمراد بالجهل هنا انتفاء علم الإنسان بمواقع الصواب فيما تحمّل به" ^(٢)، فإذا كانت الأمانة تحمل عدة مدلولات من أهمها خلافة الإنسان في الأرض، وقيامه بمهمة عُمرانها، كما ذكر ابن عاشور ^(٣)، فإن الجهل يُعدّ أهم عائق - بجانب الظلم - في أداء الأمانة وفي تحقيق الخلافة، وإن ورود الجهل بصيغة المبالغة ﴿جَهُولًا﴾ من دلالاته شدة الجهل، وهذا يتناسب مع ما يقابله من نوع العلم اللازم وكمّاه، فهو علم ذو قيمة عالية لأنه من الله ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا...﴾

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٨٧/١

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٣٠/٢٢

(٣) قال ابن عاشور: "والقول في حمل معنى الأمانة على خلافة الله تعالى في الأرض مثل القول في العقل لأن تلك الخلافة ما هيأ الإنسان لها إلا العقل ... فالخلافة في الأرض هي القيام بحفظ عمرانها ووضع الموجودات فيها في مواضعها، واستعمالها فيما استعدت إليه غرائزها"، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ١٢٩/٢٢

[البقرة: ٣١]، ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٥]، وهو علم يشمل أنواع العلوم كلها، بدلالة ﴿كُلِّهَا﴾ في قوله تعالى ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ...﴾ [البقرة: ٣١].

٢- التفكك الأسري: تبين سابقاً أن الاستخلاف قائم على الزوجية، كما ورد في سياق قصة الاستخلاف في قوله تعالى ﴿وَيَأْتِيكُمْ أَهْلُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٢٨]، مما يدل على الدور المهم للزوجية في مشروع العمران لتحقيق الاستخلاف، ومما يؤكد ذلك عناية الخطاب القرآني بالأسرة عناية واسعة - كما سبق بيانه -^(١)، لذا شدد القرآن النكير على قوم لوط لأنهم خالفوا مقتضيات بناء الأسرة، وسبل التناسل، المؤدي إلى حفظ المشروع العمراني ﴿وَلَوْطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ١٦٠]، وإن الواقع الحالي في ظل العولمة يشهد أن الأسرة مستهدفة، بما يهدد سلامتها واستقرارها، وبما يصدها عن مهامها، وبما يدمر المجتمع، ويهدد وجود المشروع العمراني، وسيتم لاحقاً معالجة موضوع الأسرة في سياقها المناسب.

٣- الغفلة عن العداوات: لقد ورد التنبيه إلى العداوة من الإنس والجن منذ بدء مسيرة العمران عند الهبوط إلى الأرض ﴿... وَقُلْنَا أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [البقرة: ٣٦]، وعلى رأس تلك العداوات عداوة الشيطان ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦]..

(١) سبق البيان في قسم مستوى خطاب المؤسسات، ص ١٨٥.

وقد بيّن الخطاب القرآني صوراَ عدة للعداوات؛ منها عداوات داخلية بين الأفراد، أو بين الجماعات؛ ومنها عداوات خارجية بين المجتمعات، فمن العداوات الداخلية عداوة الأقوام للمصلحين وعلى رأسهم الأنبياء ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ...﴾ [الأنعام: ١١٢]، ومنها عداوة أصحاب الشهوات ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٢٧]، ومنها عداوة المنافقين لأبناء قومهم، والتي تترجم لسلوكات ﴿الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ...﴾ [التوبة: ٦٧]، والتي ورد التحذير منها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: ١١٨]، ومن العداوات الخارجية بين الجماعات عداوة بعض أهل الكتاب والمشرّكين للمؤمنين ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدُوًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ...﴾ [المائدة: ٨٢]، والذين يتمنون الشر للمؤمنين ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ ...﴾ [البقرة: ١٠٥]، تلك العداوة التي تبغي الإضلال ﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ ...﴾ [آل عمران: ٦٩]، والتي تهدف إلى الظهور على المؤمنين والتحكم بهم ﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً ...﴾ [التوبة: ٨].

وتحصل تلك العداوات بفعل مسببات؛ من أهمها نسيان المنهج ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة: ١٤]، ومنها ممارسة بعض السلوكات الاثمة ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾

[المائدة: ٩١]، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١]، ومنها النزاع والتفرقة التي تمت الإشارة إليها في قوله تعالى ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا...﴾ [آل عمران: ١٠٣].

إن ما ذكر من الآيات يبين أن وجود العداوات سنّة إلهية، وأن الانتباه لها والحذر منها ومواجهتها واجب؛ فهي تحاول محاربة الإصلاح، والتفريق بين الناس، ونشر الشهوات، والأمر بالمنكر، والنهي عن المعروف، وإبعاد الخير، ونشر الضلال، والتحكم بالمؤمنين، وإن الآيات التي تحيط بقضية العداوات كثيرة، لا يتسع لها المقام، ولكنها تدلّ على أن إغفالها وعدم التصدي لها جدير بإشغال الأفراد والمجتمعات، والتأثير فيهم سلباً، وصرفهم عن مهمتهم في العُمران.

وإن الواقع يشهد على ما ترتب من إفساد، نتيجة إغفال الحذر من العداوات الداخلية والخارجية، وتسبب في وقوع الأمة تحت براثن الاستعمار، بشكليه الحديث والقديم، فهو وإن اندحر بعضه عسكرياً إلا أنه ما زال يكيد العدا، ويغزو بلادنا فكرياً، ويؤثر على قيام الأمة بدورها العمراني.

٤- الابتعاد عن منهج الهداية: إن ورود ذكر الهدى في سياق قصة الاستخلاف يدلّ على أن الاستخلاف قائم على تلقي الهدى من الله، والتقيد بمنهجه في الحياة ﴿قُلْنَا أَهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨]، ﴿قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [طه: ١٢٣]، ويحتوي كتاب الله منظومة هداية متكاملة، يؤدي اتباعها حتماً إلى النجاح في المشروع العمراني، ويُعدّ الابتعاد عنها معوقاً، كما ورد في قوله تعالى ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ

عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴿طه: ١٢٤﴾، وقد سبق البيان أن الهداية أنواع^(١)؛ هي هداية العامة، وهداية البيان والدلالة، وهداية التوفيق والمعونة، وإن الهداية التي يمثل الابتعاد عنها معوق من معوقات العُمران هي هداية البيان والدلالة، لأنها تعني تجنب تلقي المنهج، والتغافل عن مقتضياته.

لقد أورد القصص القرآني ذكر عدة حضارات اندثرت بسبب بعدها عن منهج الله، فهذه مملكة سبأ التي أوتيت من النعيم والثروات؛ تفقد ما أوتيت بسبب إعراضها عن المنهج ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿فَاعْرِضُوا فَاَرْسَلْنَا عَلِيمٌ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ [سبأ: ١٥-١٦]، وهذا حال كل حضارة تعرض عن مقتضيات الشكر، وتلك الحضارة الفرعونية التي علت تسقط بسبب كفرها بآيات الله وإعراضها ﴿كَذَّابٌ ءَالٍ فِرْعَوْنُ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [آل عمران: ١١]، وهي مثال للحضارة صاحبة المنجزات المادية الجبارة.

٥- غياب الإرادة: بما أن الإرادة الحرة المستقلة كانت رابع مؤهل من مؤهلات التمكين التي تؤهل الإنسان لاختيار طريقه ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ﴾ [البقرة: ٣٨]، فإن غياب الإرادة، أو تقييد تلك الحرية على المستوى الفردي والجمعي يشكل عنصراً عائقاً في طريق أي إنجاز عُمراني، وقد ورد بيان ذلك في قوله تعالى ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٥]، لذلك يكون الأفراد المقيدون بأي نوع من أنواع القيود المادية أو المعنوية ناقصي القدرة على الممارسة العُمرانية،

(١) تم البيان في مبحث المقومات، ص ١٥٧-١٦١

الأمر ذاته ينطبق على الكيانات الجمعية، مما يفسر تخلف الدول الواقعة تحت الاستبداد أو تحت الاحتلال.

٦- الإعراض عن التوبة (عدم إرادة التغيير): كان الميثاق الإلهي لبدء المسيرة العُمرانية هو قبول التوبة ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتَ قَتَابٍ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧]، وقد سبق البيان أن مفهوم التوبة يدلّ على مراجعة الخطأ وتداركه، وأنه يشمل الفكر والقيم والسلوك، ويمثل قانون الإصلاح التربوي، وأنه يتعلق بالأفراد والجماعات^(١)، لذا فإن الامتناع عن مراجعة المواقف، وعن تدارك الأخطاء جدير بإعاقبة المسيرة العُمرانية، وقد اُشار لذلك الخطاب القرآني حينما تحدث عن أقوام يتمسكون بما وجدوا عليه آباءهم دون أية محاولة للتفكير والتغيير، ودون تحقيق للتوبة ﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء: ٧٤]، ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّتَّبِعُونَ﴾ [الزخرف: ٢٢].

٧- إهمال منهجية التفاعل مع المخلوقات: إن التفاعل الحسي مع عناصر الكون المسخّر المنظور أمر متاح نسبياً لكل فرد سليم، و متاح لكل كيان جمعي كذلك، إنما يحتاج إدراك أسرارها وتفسيرها إلى منهجية علمية، خاضعة لسنن الخالق، كما ورد في قوله تعالى ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١]، لذا فإن مجرد النظر إلى عناصر الكون دون الانتفاع الأمثل بها يعدّ عائقاً من عوائق العمران، كما أن التفاعل المادي العلمي معها ونسيان الخالق يعدّ أيضاً من عوائق العُمران.

٨- إهمال الصحة: لقد اهتم الخطاب القرآني بتوجيهات صحية تحقق البنية السليمة ﴿... وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١]، فلن

(١) تم البيان في مبحث المقومات، ص ١٦١-١٦٢

تتمكن أمة يعاني أفرادها من الضعف الجسدي من تحقيق أهدافها في البناء والعمران على أكمل وجه، وقد استشهد بدور البنية السليمة لأجسام قوم هود عليه السلام في تحقيق الفلاح، حين ذكّرههم بالنعم التي انعم الله عليهم بها ﴿... وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصُطَةً...﴾ [الأعراف: ٦٩]، كما اهتم بذكر دور سلامة بنية القائد وقوته، حينما تحدث عن طالوت الذي اصطفاه الله ليقود قومه ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَأَتَىٰ بِكَ بُرْهَانًا مِّنَ اللَّهِ أَنَّا يُخَوِّدُكَ أَمْ لَكَ آلَمَلُ عَلَيْهِمْ قَالُوا بَلَىٰ بَلَىٰ وَلَٰكِن نَّحْنُ الْيَاقُوتُونَ قَالَ فَإِذَا خَرَبْتُ الْبُرْجَ وَبَقِيَ ثَلَاثَةٌ فَأَمْشُوا وَإِسْطَفَا الْمَاءَ فَمَن كَانَ بِمَاءٍ فَمَا يُسَاقُ فَابْجُثْ فِي الْكَلْبِ إِلَّا مَن سَمِيَ الْكَلْبَ قَالَ فَمَنِ ابْتِغَىٰ السَّعْيَ إِلَّا مَن كَسَبَ السَّعْيَ وَأَرْحَمُهُمْ إِلَيَّ فَنَاصِلًا﴾ [البقرة: ٢٤٧]، فالخطاب القرآني إذن اهتم بالإشارة لأثر القوة البدنية في العمران، مما يبين أن الأجسام الضعيفة تشكل عوائق في الحياة ضمن المسيرة العمرانية.

٩- الركون لمتاع الحياة الدنيا: قال تعالى في سياق قصة الاستخلاف: ﴿...وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتْعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الأعراف: ٢٤]، فكأنما جعل المتاع المذكور للاستعانة به في الاستخلاف وليس للركون إليه، حيث ورد قول مؤمن آل فرعون منبهاً قومه: ﴿يَقُومُوا إِنَّمَا هَذِهِ الدُّنْيَا مَتْعٌ...﴾ [غافر: ٣٩]، لذا فإن إخراج المتاع عن دوره المقصود، والركون له، يُعدّ من عوائق العمران.

١٠- عدم الاستقرار في الأرض: إن عنصر المكان المشار له في ﴿الْأَرْضِ﴾ في قوله تعالى ﴿...وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتْعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [البقرة: ٣٦]، يدلّ على أهمية المكان في تحقيق المشروع العمراني، كما يشير إلى أهمية السيادة على المكان لتحقيق الإصلاح في الأرض، لذا فإن عدم تمكّن الكيانات الجمعية من التحكم بالأرض يُعدّ من عوائق العمران، كما أن حياة التنقل المستمر بالنسبة للأفراد وعدم الاستقرار في مكان، يُعدّ من عوائق العمران.

١١- هدر الأوقات: يُعدّ عنصر الزمن عنصراً أساسياً في تحقيق العمران والاستخلاف، فإن قوله تعالى: ﴿إِلَى حِينٍ﴾، يدلّ على أن الوقت المتاح للإنسان للقيام بدوره في مهمة الخلافة محدود، لذلك تم تحذير الإنسان من مرور الزمن دون اتباع المنهج ﴿... أَوَلَمْ نَعْمَرِكُمْ مَا يَنْذَكُرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرُوا جَاءَكُمْ النَّذِيرُ...﴾ [فاطر: ٣٧]، والتنبيه على مروره دون أعمال صالحة ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ١-٣]، وإن جامع الأعمال الصالحة مقتضيات عمران الأرض.

ثالثاً – إهمال الاستجابة للتكليف:

سبق البيان أن التكليف بعمران الأرض ورد بشكل مباشر في قوله تعالى ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَقُومِ آعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود: ٦١]^(١)، وأن المكلف بإعمار الأرض هو جميع بني آدم، أي كل كيان فردي أو جمعي، كل في مقامه وفي مكانه، لذلك يُعدّ عدم فهم هذه الحقيقة، أو تجاهل مقتضياتها، أو عدم تنفيذها، من معوّقات العمران، وتزيد احتمالية إعاقة المسيرة العمرانية كلما زادت نسبة الأفراد أو الكيانات الجمعية الغافلة عن هذا التكليف ومقتضياته وموجّهاته، أو مقصرة فيه.

كما سبق البيان أن تمام ذلك التكليف يحتاج عدة عناصر موجّهة، ومن تلك العناصر استيفاء الوسع، واستثمار الإيتاء، فردياً وجمعياً، وذلك انطلاقاً من قوله تعالى ﴿لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا...﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وقال: ﴿... لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا مَا ءَاتَهَا...﴾ [الطلاق: ٧]، وقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ

(١) تم البيان عند ذكر مطلب مقوم التكليف، ص ١٦٧.

وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ [الأنعام: ١٦٥]، لذا فإن هدر الطاقات، وعدم استثمار المواهب والقدرات وعدم توزيع المهام وفقها، وإسناد الأمر لغير أهله، يعد إهمالاً لمقتضيات التكليف، وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة"، قال كيف إضاعتهما يا رسول الله، قال: "إذا أُسند الأمر إلى غير أهله، فانتظر الساعة" ^(١)..

كما أن استمداد المناهج الوضعية دون المنهج الإلهي يبعد عن الهدف، وإن الإصرار على الخطوات الموروثة دون تصحيح يرسخ الأخطاء، وإهمال ثروات الأرض، أو التقصير في التفاعل معها يؤدي إلى الفقر والتبعية وإلى التخلف المادي، وعدم قراءة التاريخ يفقد البوصلة، وكل ذلك يُعد إعاقة للتكليف بعمران الأرض.

المطلب الثاني: المعوّقات المعنوية للبناء العمراني

إنّ المعوّقات الثانويّة هي التي تقلل من فاعلية البناء العمراني، أو تختصر زمن وجوده، وتتمثل في إغفال الموجّهات، وإهمال المجالات. لقد تمثلت موجهات العملية العمرانية في أمور ثلاثة: فهم ماهية الخطاب الرباني ومستوياته، وإدراك ومراعاة السنن الإلهية الكونية والاجتماعية، ومراعاة المقاصد والقيم الإيمانية، وتمثّلت المجالات في صناعة الإنسان، ومسيرة الإنتاج، وبناء عليه تكون المعوّقات المقابلة هي التي تتمثل بإغفال كل مما ذكر.

(١) البخاري، ت ٢٥٦ هـ،، صحيح البخاري، بيروت: دار طوق النجاة، ط ١، ٢٠٠٢ م، باب رفع الأمانة، حديث رقم ٦٤٩٦

١ - الخلل في فهم مستويات الخطاب الرباني:

سبق البيان أن الخطاب الرباني يرد وفق مستويات؛ منه ماهو فردي لايعمم، ومنه ما هو فردي، ولكن قد يعمم ويطرّد، ومنه ماهو جماعي على مستوى جماعة مثل؛ هيئة أو منظمة أو أمة، ولا ينطبق على الفرد وحده، ومنها ماهو للجماعة، ولكن يخص كل فرد^(١).

إن تناول الخطاب الذي تقصد به الجماعة على أنه خطاب فردي فقط، أو العكس، لهو أمر من شأنه أن يحدث إشكالاً في القيام بالمهام المطلوبة من كل طرف، مما يمثل عائقاً يؤخّر مسيرة العُمران، وسيتم ذكر أمثلة على ذلك من خلال تناول ثلاث قضايا مؤثرة في العُمران؛ هي: الهداية، والميزان، والتوبة.

إن أول ورود لموضوع الهداية جاء في قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]، حيث ورد بهيئة دعاء، بصيغة جمعية، كما ورد كذلك في عدة مواضع بصيغة جمعية منها ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المؤمنون: ٧٣]، وإن التفصيل في موضوعي الهداية والصراط المستقيم قد أخذ مساحات واسعة في التفاسير والدراسات، إلا أن موضوع طلب الهداية بصيغة جمعية يحتاج لمزيد من التأمل، فهناك هداية تشمل الجميع، باعتبار كل فرد من المؤمنين، وهناك هداية ترجى للمجموع معاً، وإن إغفال الهداية التي تعمّ المجتمع، وإغفال مجالات الصراط المستقيم التي تخص المسيرة الجمعية أمر يقود إلى إهمال فروض الكفايات، وإعاقة العُمران.

فيما يخص الميزان ورد قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزَنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٥]، وقوله: ﴿وَزَنُوا بِالْقِسْطَاسِ

(١) سبق بيانه في مطلب فهم مستويات الخطاب الإلهي من مبحث الموجهات، ص ١٧٧

الْمُسْتَقِيمِ ﴿ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [الشعراء: ١٨٢-١٨٣]، حيث يلاحظ أن هذا الخطاب المتعلق بالميزان الذي يمنع الفساد في الأرض؛ يصلح للأفراد مستقلين، كما يصلح للكيانات الجمعية المؤسسية أو الدولية، وإن صرف النظر إلى جهة منهما فقط أمر يؤثر في مسيرة العمران، ويُعدّ من معيقاته.

أما مفهوم التوبة فقد ورد في مسارين؛ فردي وجمعي، ومن المسارات الجمعية قوله تعالى: ﴿وَيَقُومِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ [هود: ٥٢]، وقوله: ﴿وَالْيَ تَمُودَ أَخَاهُمْ صَاحِبًا قَالَ يَقُومِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود: ٦١]، حيث يلاحظ أن الأمر بالتوبة ورد في خطاب جمعي للأقوام، فإذا كان مفهوم التوبة يدلّ على مسار التغيير والتصحيح كما ورد عند الكيلاني بقوله: "فالتوبة في مفهومها الشامل مراجعة كل ما هو قائم في ميدان الفكر والشعور والسلوك"^(١)، فإن هناك توبة مطلوبة من كل فرد لنجاته في الآخرة، ولكن هناك أيضاً توبة مطلوبة من المجتمع، لتغيير وتصحيح ما يحتويه من منطلقات وأنظمة وقوانين، لتحقيق مكانته في الخيرية والوسطية والشهادة والحضور في الدنيا، ونجاة أفراده في الدنيا والآخرة.

٢- ضعف مراعاة السنن الإلهية:

إن ضعف التفاعل مع سنن الكون المنظور يعني التقصير مع كتاب الله المسطور، الذي دعا إلى النظر إلى الكون حين قال: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [العلق: ١-٢]، والذي دعا إلى رؤية آيات الله في الأفاق والأنفس ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ

(١) الكيلاني، ماجد، هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس، مرجع سابق، ص ٢٤١

بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿فصلت: ٥٣﴾ ، وقد سبق البيان أن السنن الإلهية نوعان: سنن كونية وسنن إنسانية، باعتبار أن السنن الكونية هي التي تنظم العلاقة بين الإنسان وبين المسخرات المادية وتضبطها، وأن السنن الاجتماعية هي التي توجه حياة الناس فيما بينهم وتضبطها خلال مسيرة العمران^(١)، وبناء عليه فإن غياب - أو ضعف - مراعاة تلك السنن في المسيرة العمرانية يعني غياب - أو ضعف - موجهه رئيسي ينظم العلاقات بين أركان المشروع العمراني، المسماة بالمقومات.

كما سبق الذكر أن السنن الكونية العامة تتمثل في سباعية: (الوحدة، والتوازن، والسببية، والتناسق، والتكامل، والحركة والجريان)، وتدور في فلكها سنن جزئية هي قوانين العلوم المختلفة، مثل علوم: الفلك والأرض والفيزياء والكيمياء والأحياء والطب، وغيرها^(٢)، لذا فإن اختلال البعد العقدي والتطبيقي لأي من السنن الكونية العامة ينعكس على مجالات العلوم المذكورة، ويظهر في مجالات الحياة العملية المختلفة، ويؤدي إلى ضعف الأمة المسلمة بسبب تقصيرها في فروض الكفاية، وحاجتها إلى غيرها، وهذا كله مما يعوق المشروع العمراني.

ومن آثار ضعف التفاعل مع السنن الكونية عدم القدرة على الانتفاع الأمثل بالمسخرات من جهة، وتدني فرص نفع العالمين بها من جهة أخرى، وبالتالي تقلص فرص كمال الدعوة إلى الله، كما أنه يؤدي إلى ضعف احتمال النهوض الحضاري للأمة المسلمة، وبالتالي زيادة فرص المتفاعلين مع المسخرات من غير المؤمنين ليتقدموا هم، ونتأخر نحن، وزيادة تأثيرهم، وقلة تأثيرنا نحن.

وما ذكر عن السنن الكونية ينطبق على السنن الإنسانية، من حيث ثباتها وأهميتها وتأثيرها، كما قال تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ

(١) سبق الذكر في مبحث (الموجهات)، ص ١٩٢.

(٢) ورد ذكره في مبحث (الموجهات)، ص ١٩٧.

اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٢]، إلا أن الأخيرة تتعلق بالأمور المعنوية، وأن غيابها أو ضعف مراعاتها، يؤثر في حياة الفرد والمجتمع، ويعسر أموره، ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۖ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٨-١٠]، كما أنه يؤثر في أساس العلاقات بين فئات المجتمع، ويؤدي إلى انتشار الفساد المعنوي في الأرض ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ [محمد: ٢٢]، فهو يمسّ العوامل الحافظة له - كما سمّاها عرجون - وبالتالي يؤثر على وجود الأمة المسلمة من جهة، ويؤثر في دورها في نشر الخير في العالم من جهة أخرى، مما يزعزع أساس المشروع العمراني، ويعيق بناءه، ويشتت بوصلته، ويحرف اتجاه مساره.^(١)

٣- إهمال القيم الإيمانية

سبق البيان أن هذه الدراسة اعتمدت قيمتي التوحيد والتكريم قيمتين أساسيتين توجهان المسيرة العمرانية، وافترضت أن كل قيمة من قيم المنظومة القيمية تصب إما في إحدى هاتين القيمتين، أو في كليهما، وسيتم هنا بيان مجمل لآثار إهمال القيمتين الرئيسيتين، وبعض القيم المكملّة^(٢).

أ- إهمال قيمة التوحيد: إن محاولة بناء الحضارة بمعزل عن قيمة التوحيد، يعني الإعراض عن منهج الخالق، المبين في كتابه الكريم، والركون إلى المناهج الوضعية التي تبني الفكر والاعتقاد، وتوجّه الممارسات الفردية والجمعية، مما يؤدي إلى خلل في تصورات الإنسان عن الكون والوجود والحياة والموت، وإلى غياب الهدف من خلق الإنسان، وإلى تشويش مهمته الاستخلافية، الأمر الذي يقوده إلى خيانة الأمانة، من خلال ظلمه لنفسه، وجهله لمهمته، كما يبدو في قوله تعالى:

(١) يحال إلى مبحث (الموجّهات) ص ٢٠٦.

(٢) سبق ذكره مبحث (الموجّهات) ص ٢١٢.

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَيُّنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢]، مما ينعكس إفساداً في الأرض ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١]، وبذلك تنتفي مقاصد العمران التي تختصر بقضية الإصلاح، وقد ضرب الكتاب الحكيم لتلك الحالة مثلاً بالمنهج الفرعوني الذي أعلن أنه الرب الأعلى، فقرر أن يستثمر الموارد الطبيعية والبشرية لإنجازات مادية بحتة، دون أي اعتبار للخالق وخلقاته، فتمت تلك الإنجازات المادية، وبقيت شاهدة على مدى الأيام، ولكن الحضارة ذاتها اندثرت وبادت لأنها تحدث التوحيد ومقتضياته.

وقد سبق البيان - عند دراسة العمران في الفكر الإنساني في تمهيد هذه الدراسة - كيف أثرت الخلفيات الفكرية وموضوع رؤية العالم لدى العالم الغربي في بناء النظريات الاجتماعية الموجهة لبناء الحضارة لديهم، وإن التاريخ والواقع يشهد أن أثر غياب قيمة التوحيد في عملية البناء الحضاري قد لا يظهر في الجوانب المادية لدى حضارة ما، بسبب حسن التفاعل مع ثروات الأرض ومع السنن الكونية، ولكنه يظهر حتماً في كثير من الجوانب الإنسانية والاجتماعية في حضارتها، وينعكس سلباً في سلوكها تجاه عناصر الكون، وتجاه الحضارات الأخرى في العالم.

ب- إهمال قيمة التكريم: من أكبر معوقات العمران التغافل عن المقصود بإصلاح الأرض، ألا وهو الإنسان المكرّم، فإن غياب قيمة التكريم يفقد الإنجازات الحضارية بوصلتها، مما ينعكس فساداً في مجالات الحياة كافة، مهما كبرت الإنجازات المادية، وإن خير مثال قرآني على ذلك حضارات ثلاث، أشار القرآن الكريم إلى إنجازاتها المادية، والتي بقيت شاهدة لها على مدى الزمان، إلا أن الحضارة ذاتها بادت بالإهلاك والدمار، لأنها حضارة غاب عنها تكريم الإنسان، بعد غياب توحيد

الله، ويظهر ذلك في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿۱﴾ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿۲﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَدِ ﴿۳﴾ وَثُمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿۴﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿۵﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَدِ ﴿۶﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿۷﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿۸﴾﴾ [الفجر: ٦-١٣].

وإن إغفال تكريم الإنسان يتجلى بصور عدة، تلخصه حالة الاستبداد الفرعونية، التي تظهر تارة بالاستعلاء على الشعب، واستضعافهم، وتفريقهم شيعاً ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدِيحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٤]، وتظهر حيناً بالاستخفاف بهم ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ ٥٤﴾ [الزخرف: ٥٤]، كما تبدو باستضعافهم وتعذيبهم وإهانتهم ﴿وَإِذْ أَنْجَيْنَاكَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٤١]، وتتسم بالطغيان ﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ [طه: ٢٤]، كما تتصف بالاستكبار على المصلحين ﴿وَقُرُونٌ وَفِرْعَوْنَ وَهُمْ نَكَبُوا وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِآلْبَيِّنَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٩]، وقد تجلّى التغافل عن التكريم عند قوم شعيب، الذين أفسدوا في البعد الاقتصادي، فهضموا الحقوق، وبخسوا الناس أشياءهم ﴿... فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ٨٥]، وأفسدوا في البعد التربوي والأخلاقي ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِ - وَتَبْغُوتَهَا عِوَجًا وَادْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرَكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عِقَابَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ٨٦]، وأصروا على موقفهم، فكانت نهايتهم الهلاك ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٩٢].

وهكذا يبدو ان كل حالات الغفلة عن تكريم الإنسان، تقود إلى الإفساد في الأرض، الذي يتنافى مع الإصلاح، وتعيق العمران، وتنتهي إلى دمار الكيان الجمعي المسيطر.

٥- إهمال القيم المكملّة: إن مصطلح القيم المكملّة هو اجتهاد اعتمدته الدراسة، التي افترضت أن جميع القيم القرآنية المكملّة تصبّ في قيمتي التوحيد والتكريم، وأنها ضرورية لاستكمال المسيرة العمرانية، وأن غياب أي منها عبر الرحلة يحدث خللاً في ميزان المسير، ويوجد عائقاً يعترض دربه.

قيمة " الرحمة " - مثلاً - غيابها يؤدي إلى تفكك التجمع البشري اللازم لتحقيق العمران، ويوجد ثغرة بين القائد وأتباعه ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ...﴾ [آل عمران: ١٥٩]، ويفقد غيابها عنصر الألفة الجامعة بين الناس، واللازمة لإقامة العمران، والتي تتحقق من هوى الأفئدة التي دعا بها إبراهيم عليه السلام بقوله: ﴿... فَأَجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ...﴾ [إبراهيم: ٣٧]^(١)، كما يؤدي إلى عدم نشر دعوة الله لكل العالم، وتحقيق قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

غياب " العدل " - مثلاً - يفسح المجال لتفشي الظلم والبغي والعدوان، المؤذنة بخراب العمران، فكم من مجتمع سقط بسبب تفشي الظلم فيه ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْفُرْيَ وَهِيَ ظَلِمَةٌ إِنَّ أَخَذْهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢]، وكم كان الظلم سبباً لحلول قوم مكان قوم ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ١١﴾ [الأنبياء: ١١]، وكم كان الظلم كذلك سبباً لهلاك حضارات لم تشفع لها منجزاتها المادية بالبقاء ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَبَقِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٌ مُّعْتَظَلَةٌ وَقَصْرٌ

(١) ينظر: الكيلاني، عبد الله، السياسة الشرعية، عمان: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط ١، ٢٠١٩ م، ص ١٢

مَشِيدِهِ ﴿[الحج: ٤٥]، ومن تجليات غياب العدل وجود ما يسى (الظلم الاقتصادي)، الذي يمثله اقتصاد السحت - حسب تعبير الكيلاني ^(١) - ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعمَلُونَ﴾ [المائدة: ٦٢]، ويؤدي إلى الإفساد في الأرض ﴿وَيَقُومُ أَوْفُوا الْكَيْالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مَفْسِدِينَ﴾ [هود: ٨٥].

غياب قيمة "الأمانة" يعني عدم رعاية الواجبات، لأن الله تعالى وصف المؤمنين الذين يستجيبون لمنهج الله أنهم يراعون أماناتهم ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رُعونَ﴾ [المؤمنون: ٨]، وغياب الأمانة يعني التقصير في العمل الموجب لإقامة العمران، وهذا التقصير يُعدّ خيانة عظيمة، وخصوصاً أنها ارتبطت بخيانة الله ورسوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧].

غياب قيمة "القوة" يعني التفريط بالمنهج، لأن الأمر بأخذ المنهج ارتبط بالقوة في أكثر من موضع ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا ءَاتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا...﴾ [البقرة: ٩٣]، ﴿يُحْيِي خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ...﴾ [مريم: ١٢]، ويعني التراجع عن الدور الحضاري ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَفَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَلَتْ...﴾ [النحل: ٩٢]، ويعني عدم الحذر من العدو، والسماح له بالتجرؤ والمكيد للكيان العمراني ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ - عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ...﴾ [الأنفال: ٦٠].

(١) ينظر: الكيلاني، ماجد، مقدمة هكذا ظهر جيل صلاح الدين، مرجع سابق، ص ١٧

وفي واقعنا المعاصر فهم أعداء الأمة المعادلة، فقرنوا بين العلم والمعرفة، وبين القوة، وفي ذلك قال عنهم الكيلاني: "هم يبحثون عن المعرفة والعلم باعتبارهما عنصراً من عناصر القوة اللازمة للنجاح في عملية الصراع الدولي على ثروات الأرض"^(١).

وأخيراً فإن المعوّقات المؤثرة في مسيرة المشروع العمراني في الواقع معقدة ومتشابكة ومزمنة، بعضها داخلي وبعضها خارجي، منها ما هو معنوي يتعلق بالعقيدة والفكر والقيم، والتفكك، والنزاع، والتبعية والانهار بالآخر، ومنها ما هو مادي يتمثل بضعف الانتاج، وكثرة الاستهلاك، وسوء التوزيع، والاستبداد، والخضوع للآخر، والوقوع تحت برائن العداوة والمكر.

(١) ينظر: الكيلاني، ماجد، مقدمة هكذا ظهر جيل صلاح الدين، المرجع السابق، ص ٢٠

خلاصة مبحث معوقات العمران في الرؤية القرآنية



المبحث الثاني: آليات البناء العمراني في الرؤية القرآنية

قبل البدء باكتشاف الآليات المناسبة، أو اقتراحها يحسن بيان مفهوم الآليات المقصود.

مفهوم الآليات:

ورد في بيان مفهوم المقومات لغةً في (معجم اللغة العربية المعاصرة) مايلي: "الآلية: وسيلة، إمكانية (يجب الالتزام بآليات فضّ النَّزاع)" ^(١)، وذلك باعتبار أن (آليات) هي جمع لمفردة آلية، وهي مصدر صناعي من آلة، وأنه يدلّ في أصله اللغوي على معنى مادي مأخوذ من حركة الآلة ^(٢)، ثم اكتسب معنى مجازياً ليدل على وسيلة أو إمكانية للممارسات الإنسانية، وبناءً عليه أصبح المعنى الاصطلاحي يدور حول الوسائل والإمكانات المحركة لأمر ما.

مفهوم آليات البناء العمراني في الرؤية القرآنية:

بناء على ما سبق يكون مفهوم آليات البناء العمراني في الرؤية القرآنية هو: الوسائل والإمكانات المحركة والدافعة لتحقيق البناء العمراني حسب الخطاب القرآني .

ركائز آليات البناء العمراني في الرؤية القرآنية:

انطلاقاً من الدراسة الواردة في المباحث السابقة، يبدو أن الآليات تركز على أمرين رئيسين؛ الأول هو السعي لإزالة المعوّقات، والثاني هو السعي لتحقيق الفاعلية باستثمار المقوّمات، وقد يتداخل الأمران أحياناً، وقد ينفصلان، فيكون حيناً مجرد إزالة المعوّق يعني تحقق ما يقابله في الفاعلية، كما هو الحال في إزالة معوّق الجهل،

(١) عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، المرجع السابق، ١/١٤٠

(٢) ينظر: عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، مرجع سابق، نفس الصفحة

فإن العلم يحل محلّه تلقائياً، وفي أحيان أخرى يكون إزالة المعوّق وحدها لا تكفي لتحقيق الفعالية الحضارية، بل يلزم عملاً مقابلاً، كما هو الحال في أمر العداوة، فإن الحذر منها، والانتصار عليها لا يكفي، بل لا بدّ بعدها من آليات تعيد البناء، علماً أن الخطاب القرآني لا يقدم آليات مفصّلة، وإنما يترك المجال للفكر البشري لاكتشاف الأدوات والوسائل الممكنة لتحقيق الهدف المنشود.

وإن تلك الآليات يقصد منها خلق نفير حضاري معنوي ومادي يدفع لتحقيق الفاعلية المرجوة، بمعنى أن تعباً الطاقات والقدرات المعنوية والمادية، الفردية والجمعية، لتحقيق الإنجازات العمرانية.

وحرصاً على رسم خريطة عمرانية متجهة نحو البوصلة، سيتم عرض هذه الآليات بالترتيب ذاته الذي تم به عرض تلك المقوّمات والمعوقات، المتسقة مع ترتيب الورد القرآني.

المطلب الأول - الآليات المعنوية للبناء العمراني في الرؤية القرآنية

يقصد من الآليات المعنوية للبناء العمراني خلق النفير النفسي بعنصره الفكري والوجداني، على المستويين الفردي والجمعي، بما يحدث في ذات الفرد نزوعاً إرادياً لتحقيق الهدف، ويدفع الكيان الجمعي إلى القيام والحركة الفاعلة، وقد أشار لهذه المعاني وفصّل بها النجار في بحثه حول النفير الحضاري ضمن عوامل الشهود الحضاري^(١)، وإن هذه الآليات المعنوية تتعلق بالعقيدة، والفكر، والتعليم، والإرادة.

أولاً- تعميق وتوجيه الصلة بالوحي:

تهدف هذه الآلية إلى جعل الوحي حاضراً في الأذهان والوجدان، مؤثراً في النفوس، دافعاً ومحركاً للعمل المجدي، خلال ممارسة مشروع العمران، وتعمل على

(١) ينظر: النجار، عوامل الشهود الحضاري، مرجع سابق، ص ١٨٩-٢١٤

دوام استحضار الهدف ألا وهو قيمة الاستخلاف، وكل ذلك من خلال الارتباط بمصدر الوحي المتمثل في نصوص القرآن والسنة.

وقد ورد في القصص القرآني ما يبيّن سبيل اتخاذ التوحيد مصدراً ودافعاً للفعل الحضاري، من ذلك ما ورد في قصة سليمان عليه السلام، الذي علم أن الفعل العُمراني يحتاج تسخييراً وتمكيناً، وأن الله وحده الواهب، فتوجه بدعائه الطموح إلى الله، ذلك الدعاء المقترن بالعبودية والامتنان: ﴿قَالَ رَبِّ آغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [ص: ٣٥]، فجاء العطاء الرباني بتسخير الموارد المتنوعة من الطبيعة والإنس والجن والحيوانات ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿وَأَخْرَيْنَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ [ص: ٣٦-٣٨]، فما كان من فعل سليمان عليه السلام إلا الشكر، والاستعداد لاستثمار ما أوتي بالعمل الصالح الذي يصلح الأرض ﴿... وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

إن آلية إعادة بناء الصلة مع الوحي تعتمد على إعادة النظر في مقررات ومناهج بناء العقيدة، بحيث تركز على حقيقة الإنسان وغايته وحياته، وحقيقة الكون وعلاقة الإنسان به، وتجعل التوحيد أمراً يتجاوز موضوع الفهم والتصديق، وممارسة العبادات الشعائرية، ليدفع إلى مجالات العمل والبناء، ويشكل نسقاً ينعكس على واقع الحياة في المجالات كافة، ويكون عموداً لمشروع حضاري، يواجه مشاريع النهضة العلمانية.

ثانياً - تعميق الصلة بالكون:

تنطلق هذه الآلية من الآية الكريمة التي سبقت إعلان المشيئة الإلهية بالاستخلاف - كما سبق ذكره - ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ

إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمُوتٍ وَهُوَ بَكْلٌ شَيْءٌ عَلِيمٌ ﴿البقرة: ٢٩﴾، وتتمثل بالدعوة لإعادة النظر في آيات الله المقروءة، من خلال منهجية بنائية، تربط بين الآيات التي ذكرت فيها عناصر الكون المسخرة للإنسان، وذلك ضمن سياقاتها، لتستخرج منها مؤشرات مرشدة في الفهم، مؤثرة في البناء العقدي والمعرفي، ضابطة للبعد الأخلاقي والسلوكي، وتستنتج منها خطة عملية تعين على قراءة آيات الكون المنظورة، والتفاعل معها وفق السنن الكونية، وما ينبثق عنها من قوانين علمية، تؤسس لعملية إنتاجية تأخذ زمام المبادرة، من الأمة التي اصطفاها الله لتكون خير أمة، فتنفع العالم بدل أن تكون عالة عليه.

إن تعميق الصلة بالكون أمر أساسي لتفعيل مقوم التسخير، ومقاومة معوّق الفجوة التي نشأت بين الإنسان وبين صلته بالكون، وإلى إعادة بناء صلة الإنسان معه، عقدياً ومعرفياً وأخلاقياً وسلوكياً، لأن طبيعة هذه العلاقة وقوتها هي التي تحدد مدى فعالية الإنسان في الكون، ومدى إقباله عليه للاستثمار والتعمير فيه، وتحدد كذلك طبيعة ذلك الاستثمار، ومدى تأثيره في العالم، فإن لم تكن تلك العلاقة راشدة؛ صالحة مصلحة، فإن الكون يصبح فقط مسرحاً للاستهلاك وتمضية الوقت، والاعتماد على الآخر المنتج في الإستهلاك، بل قد تكون تلك العلاقة مدعاة للاستهتار بالكون، بالإسراف والتبذير، وبالتدمير والإفساد.^(١)

وإن من أمثلة النظرة المنهجية في آيات الله الكونية المقروءة؛ الدعوة لإيجاد المناسبات بين الآيات التي تذكر المسخرات وبين ما يحيط بها في السياق القريب، النظر في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ

(١) ينظر: النجار، عوامل الشهود الحضاري، مرجع سابق، ص ٣٧

رَحِيمٌ ۖ وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ۚ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنْزِعُ عَنْكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٌ ﴿[الحج: ٦٥-٦٧]﴾، يلاحظ أن الآيات المذكورة تعرض قضايا ثلاث: الأولى تسخير عدد من عناصر الكون وفق سنن كونية، والثانية تنبيه الإنسان لحياته وتحذيره من كفران النعم، والثالثة تنبيه الإنسان لتنوع مناهج الأمم في الحياة، فإن دراسة التناسب بينها ربما يرسم منهجاً مرشداً في قضية بناء الصلة القوية بين الإنسان - فرداً كان أو أمة - وبين الكون، وهاهو سيد يلمس هذا الأمر حين يشير إلى أن هذا السياق يرشد الإنسان نحو الاهتداء لمنهج الله في الحياة، في توجيه الطاقات والثروات إلى العمران والبناء، ليقوم بالخلافة في الأرض كما أَرادها الله، مع الاعتبار أن لكل أمة منهجاً وطريقة في الحياة والتفكير والسلوك والاعتقاد^(١).

كذلك تستعين هذه الآلية بفقه السلف^(٢)، أي بمنهجيتهم في الانطلاق من الواقع في فهم آيات الله، التي أدت لبناء حضارة عمرانية مشهودة، كما تستفيد من المنهجية العلمية الغربية في التفاعل العملي العلمي مع الكون، وفي ذات الوقت تتصدى للجانب العلماني فيها، لتحقيق الإنجازات، ولتواجه الإهمار الحاصل لدى كثير من المسلمين.

ثالثاً- آلية تنمية المؤهلات المعنوية لإنسان العمران

لما كان تمكين الإنسان (فرداً أو مجتمعاً) هو المقوم الثاني للعمران، كانت الآلية الثانية ترتبط بإمكانيات استثمار هذا المقوم، من خلال إيجاد وسائل تطوير مؤهلات إنسان العمران، وفق ما وردت في الخطاب القرآني، وتعمل كذلك على سد

(١) ينظر: سيد، في ظلال القرآن، ٤/ ٢٤٤١، ٣٤٤٢

(٢) يقصد بالسلف في هذا السياق النموذج السالف في تجربة التحضر الإسلامي، ولا علاقة لها بالسلفية المبهودة كاتجاه عقدي أو حركي.

الثغرات، ومقاومة المعوّقات التي قد تعترضه، إن تلك المؤهلات تمثلت في (العلم، والزوجية، والحذر من العداوة، والهداية، والإرادة، والتقويم والصحيح بالتوبة).

١ - إعادة النظر في واقع المنظومة التعليمية والتربوية:

سبق البيان أن العلم كان المؤهل الأول الذي امتنّ الله به على آدم، ومكّنه به ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا...﴾ [البقرة: ٣١]، وأن كتاب الله تعالى قد أشار إلى موجّهات رئيسية لمنظومة العلم والتعليم، احتوت بيان منهجية ذلك العلم وهدفه ونوعه وطبيعته وأدواته ووسائله، وذلك بما يؤهل الإنسان لمهمّة العمران.^(١)

ومن الواضح أن الواقع الحالي لا يفعل تلك المنظومة بالقدر الكافي، مما يدفع إلى الدعوة لآلية إعادة النظر في أساسيات المنظومة التعليمية في الواقع، بما يربطها بتوجيهات الوحي من جهة، ويؤهلها لصناعة إنسان العمران ومجتمعه من جهة أخرى، ذلك المجتمع الذي يتسم بسمات تجعله صانعاً محترفاً للإنسان، وحاضناً جديراً بتنميته، كما تجعله قوي الصلة بالكون، مدركاً لمتغيرات الواقع، محسناً لفقه التحديات، ومواجهة العداوات، واتخاذ القرارات، وتحقيق الإنجازات، وإدارة العلاقات مع المجتمعات الأخرى.

إن آلية تصحيح تلك المنظومة يبدأ من تصحيح دور المؤسسة العلمية، والتي يقصد بها المؤسسة التي تهتم بالأبحاث العلمية بمفهومها الواسع، من دراسات وتجارب وإحصائيات وتخطيط^(٢)، وذلك في جميع تخصصات البحث العلمي، مما يجعلها نواة وخلفية لكل تغيير تتبناه الجهات المعنية بالتربية والتعليم، وجهات اتخاذ القرار.

(١) سبق البيان في مبحث المقومات، ص ١٥٠-١٥٤

(٢) ينظر: النجار، عبد المجيد، عوامل الشهود الحضاري، مرجع سابق، ص ٢٩٠

أما هدف ذلك التصحيح فهو تحقيق العمق العقدي، والتيقظ الفكري، الذي يجعل عقل المسلم مندفعاً دائماً إلى التفكير والتأمل، يبحث عن الحقيقة، ويسعى لحل المشاكل المعترضة، تتوجه حركته الفكرية نحو غاية واضحة، هي الاستجابة للتكليف الرباني في إعمار الأرض وتحقيق النفع، كما قال عليه الصلاة والسلام: "اللهم انفعني بما علّمتني، وعلمني ما ينفعني، وارزقني علماً تنفعني به" ^(١)، ولعل ذلك يتحقق بالتركيز على النقاط المنهجية التالية:

• **تمتين الاعتقاد والفكر من خلال القراءتين:** كتاب الله المسطور، وكتابه المنظور، وفي هذا قال العلواني: "يفهم القرآن العظيم ومدلولاته بالخلق وبالوجود، ويفهم الوجود ويهتدى به في أداء مهام الخلافة فيه، والقيام بمقتضيات الأمانة بالقرآن المجيد، وتوجيهاته، وأحكامه، وتعاليمه." ^(٢)، وإن الفهم أجدى وسيلة لتصحيح الاعتقاد، لأنه رديف العلم الذي يعمق الإيمان، ويغرس التوحيد ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ...﴾ [محمد: ١٩].

• **تعميق الإيمان من خلال فقه آيات الله الكونية والتكوينية:** باعتبار أن آيات الله الكونية هي مخلوقاته، وأن آيات الله التكوينية هي أفعاله، وأن آيات الله الكونية تبلغ ألفاً وثلاثمائة آية حسب عدّ النابلسي ^(٣)، الأمر الذي يشير إلى أهمية فهمها وإدراكها والتفاعل معها.

(١) الحاكم، أبو عبد الله، ت ٥٤٠٥، المستدرک علی الصحیحین، تحقیق مصطفی عبد القادر، بیروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠ م ٤١٠/١، حديث صحيح على شرط مسلم

(٢) العلواني، التوحيد والتزكية والعمران، مرجع سابق، ص ٩٦

(٣) النابلسي، محمد راتب، موسوعة النابلسي، سبق ذكره مطلب السنن الكونية، مبحث الموجهات، من الفصل الثاني.

- تفهيم سنن الله الكونية: وما يتبعها من قوانين العلوم التجريبية المختلفة، واتباع المنهج التجريبي، في إدراكها وتطبيقها، وهذا يتبعه عدم الفصل بين العلوم الشرعية والعلوم التجريبية.
- تفهيم سنن الله الاجتماعية: وما يتبعها من قوانين بناء ودمار الأمم، وإعادة قراءة التاريخ وفقاً لذلك، وهذا يتبعه عدم الفصل بين العلوم الشرعية والعلوم الإنسانية.
- تدريس المقاصد القرآنية: والربط بين درجاتها المختلفة (العالية والخاصة)، لتصنيف الأفعال البشرية ضمن مساقاتها التابعة لمقصد العمران.
- التفقيه بالقيم القرآنية: والربط بينها وبين المقاصد والأحكام.
- اتباع المنهج البنائي الشمولي: الذي يبني المعرفة على جمع المعطيات السابقة كافة، لبنى منها قاعدة عمرانية.
- اتباع المنهج التطبيقي: الذي يترجم المعرفة والمهارات لحالة سلوكية، وخاصة فيما يتعلق بالأخلاق، والسلوك.
- الاهتمام بتعليم الفروض الكفائية: بدرجة فروض العين ذاتها، وتعميق الصلة بين الإنسان من جهة، وبين الكون والواقع من جهة ثانية، بحيث يتم وجود كافة التخصصات في المجتمع لتحقيق الكفائية فيه.
- الاهتمام بفقه الأولويات: مع مراعاة مستجدات الواقع.

٢- مراعاة علم النفس في تربية الفرد والمجتمع:

لَمَّا كَانَ مَدْخُلُ إبْلِيسَ فِي وَسْوَستِهِ لِأَدَمَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- هُوَ عِلْمُهُ بِحَاجَتَيْنِ نَفْسِيَتَيْنِ فِي ذَاتِ آدَمَ، وَهُمَا الْخُلُودُ وَالْمَلِكُ، ﴿فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَآدَمُ هَلْ

أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى ﴿طه: ١٢٠﴾، فإن في هذا هداية لضرورة الاهتمام بعلم النفس في صناعة إنسان العمران، لمنع هواجس الشر التي تعترضه وتحاكي حاجاته، من جهة، ولتنميته وصناعته بتلبية حاجاته الفطرية، من جهة أخرى، وإن هذه الآلية تهتم بتفعيل واستثمار بعض مفردات علم النفس، فتستفيد - مثلاً - من "نظرية الحاجات في علم النفس الحديث"^(١)، التي اهتم بها الكيلاني، وقارن بين الحاجات الواردة فيها، وبين الحاجات التي تحققها عناصر صناعة الأمة، والتي تتمثل ب (الإيمان، والهجرة، والجهد، والرسالة، والإيواء، والنصرة)^(٢)، تلك الحاجات التي ظهرت بشكل آخر في دعوة ابراهيم عليه السلام ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿١٦﴾ رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّونَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧﴾ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿١٨﴾﴾

ومن جوانب الاهتمام بعلم النفس معرفة "علم نفس الشخصية" الذي يقيس أنماط الشخصية بمقاييس علمية^(٣)، ذلك العلم الذي يساعد في اكتشاف الطباع الشخصية وتزكيته، وفي اكتشاف المواهب واستثمارها، من خلال توزيع المهام اللازمة للبناء والعمران.

(١) نظرية الحاجات هي نظرية معتمدة في علم النفس الحديث، صاحبها أبراهام ماسلو Abraham Maslow،

رائد مدرسة علم النفس الإنساني Humanistic Psychology.

(٢) ينظر: الكيلاني، ماجد، الأمة المسلمة، مرجع سابق، ص ١٣٥ - ١٤٦

(٣) علم نفس الشخصية هو أحد فروع علم النفس العام، يختص بدراسة الخصائص السلوكية الانفعالية عند الأفراد، تتبع له عدة مقاييس لمعرفة نمط الشخصية، من تلك المقاييس: مقياس جالوب، ديسك، مايرز بريجز، آيسنك، بيركمان، هوجان، قائمة القيم والدوافع، ينظر: إدارة. كوم، أشهر وأفضل ١٠ مقاييس عالمية، ٢٠١٩/١٢/٢٩

٣- العناية بمنظومة الأسرة:

يحتاج أمر العناية بمنظومة الأسرة جهوداً مضاعفة، وآليات متجددة، تتمكن من التصدي لتلك التحديات التي تحيط بالأسرة، ويقع ذلك على عاتق الجهات التربوية والتنموية والاجتماعية والثقافية وغيرها من أفراد ومؤسسات المجتمع، مما يستدعي التنوع في الآليات المناسبة، من ذلك برامج توعية وتأهيل للمقبلين على الزواج، وبرامج إعادة تأهيل المتزوجين، وبرامج صيانة وحماية الأسر القائمة، وإدارة التسريح بإحسان، إضافة إلى وسائل وأدوات تساعد في تنمية المستويات الدينية والعلمية والتربوية والمالية لتلك الأسر، ومهما اختلفت البرامج، وتنوعت الأدوات والوسائل، فإن ما يجعلها آلية تؤدي إلى عمران الأسر وعمران المجتمع، هو أن تدور في فلك القيم التي ذكرها الخطاب القرآني، وأراد وجودها في الأسرة، ألا وهي:

- قيمة السكينة: التي تعدّ أسمى مقصد للزواج بتصريح الله تعالى بذلك ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١]

- قيمتا المودة والرحمة: اللتان امتنّ تعالى بهما بين الزوجين ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١]

- قيمة العدل: تلك القيمة التي أشار تعالى لأهمية وجودها في الأسرة، في سياق الحديث عن الرحمة بالأرحام، وباليتامى، وبالزوجات، وذلك في قوله تعالى ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبْعٍ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾ [النساء: ٣]

• قيمة الفضل: التي ورد ذكرها في سياق إدارة الانفصال بين الزوجين قبل التماس بينهما ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ الزَّيْنِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، فإذا تمّ الحث عليها في سياق الانفصال، فإن وجودها في حال الاجتماع أشد وأكّد.

• قيمة العفة: التي أراد الله تحقيقها بالزواج ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالْصَّالِحَاتُ قُنُتْنَ حَفِظَتْ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَالَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٤]، ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحَرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٣]، وأراد وجودها عند من يتعسر زواجه، فقال: ﴿وَلَيْسَتُ عَافِيَةً الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ...﴾ [النور: ٣٣].

• قيمة التحصين: وردت في سياق بيان شرط الزواج، وتحديد مقصد من مقاصده ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مِمَّا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرْضَيْنَ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ٢٤].

• قيمة المعروف: التي وردت تصف الحياة الزوجية حال الاجتماع، والتي أمر بها الرجل خصوصاً ﴿... فَإِمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ ...﴾ [البقرة: ٢٢٩].

- قيمة الإحسان: التي وردت تصف الحياة الزوجية حال الانفصال ﴿... فَإِمْسَاكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُ بِإِحْسَنٍ ...﴾ [البقرة: ٢٢٩].
- قيمة التقوى: وردت في سياقات النزاع والفراق بين الزوجين ﴿وَلَمَّا طَلَّقتِ مَتَّعُ بِأَلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢٤١]، ﴿... وَلَا تَتَّخِذُوا ءَايَتِ اللَّهِ هُزُوعًا ...﴾ [البقرة: ٢٣١].

٤- العمل على صناعة كيان جمعي:

لأن العمران بشكله المتكامل يحتاج إلى اجتماع بشري يقوم به، كان لابد من وجود آليات تصنع الكيان الجمعي المطلوب، الذي يشكل المجتمع الحاضن للفرد وللأسرة، والذي أطلق عليه النجار مصطلح (السلطة الإنجازية للتحضر)، تلك السلطة التي لا تأخذ شكلاً ثابتاً، وإنما تظهر في مظاهر متنوعة تبعاً لاختلاف الزمان والمكان، وإنما يجمعها القوة المنظمة التي تحشد المنظمات والأفراد في هيئة جماعية، وتدفع بهم إلى الإنجاز، قد يطلق عليها مسميات متنوعة مثل: (الدولة)، أو (المملكة)، أو (الأمة)، وغيرها، وإنّ الخطاب القرآني تبني مصطلح (الأمة)، وقد سبق ذكر مكونات الأمة المسلمة، وسبيل إخراجها، في مجالات العمران وصناعة الأمة، وفق الخطاب القرآني، حيث تضمن الحديث الإشارة إلى آليات ذلك الإخراج، لذا يحال إلى ما ورد هناك، كما يحال إلى مصدر الموضوع في كتاب الأمة المسلمة^(١).

ومما يجدر ذكره أن خطاب القرآن بيّن أن صناعة الأمة تحتاج وجود ثلاث جهات رئيسية، حتى تنهض بدورها المناط بها، الأولى عموم الأمة، في مثل قوله تعالى ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ

(١) ينظر: الكيلاني، ماجد، الأمة المسلمة، مرجع سابق

هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿آل عمران: ١٠٤﴾، والثانية الحكام، كما في قوله تعالى: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ...﴾ [ص: ٢٦]، والثالثة العلماء والدعاة والمربون، بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢] ^(١)، هذا مع الإشارة إلى أنه تحت غطاء الأمة لا بدّ من إيجاد مؤسسات متنوعة، توجه النشاط العمراني.

٥- آلية المواجهة الواعية للعداوات في الواقع:

لن يتم العُمران إلا بالحدز من العداوات المتربصة بالمصلحين، فإن في قوله تعالى ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦]، أمر بالحدز من الشيطان، وفي قوله: ﴿فَأَرْزَلَهُمَا الشَّيْطَانُ عَمَّهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [البقرة: ٣٦]، أمر بالحدز من العداوات المتنوعة في الأرض، وفي قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدُوًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودُ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ...﴾ [المائدة: ٨٢]، أمر بالحدز من اليهود خصوصاً، وإن التاريخ والواقع الحالي يشهد وجود عداوة كبرى من أولئك اليهود، تلك العداوة التي تحرك عداوات متنوعة، سواء كانت من كيانات خارجية متحالفة معها، أم من كيانات داخلية تسهل مكرها من المنافقين والعملاء، وتعمل على الأفراد، كما تعمل على المجتمعات، ولا تترك وسيلة إلا وتسلكها، فتغزو المجالات الفكرية والثقافية، وتنشر الشبهات، وتحاول تحريك المشاعر وإثارة الشهوات، وتعمل على زرع الفتن وإشعال الحروب، وتستعين بالعملاء

(١) ينظر: النجار، عبد المجيد، عوامل الشهود الحضاري، مرجع سابق، ص ٢٥٧، ٢٥٨

والظلمة والمستبدين، وبالفاسدين المفسدين، وإن لم يتم التصدي للعداوات التي يطلقها هؤلاء المستبدون والظلمة يظهروا علينا ويتحقق قوله تعالى: ﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨].

إن اتخاذ آلية التنبيه والتصدي والمواجهة لأشكال العداوات تُعد من مواجهة معوّقات العُمران، واستثمار مقوماته، وإن البحث في تلك الآلية لا تكفيه السطور المحدودة ضمن هذه الدراسة، ولكن يصلح في هذا المقام التأصيل لعدة نقاط منهجية:

- إيلاء الاهتمام المناسب بموضوع العداوات في تدبر النص القرآني، باعتبار أن حجم الورد تصريحاً في اثنتين وتسعين آية، إضافة لمواضع عدة وردت بالمفهوم.^(١)
- إدراك أنواع تلك العداوات، وتقدير تأثير كل منها على مسيرة العُمران.
- فهم أنواع العداوات المقابلة في الواقع، من خلال مراكز مختصة بالأبحاث والدراسات.
- رسم الخطط الاستراتيجية لمواجهة كل من تلك العداوات حسب نوعها، من خلال مراكز مختصة.
- العناية بدراسة موضوع الجهاد من وجهة النظر الحركية، التي تربط بين النص القرآني والسيرة النبوية.

(١) ينظر: يحيى، محمد يحيى، مقال: العداوة والمعتدون في القرآن الكريم، أسيوط: مجلة كلية اللغة العربية، ١٩٩٠، ص ١٢٠.

ويناسب في هذا المقام الاستشهاد بحالات تجلت فيها مواجهة العداوة، الأول من القصص القرآني، والثاني من السيرة النبوية الشريفة.

في مشهد مواجهة عداوة يأجوج ومأجوج، في قصة ذي القرنين، ظهرت الآليات التالية: تحديد مصدر العداوة؛ وهي يأجوج ومأجوج، وتحديد مظهر العداوة؛ وهو الإفساد، وتحديد الوسيلة المناسبة لمواجهة تلك العداوة؛ وهي السد، والالتجاء للجهة الخبيرة القوية، وهو ذو القرنين، وتخصيص ميزانية للأمر، وتجنيد الطاقات والقدرات لتنفيذ الأمر، واستثمار الموارد الطبيعية المتاحة، وحسن اتباع القائد، وحسن الاتكال على الله، وكل ذلك من هدايات الآيات التي تروي القصة ﴿قَالُوا يٰذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا * قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَبْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۝ ٩٥ ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ أَنْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلُهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ [الكهف: ٩٤-٩٦].

وفي المرحلة المكية من السيرة النبوية ظهر الحذر باتجاهين؛ أولها داخلي، تجاه ما يوسوس في النفس، والثاني خارجي، تجاه عداوة الآخرين؛ أما الاتجاه الأول فهو الحذر من الشيطان وشركه، وتجلّى في التربية الإيمانية العقدية العميقة للمؤمنين، والتي استمرت ثلاثة عشر عاماً، من تاريخ السيرة النبوية، وكانت تهدف إلى صناعة الكيان النفسي للإنسان القوي الثابت باعتبار أن القوة الذاتية هي الدافع الأول لقوة الإنسان المسلم تجاه عداوة الشيطان، ونزلت في تلك المرحلة المعوذتان وغيرها من السور التي تؤسس العقيدة. وأما الاتجاه الثاني فهو الحذر من عداوة أقرب الناس المحيطين وهم قريش، مما دعا إلى وجود مرحلة دعوة سرية، تم فيها تشكيل القاعدة الصلبة (مفهوم الصفوة) للعُمران، ثم دعا إلى موضوع الهجرتين؛ إلى

الحبشة أولاً ثم إلى المدينة، حيث كان موضوع الهجرة إلى الحبشة هو نوع من مواجهة عداوة قريش بالابتعاد عنها نحو مصدر يحقق المنعة والحماية، ثم كانت الهجرة إلى المدينة نحو حاضنة تمنح المنعة والنصر من عداوة قريش، وتمكن ذلك الدين من الانطلاق نحو العالم للقيام بمهامه العمرانية في الأرض.

وفي المرحلة المدنية، وبعد إقامة أول دولة مسلمة، ظهر موضوع الحذر من عداوة البشر باتجاهات ثلاثة؛ الاتجاه الأول الحذر من العدو السابق وهو قريش مما دعى لوجود غزوات ومعارك معهم، وفق خطط مناسبة، والاتجاه الثاني هو الحذر من اليهود وفتنهم، الأمر الذي تجلّى بداية في تنظيم العلاقة معهم من خلال وثيقة رسمية، إلى جانب دعوتهم إلى الإسلام، وأمر بعض الصحابة بتعليم لغتهم^(١)، ثم اشتد الحذر منهم بعد ازدياد فتنهم، مما أوصل الأمر إلى المواجهة القتالية معهم، والاتجاه الثالث في الحذر من العداوة كان في مواجهة المنافقين، والذين لا يخلو عصر من وجودهم، وإن اختلفت مسمياتهم، ومظاهر نشاطهم، وأشكال تأثيرهم.

٦- تتبع خريطة الهداية في القرآن (الصراط المستقيم)

إن السعي باستقامة على الصراط المستقيم يضبط بوصلة المشروع العمراني، ويشكل آلية مناسبة للوصول إلى الهدف المنشود، لذا يحسن تحديد ملامح السير على الصراط المستقيم من خلال تتبع وروده في سياقاته، وقد سبق بيان ذلك لدى دراسة سياقات مسار القيام الفاعل عند دراسة المقاربات، وبناء عليه تُذكر الملامح الرئيسية لمسارات الصراط المستقيم، وبيان أهم المحطات التي تضبط المسير.

(١) قال زيد بن ثابت: رضي الله عنه: "أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أتعلّم له كتابَ يهودٍ قال إني والله ما آمن يهودَ على كتابي، قال: فما مر بي نصفُ شهرٍ حتى تعلّمتهُ له، قال: فلما تعلّمتهُ كان إذا كتُبَ إلى يهودَ كتُبْتُ إليهم، وإذا كتُبوا إليه قرأتُ له كتابهم" سنن الترمذي، ٢٧١٥، قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

- محطة الدعاء اليومي، وطلب الهداية من رب العالمين ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]
- محطة اليقين بالاستجابة، والتمسك بالمنهج ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]. ﴿هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٨]
- محطة الاطمئنان إلى دوام الهداية الربانية ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا ءَايَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [النور: ٤٦].
- محطة ثبات التوجه نحو القبلة ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْنَاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ١٤٢]
- محطة الاعتصام بالله خلال المسير ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١].
- محطة الانتماء للذين أنعم الله عليهم ﴿وَمِنْ ءَابَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَأَخَوَانِهِمْ وَأَجْتَبَيْتَهُمْ وَهَدَيْتَهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٨٧].
- محطة الاتباع الدائم للسبيل الحق ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْنَا بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]
- محطة التوكل على الله ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٦]

• محطة العدل ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [النحل: ٧٦]

• محطة النور والهداية ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المالك: ٢٢]

• إعداد خطة استراتيجية لإدارة التغيير (مفهوم التوبة الجماعية):

سبق البيان أن مفهوم التوبة الذي امتنَّ الله به على آدم عليه السلام وذريته، يعدّ بمثابة منهج للتغيير والتصحيح، سواء كان متعلقاً بالفرد أم بالمجتمع، يقول الكيلاني: "فالتوبة بمفهومها الشامل مراجعة وتقويم لكل ما هو قائم في ميدان الفكر والشعور والسلوك"^(١)، تلك المراجعة التي قد تبدأ في مجال الفرد، وحين ترتقي لتصبح تغييراً جمعياً، يحدث التغيير الرباني الشامل، بدليل قوله تعالى: ﴿... إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ...﴾ [الرعد: ١١]، وبناء عليه لا بد من وجود خطوات استراتيجية لتحقيق التغيير المنشود، تنطلق من الآليات المقترحة التالية:

• العمل على التحفيز للتوبة الفردية، التي حفلت الآيات الكريمة بالدعوة لها مثل قوله تعالى ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٤]، بمعنى إيجاد برامج إيمانية فكرية وجدانية تربوية تنموية، تحاكي النفس، وتدعو إلى مراجعة وتقويم ميادين الاعتقاد

(١) الكيلاني، ماجد، هكذا ظهر جيل صلاح الدين، مرجع سابق، ص ٣٤٢

والفكر والشعور والسلوك، وذلك عبر الوسائل المتاحة كافة، من المراكز والمؤسسات التربوية والبحثية والتعليمية، والتدريبية، والإعلامية، وغيرها.

● الاعتبار بما ورد في القصص القرآني حول الدعوة إلى التوبة الجمعية التي تستجلب الفضل والخير، وتتفاعل مع مقومات التقدم العمراني، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَن آسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَّعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ [هود: ٣]، وقوله: ﴿وَيَقُومَ آسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ [هود: ٥٢]

● القيام بمراجعة تربوية شاملة جريئة وصريحة وفاعلة، للموروث وللمناهج وللوسائل، تبدأ تلك الخطوة في نفوس الموجهين والمربين، بجرأة وقوة تمكنهم من التحرر من أغلال الثقافة السابقة، ومن آصار القيم والعادات التي يتبين أن فيها عيوباً، ثم القيام بفحص ذلك وتقويمه^(١).

● التوبة من الانهيار بالآخر، والإسراع فيها ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَىٰ اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ ۖ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾ [المائدة: ٥٢].

● الاستئناس بالمحطات التاريخية التي حصلت فيها مراجعة شاملة، فأثمرت نجاحاً وعمراناً، كمحطة جيل صلاح الدين، التي أطلق الكيلاني على حالتها (التوبة النصوح) في الفكر والقيم والسلوك، على يد رؤاد الإصلاح مثل الغزالي والجيلاني وغيرهم.^(٢)

(١) ينظر: الكيلاني، ماجد، هكذا ظهر جيل صلاح الدين، مرجع سابق، ٣٤١، ٣٤٢

(٢) ينظر: الكيلاني، ماجد، هكذا ظهر جيل صلاح الدين، مرجع سابق، ٢٤٣

المطلب الثاني - الآليات المادية للبناء العمراني في الرؤية القرآنية

إن الجانب المادي في البناء العمراني يتعلق بأمور ثلاثة؛ مسيرة الإنتاج في الأرض، ونوع ذلك الإنتاج، وحمايته، أما ذات المسيرة فإنها تعني الحركة التي تعمُر الأرض، وقد رآها النجار تتحقق بالمفهوم القرآني (النفير)، بشقيه العملي والجمعي^(١)، الذي يُعدّ امتداداً للنفير النفسي الذي سبق ذكره، وأما نوع الإنتاج فإنه يدخل ضمن مفهوم الفروض الكفائية، التي يتوجب على الأمة بمجموعها القيام بها^(٢)، وأما حماية الإنتاج فهي مرحلة ضمان الديمومة.

أولاً - النفير العملي:

قال تعالى: ﴿... فَأَنْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ أَنْفِرُوا جَمِيعًا﴾ [النساء: ٧١]، إن النفير الذي دعا الله تعالى له يشير إلى الجانب الحركي العملي المطلوب من الإنسان، وإن ذلك النفير العملي هو الذي تحقق في العهد الإسلامي الأول، فدفعهم أفراداً وجماعات لبناء الحضارة التي تحقق فيها قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ...﴾ [آل عمران: ١١٠]، أما عن كيفية بناء ذلك النفير، فقد بيّنه النجار بقوله: "النفير العملي أن يحدث في ذات الفرد تحقُّز في ملكته العملية، يصير به على استجابة عالية لتحويل الأفكار إلى عمل"^(٣)، بمعنى التحفُّز للحركة المنجزة، فالنفير العملي بهذا المفهوم يشكل الآلية الأولى

(١) ينظر: النجار، عبد المجيد، عوامل الشهود الحضاري، مرجع سابق، ص ٢٠٦، ٢١٠

(٢) فرض الكفاية كما عرّفه ابن السبكي: "هو مهم يقصد حصوله من غير نظر بالذات إلى فاعله"، ابن السبكي، ت ٥٧٧١، الجوامع، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٣٦/١ -- وقال الغزالي حول فرض الكفاية في العلم: "هو علم لا يستغنى عنه في قوام الدنيا، كالطب والحساب"، وقال حول فروض الكفاية في الصناعات: "إن أصول الصناعات أيضاً من فروض الكفايات، كالفلحة والحياكة والسياسة والخياطة"، الغزالي، إحياء علوم الدين، بيروت، دار ابن حزم، ط ١، ٢٠٠٥، ص ٢٤

(٣) النجار، عبد المجيد، عوامل الشهود الحضاري، المرجع السابق، ص ٢٠٧

لتحقيق البناء العمراني، ولا يمكن لهذا النفير العملي أن يحقق معناه إلا بتوفر عناصر ثلاثة؛ هي (التلقائية، والفاعلية، والغائية)، بمعنى أن يصدر الإنجاز العملي من المسلم تلقائياً، وأن يكون منجزاً عملاً، وأن يحقق غاية مقصودة^(١).

ثانياً - النفير الجمعي:

إذا نظرنا إلى من يحقق النفير العملي في لسان القرآن؛ نجد أن مادة (نفر) لم ترد في القرآن الكريم إلا في حال النهوض الجماعي لمهمات الأمور، كما في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ بَعَصَرٍ جَمِيعًا﴾ [النساء: ٧١]، حيث وضَّح صاحب المنار دلالة الجماعة بقوله: " فانفروا سرايا وطوائف على قدر الحاجة، أو نفيرا عاماً"^(٢)، يتبين لنا أهمية آلية " النفير الجمعي" بمعنى الشراكة الجماعية للنهوض العُمراني، التي تتحقق بوجود عناصر ثلاث؛ أشار لها النجار بمصطلحات: (الولاء الجمعي، الطوعية الجمعية، التنادي الجماعي)، أي أن يشعر الفرد المسلم أنه ينخرط بإنجازاته الفردية ضمن محيط أمته، وأن عمله يندرج ضمن عمل شامل، وأنه يستجيب طوعية لسلطة الهيئة الاجتماعية، وأن يحث بعضهم بعضاً على الإنجاز، وإن تلك العناصر تظهر في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَتْهُمْ بُيُوتٌ مَرَصُوصَةً﴾ [الصف: ٤]، كما أنها تشكل معادلة حضارية تحاكي المعادلة القرآنية التي أشارت لمفهوم (التواصي)، والتي وردت في سورة العصر ﴿وَالْعَصْرِ ۝ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ١-٣].^(٣)

(١) ينظر: النجار، عبد المجيد، عوامل الشهود الحضاري، المرجع السابق، ص ٢٠٦ - ٢٠٨

(٢) رضا، تفسير المنار، ٢٠٦/٥

(٣) ينظر: النجار، عبد المجيد، عوامل الشهود الحضاري، مرجع سابق، ص ٢١٠ - ٢٢٥

ثالثاً - إقامة فروض الكفاية:

إذا ارتفع مستوى غليان النفير احتاج إلى وجود قنوات توجّه مساره، حتى تكون حركته فاعلة وآمنة، لذا كان من الضروري وجود بصيرة استشرافية ترصد احتياجات المجتمع، من المشاريع العمرانية المبنية على الفروض الكفائية، وتوزع المهام على الناس وفق مواهبهم وقدراتهم، وتخطط لذلك تخطيطاً استراتيجياً وتشغيلياً^(١).

وإن غياب الفروض الكفائية أو ضعفها، أو الخلل في توزيعها على الناس - فضلاً عن الإثم الذي يحيط بكافة أفراد الأمة - يؤدي إلى وجود فجوة بين الدين وبين عجلة الحياة، مما يقود إلى الاحتياج للآخر في ضرورات الحياة وكمالياتها، ويؤدي إلى علوّ الآخر وسيطرته، كما يؤدي إلى تعثر الدعوة إلى الله.

ولقد أشار الغزالي قديماً لمفهوم الفروض الكفائية بقوله: " فلا يتعجب من قولنا: إن الطب والحساب من فروض الكفايات، فإن أصول الصناعات أيضاً من فروض الكفايات، كالزراعة والحياسة، والسياسة، بل والحجامة، والخياطة"^(٢)، ثم توسّع فيها الفقهاء فيما بعد، فضمت المجالات الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، والمعرفية، والتكنولوجية، والبيئية^(٣)، وهذا مما يدل على أن تلك المجالات العملية هي من الدين، وتتسع لها دلالات الآية الكريمة ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ

(١) التخطيط الاستراتيجي يهتم بالأهداف العامة طويلة المد، وهو من مهام الجهات العليا في المنظمات، بينما التخطيط التشغيلي يهتم بالخطط التنفيذية قصيرة الأمد، وهو من مهام الإدارات، ينظر: عضيات، ولاء، مقال: الفرق بين التخطيط الاستراتيجي والتخطيط التشغيلي، موقع عربي الإلكتروني، ٢٠٢٠م، ١٥/٣/٢٠٢٠م، تاريخ الزيارة ٢٠٢١/٧/٨م.

(٢) الغزالي، إحياء علوم الدين، مرجع سابق، ص ٢٤

(٣) ينظر: بافضل، أحمد صالح، الفروض الكفائية سبيل التنمية المستدامة، الدوحة: وزارة الوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر، ٢٠١٤م، ص ١٧، ١٦.

لِيَنْفِرُوا كَأَفْئَةٍ فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ [التوبة: ١٢٢]، ويتم تناول الموضوع من خلال عدة محاور: (تحقيق الاكتفاء الذاتي، والتنمية المستدامة، ومراعاة ففقه الأولويات).

١ - تحقيق الاكتفاء الذاتي:

في قراءة معاصرة لفروض الكفاية رأى جمال عطية^(١) أن تحقيق الاكتفاء الذاتي في الأمة هو ما يمثل تلك الفروض، ورأى أن ذلك الاكتفاء يكون في المجالات الاقتصادية، والعلمية، والتدريبية، والمالية والمصرفية، والتجارية، وغيرها، وأنه يبدأ بالضروريات من زراعة وصناعات لمطالبات الغذاء والملبس والمسكن والصحة والتعليم، بما يكفل الاستقلال الاقتصادي للأمة، وفي دراسة للسيد مراد سلامة حول دور فروض الكفاية في النهضة رأى أن مجتمع العمران رهين بإحياء الواجب الكفائي^(٢).

وفي عودة إلى مقوم العمران الأول وهو التسخير، يتضح أن جميع الموارد الطبيعية مسخرة للانتفاع بها وإقامة المشاريع الاقتصادية، بمختلف مجالاتها، وأنه يتحقق الاكتفاء الذاتي بها بمقدار حسن التفاعل البشري المناسب معها، المتناغم مع مقومات التسخير البشري، أي بمقدار حسن تفعيل المقوم الثاني، وهو التمكين،

(١) عطية، جمال، مقال: قراءة معاصرة لفروض الكفاية، موقع رابطة العلماء السوريين الإلكتروني، ١٣/٦/٢٠٠٤م، تاريخ الزيارة ٢٧/٦/٢٠٢١م.

(٢) مراد سلامة، السيد، مقال: فروض الكفايات ودورها في نهضة المجتمعات، موقع شبكة الألوكة، الإلكتروني، ٢٠١٧/٢/٧، تاريخ الزيارة ٢٧/٦/٢٠٢١م.

لذا تدعو هذه الدراسة إلى النظر في الآيات التي تذكر النعم المسخرة نظرة عميقة؛ تهتدي إلى المشاريع التي يمكن تطبيقها في الواقع^(١).

لقد ورد في الخطاب القرآني ما يمكن عدّه إشارات لمشاريع: (زراعية، وغذائية، وبنائية، ومشاريع مواصلات، وحماية، وغيرها)، فمن الإشارات للمشاريع الزراعية قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ...﴾ [الأنعام: ١٤١]، ومن الإشارات للمشاريع الغذائية قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى آلَافَكَ مَوَاحِرِفِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ۚ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٤]، وقوله تعالى: ﴿... فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرًا مَعْرُوفًا لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الحج: ٣٦]، وكذلك مما يشير للمشاريع الصناعية المتعلقة بالملبس ﴿... وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَبِيلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ وَسَرَبِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ ...﴾ [النحل: ٨١]، والمرتبطة بالزينة والحلي ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ...﴾ [النحل: ١٤]، أو المتعلقة بالحماية ﴿... وَالنَّارُ لَهُ الْخَدِيدُ ۖ أَنْ أَعْمَلَ سَبِغَتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرَدِّ وَأَعْمَلُوا صُلْحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [سبأ: ١٠-١١]، ومن الآيات التي تشير للمشاريع البنائية التي تستثمر الموارد الطبيعية باحترافية قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمِئَةً إِلَى حِينٍ﴾ [النحل: ٨٠]، وتستثمر الحديد ﴿إِنِّي زُبَرَ الْحَدِيدَ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا

(١) ترى الدراسة أن اعتبار الآيات التي تذكر النعم المرتبطة بحاجات الإنسان يبني عليها مشاريع عملية، ضرورة لتحقيق التقدم المادي، والاكتفاء الذاتي، ومقدمة للسيادة.

حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ [الكهف: ٩٦]، وتحقق السكن ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ يُبُوتِكُمْ سَكَنًا...﴾ [النحل: ٨٠]، وتبني باتقان ﴿...كَانَتْهُمْ بُيُوتٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤]، ومشاريع المواصلات، سواء منها البحرية ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الجاثية: ١٢]، أو المواصلات البرية ﴿لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ [الزخرف: ١٣]، إضافة إلى مشاريع الاتصالات التكنولوجية التي أشارت لها آية ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ [الطارق: ١١]،

تلك الخاصة التي فهمها الغرب، وبنى عليها مشاريعه التكنولوجية الحديثة.

وحتى تنجح تلك المشاريع يلزم أن يقوم بها من سُخِّرَ لها من البشر، حسب وسعه وفقاً لما آتاه الله من مواهب، وفي ذلك قال الشاطبي ما يدل على أنَّ مواهب الناس مختلفة، وقدراتهم في الأمور متباينة ومتفاوتة، فهذا قد تهيأ للعلم، وهذا للإدارة والرئاسة، وذلك للصناعة والزراعة، وهذا للصراع، والواجب أن يُرَبَّى كل امرئ على ما تهيأ له، حتى يبرز كل واحد فيما غلب عليه ومال إليه، ... وبذلك يرى لكلٍ فعل هو فرض كفاية قوم^(١)، وهذه المعاني تصلح أن تكون من هدايات قوله تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا وَرَحِمَتْ رَبُّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣٢].

(١) ينظر: الشاطبي، أبو اسحق، ت. ٦٩٠هـ، الموافقات في أصول الشريعة، بيروت: دار المعرفة، ط. ٢، ١٩٧٥ م،

٢- تحقيق التنمية المستدامة:

سبق بيان معنى التنمية المستدامة في الهدي القرآني، ومدى ارتباطها بالمنظور العالمي،^(١) ويصلح في هذا المقام الاستشهاد بمشاهد من قصة قرآنية، يتجلى فيها معنى التنمية المستدامة من خلال ممارسة فرض كفاي؛ إنها مواقف يوسف عليه السلام خلال ممارسته لمهام عزيز مصر، كوزير للاقتصاد، كما تبين في الآية الكريمة ﴿قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥]، حيث وضع خطة لتوفير الغذاء للمستقبل، وتفادي الأزمات قبل وقوعها، ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعَ شِدَادٍ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ ٤٨ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعَصِرُونَ﴾ [يوسف: ٤٧-٤٩].

وإن آية الاستدامة المنشودة في المشروع العمراني ترتكز على خمسة مبادئ قرآنية، تقابلها مثلها بيئية:^(٢)

المبدأ الأول - الهدي الفطري: ينطلق هذا المبدأ من الآية الكريمة ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: ٥٠]، التي قال فيها سيد: "كل الكائنات تعمل منفردة ومجموعة داخل إطار النواميس المودعة في فطرتها وتكوينها"^(٣)، وهذا يقابله في مبادئ الاستدامة مبدأ (الفطرة)، ويعني: [الحد من الفوضى في الكون، وضمان تدفق الموارد من خلال الاقتصاد، بالقدر الذي تسمح به قوانين الفيزياء] .

(١) سبق البيان في مطلب مسيرة الإنتاج، من مبحث المجالات، ص ٢٥٢-٢٥٤.

(٢) ينظر: الجيوسي، الإسلام والتنمية المستدامة، مرجع سابق، ص ٢٦ - ٢٨، بتصرف.

(٣) سيد، في ظلال القرآن، ٤/٢٣٣٨.

المبدأ الثاني - الميزان: يتمثل هذا المبدأ في قوله تعالى ﴿أَلَا تَطْعَمُوا فِي الْمِيزَانِ﴾ الرحمن، وهذا يقابله في مبادئ الاستدامة (احتساب خدمات النظام البيئي)، الذي يعني: [اعتماد نظام مناسب للمحاسبة، يتماشى تماماً مع العمليات البيئية على كوكب الأرض، ويعكس عملية تسعير حقيقية وشاملة لتوجيه الاقتصاد].

المبدأ الثالث - أمة أمثالكم: تمثل هذا المبدأ آية ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨]، ويقابله من مبادئ الاستدامة (احترام جميع اشكال الحياة)، ويعني: [ضمان المحافظة على التنوع الضروري لجميع اشكال الحياة في المحيط الحيوي].

المبدأ الرابع - الأمة الوسط: قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ...﴾ [البقرة: ١٤٣]، ويقابله مبدأ (تشجيع دور مجتمع عالمي إنساني)، ويعني [زيادة درجة الحرية، وتعزيز مبدأ إدراك الذات لجميع البشر، إلى أقصى حد، دون أن يؤثر أي فرد أو مجموعة على الآخرين].

المبدأ الخامس - تناغم الكون - التسبيح: يظهر هذا المبدأ من قوله تعالى ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ...﴾ [الإسراء: ٤٤]، ويقابله مبدأ (فهم سيمفونية الحياة)، ويعني: [الإقرار بسلاسة وديناميكية تسلسل الحكمة والحب والطاقة التي تربط الحدود الخارجية للكون مع نظامنا الشمسي، وكوكبنا والمحيط الحيوي، بما في ذلك جميع البشر، مع أنظمتنا الأيضية الداخلية].

٣- مراعاة الأولويات

إن الاهتمام بالفروض الكفائية خلال المسيرة العمرانية يثمر أكثر كلما كانت الأولويات مراعاة، ومما يعين على فقه الأولويات ترتيب المقاصد الشرعية، (الضروريات، والحاجيات، والكماليات)، وقد عاب الخطاب القرآني على قوم اهتموا ببناء الأبنية التي لا فائدة منها سوى المباهاة والعبث ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ﴾ [الشعراء: ١٢٨]، بل عاب عليهم بناء مصانع لم تحقق مصلحة من المصالح، بل أدت إلى مفسدة ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ وإذا بطشتم بطشتم جبارين﴾ [الشعراء: ١٢٩-١٣٠]، كما نعى المجتمع الذي كان أولو الأمر فيه يسمحون بتشديد القصور والإسراف على الكماليات، بينما غاب العدل فيه ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَمِنْهَا خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَبْنَؤُ مُعْطَلَةٌ وَقَصْرٌ مَّشِيدٌ﴾ [الحج: ٤٥]، في حين أشاد بأقوام رشدوا الاستهلاك ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧]، ومدح قوماً قدموا الإيمان والعلم، وبنوا سلوكهم على علم ﴿... يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ...﴾ [المجادلة: ١١].

رابعاً - حماية المنجزات وديمومتها

يحتاج تحقيق بقاء المنجزات العمرانية وديمومتها إلى آلية تحمي المكتسبات والإنجازات، وإن الآلية المقترحة تتمثل في رباعية: (مراعاة الزمان، وحماية المكان، والقوة الدافعة، والقوة الرادعة)، وإن هذه الرباعية مستخرجة من مفاهيم قرآنية، ستظهر فيما سيأتي.

١ - مراعاة الزمان:

لقد حفل الخطاب القرآني بالتنبيه لموضوع الزمن خلال مسيرة العمران، منذ قوله في قصة الاستخلاف ﴿... وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتْعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [البقرة: ٣٦]، وحتى قسمه تعالى في سورة العصر بالزمن في سياق التنبيه والتحذير والتوجيه ﴿وَالْعَصْرِ﴾ [العصر: ١]، مروراً بمواضع عدة ذكرت الزمن، في مواضع القسم والتنبيه والتحذير والتسخير، ومما يجدر ذكره في هذا المقام أمرين؛ الأول يتعلق بتوقيت الزمن الذي يحدث فيه الإنجاز، والثاني نوعية الإنجاز خلال الزمن، أما الأول فإن الزمن المناسب للعمل والإنجاز هو النهار، حيث قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [غافر: ٦١]، وقال: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ [النبا: ٩-١١]، فالأمة التي تسعى للعمران وتريد أن تحافظ على منجزاتها هي التي تستثمر النهار بالحركة والإعمار، وتسكن في الليل، وإن الواقع يشهد بذلك، فقد ورد في دراسة متخصصة: "مما تتميز به الدول المتقدمة، تنظيم حياتها الاجتماعية، والعناية بالنوم المبكر، وعدم السهر إلا في وقت الإجازات"^(١)، والأمر الثاني يتعلق بطريقة استثمار ذلك الزمن، الأمر الذي وضحته سورة العصر أيضاً، من خلال ثلاثية: بناء الإنسان: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، ومسيرة الإنتاج: ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، ونظام حماية الإنجازات: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾.

(١) الحازمي، عبد الرحمن، وآخرون، السهر بين المحاذير الشرعية والمخاطر الصحية والاجتماعية، الرياض: الجزيرة (com)، موقع الكتروني، ٢٧/٧/٢٠٢١ م.

٢ - حماية المكان:

إن الأرض - كل الأرض - مسرح للفعل الإنساني باتجاه العمران ﴿... وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرًّا وَمَتْنًا إِلَى حِينٍ﴾ [البقرة: ٣٦]، ولكن الفعل العمراني بمفهومه الجمعي يحتاج مكاناً محدداً، ليؤسس المنظومة العمرانية المعنوية والمادية المرجوة، لذلك قصد ابراهيم عليه السلام المكان المناسب للمهمة المقصودة ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ ...﴾ [إبراهيم: ٣٧]، ثم توجه بدعائه يرجو المقومات التي تحفظ المكان، وتقود للهدف، فطلب الاجتماع البشري المتآلف ﴿فَأَجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ [إبراهيم: ٣٧]، وطلب الرزق المادي ﴿وَأَرْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرِ﴾، ثم رجا المنهج الذي يدفع لإحسان التفاعل مع تلك النعم، ويمكن من تحقيق الهدف ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾.

وقد عدّ مالك بن نبي (التراب) العنصر الثاني من عناصر الحضارة، في معادلته الشهيرة: الإنسان + التراب + الوقت = الحضارة، إذ عدّ التراب يمثل الأرض بما فيها من ثروات طبيعية، ويرمز للمكان بما يحتاجه من سيادة، وأن ذلك التراب يحقق دوره الحضاري كلما كانت ثرواته أكثر، وكلما كانت سيادة أصحابه عليه أكبر.^(١)

وفي سيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام ظهرت أهمية المكان، حين تمت هجرته المكانية إلى المدينة، إلى حيث توفرت عناصر الإيواء والنصرة، ثم تجلّت تلك الأهمية في إرسائه لمنظومة عمرانية شاملة في المكان ذاته، تمثلت بالنظم السياسية، والتربوية، والتعليمية، والهندسية، والقضائية، والاقتصادية، والإعلامية، والدفاعية التي تقوم بالدود عنه وحمايته، الأمر الذي وضّحته مسارات الغزوات

(١) ينظر: ابن نبي، مشكلات الحضارة، مرجع سابق، ص ١٣١-١٣٦

والسرايا^(١)، والذي أكّدت عليه إجراءات التصدي لليهود والمنافقين، وذلك كلّه باعتباره حاضناً للرسالة، ومستقراً لصناعة العُمران.

٣- القوة الدافعة

قال تعالى: ﴿... وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١] ، مما يدل على أن استمرار المنظومة العمرانية - خلال وبعد قيامها - يحتاج إلى قوة تستمر بالدفع، تستمد طاقاتها من دوام يقظة جميع مكونات المجتمع، ومن استمرار حركتها باتجاه الإصلاح، وهو ما يبدو في قوله تعالى: ﴿وَلَتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، إنهم يفلحون لأنهم يمارسون الدعوة إلى الخير دوماً، ويواظبون على إرساء النظم الإصلاحية، ومقاومة مناهج التدمير والإفساد، ولأنهم يقومون بذلك بشكل فردي وجمعي، ولا يتفرقون، ولا يختلفون، وإلا فإن العاقبة تكون انهيار المنظومة العمرانية، الأمر الذي حذر الله منه في قوله تعالى ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥]

إن فاعلية تلك الحركة اليقظة تحتاج إلى عدة مقوّمات، منها:

٤- القوة الرادعة

لما تبين سابقاً دور العداوات في إعاقة العُمران^(٢)، وأهمية الحذر منها خلال مسيرة الإصلاح، وضرورة دوام الحذر من أجل الدفاع عن المشروع وحمايته، كان لا بد من وجود قوة تردع العدوان قبل حصوله، وتصدّه في حال تطاوله، لذلك نبّه الخطاب القرآني للأمر في منظومة جهادية متكاملة، تناولت المراتب الجهادية التربوية

(١) الغزوات والسرايا لم تكن مهمتها دفاعية فقط، وإنما تم التخصيص في هذا المقام، لما يناسب الموضوع.

(٢) ذكر ذلك في مطلب الحذر من العداوة، في مبحث المقوّمات، ص ١٥٥.

والتنظيمية والبنائية من جهة، من ذلك قوله تعالى ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ...﴾ [الأنفال: ٦٠]، إنه الإعداد لجميع أنواع القوى المعنوية والمادية؛ التي تبدأ بالعلم والمعرفة ﴿اقْرَأْ..﴾ [العلق: ١]، وتنتهي عند البأس والحديد ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥].

وركزت على الجهاد العسكري، من جهة أخرى، فبيّنت أهمية القتال، وضروراته، ومجالاته.

خلاصة مبحث آليات العمران في الرؤية القرآنية

آليات العمران

تعريفها - مكوناتها

الوسائل والإمكانات المحركة والدافعة لتحقيق البناء العمراني وفق الرؤية القرآنية.

الآليات المادية للبناء العمراني في الرؤية القرآنية

مسيرة الإنتاج في الأرض، ونوع ذلك الإنتاج، وحمايته.

- النفير العملي

- النفير الجمعي

- إقامة فروض الكفاية

(تحقيق الاكتفاء الذاتي، التنمية المستدامة، مراعاة الأولويات)

- حماية المنجزات وديمومتها

(مراعاة الزمان، حماية المكان، القوة الدافعة، القوة الرادعة)

الآليات المعنوية للبناء العمراني في الرؤية القرآنية

خلق النفير النفسي بعنصره الفكري والوجداني، للفرد والمجتمع.

- تعميق وتوجيه الصلة بالوحي

- تعميق الصلة بالكون

- تنمية المؤهلات المعنوية لإنسان العمران (فردا ومجتمعا)

(رعاية: "التربية والتعليم، علم النفس، قيم الأسرة"، صناعة كيان جمعي، المواجهة الواعية للعداوات، تتبع خريطة الهداية " الصراط المستقيم"، إعداد خطة استراتيجية لإدارة التغيير)

المبحث الثالث: ثمرات البناء العمراني في الرؤية القرآنية

يهتم هذا المبحث بالنتائج المتولدة من إقامة بناء المشروع العمراني، وفق المنظور القرآني.

ويحسن التنويه أنه لا يمكن التوقع أن يقام البناء العمراني بشكل نهائي، لأن الأمر سعي متواصل، كما تبين في تعريفه سابقاً (السعي إلى إصلاح الأرض ... الخ)، فهو خاضع للسنن الإلهية كالاختلاف والتدافع والابتلاء، مما يجعل تحقيق الأمر مذبذباً بين الارتفاع والانخفاض.

يتم الاستدلال على الثمرات باتجاهين، الأول تأسيسي، وهو بالربط مع المفاهيم القرآنية ذات العلاقة مع مفهوم العمران، والثاني تطبيقي، بناء على اكتشاف أثره في الواقع المعاش.

المطلب الأول - ثمرات البناء العمراني التأسيسية

إن قيام البناء العمراني سيظهر في تحقق بعض المفاهيم القرآنية، المقاربة لمفهوم العمران .

أولاً - الاستحقاق الاستخلافي:

إن أهم ثمرة من ثمرات إقامة العمران هو الاستحقاق الاستخلافي، واستحقاق الرضا الإلهي، بمعنى القيام بما أراده الله تعالى في قوله: ﴿... إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً...﴾ [البقرة: ٣٠]، وذلك من خلال تحقيق مشروع الاستعمار الذي تم التكليف به في قوله تعالى ﴿... هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا...﴾ [هود: ٦١]، والذي يتجلى في جميع مجالات الإصلاح في الأرض، المادية والمعنوية، وقد تمّ تفصيلها في الدراسة، هذا بالإضافة إلى استحقاق آخر، هو استخلاف الأمة في الأرض، بعد استخلاف غيرها قبلها

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ
كَمَا أَسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ...﴾ [النور: ٥٥]، يلاحظ أن هذه الثمرة
تخص الكيان الجمعي، وتشمل المجالات المادية والمعنوية، وأنها وعد إلهي،
وعطاء منه وتمكين، لمن حصل الأسباب.

ثانياً- الإنشاء

إن إنشاء الأمم، عطاء رباني لمن قدم الأسباب، وسار في طريق العمران، وذلك
بدليل قوله تعالى ﴿... وَأَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخِرِينَ﴾ [الأنعام: ٦]، وقد تم
التأكيد عليه في أكثر من موضع، مثل قوله تعالى: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْنَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً
وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخِرِينَ﴾ [الأنبياء: ١١]، وقوله: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا
ءَاخِرِينَ﴾ [المؤمنون: ٣١]، وقوله: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخِرِينَ﴾ [المؤمنون:
٤٢]، وإن تعلق الإنشاء الرباني بالأمم يدل على أنه يخص الكيانات الجمعية فقط،
وذلك باعتباره إنشاء معنوي، ولكنه داعم لقيام البناء المادي.

ثالثاً - الصلاح

إن صلاح الأرض مادياً ومعنوياً، وفردياً وجمعياً هو من ثمرات العُمران، التي
تحدث بفضل الإصلاح، فالإصلاح هو مسيرة درب العُمران، وهو مراد الله، وهذا ما
يدرك من النهي عن الفساد، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا
...﴾ [الأعراف: ٥٦]، إذن من ثمرات العُمران أن تصلح الأرض، وأن يؤول الفساد إلى
الزوال، ذلك الفساد الذي ذمّه الله تعالى في أكثر من موضع، منها قوله تعالى ﴿...
وَأَحْسَنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧]، في حين يُحمد الصلاح والصالحون، بل ويكافؤن بوراة
الأرض ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾

[الأنبياء: ١٠٥]، وبالتمكين فيها، كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ ... وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ...﴾ [النور: ٥٥]، وكما سيتبين في الثمرات التالية.

رابعاً - التمكين:

إن التمكين المقصود هنا هو التمكين النهائي، الذي يتمثل في عطاء إلهي مكافئ لأفعال قدمها الإنسان، وابتلاءات نجح فيها، خلال مسيرته الإيمانية العمرانية، ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا...﴾ [النور: ٥٥]، وإن هذا التمكين يحصل لهم على الرغم من وجود العداوات حولهم، وعلى الرغم من قوة تسلط تلك العداوات ﴿وَنُمَكِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ [القصص: ٦]، يلاحظ أن هذه الثمرة تخص الكيان الجمعي والفردى، وأنها تشمل المجالات المادية والمعنوية، وأن العلة في ذلك العطاء الرباني هو سيرهم في مسالك العُمران، وقيامهم بالأعمال الصالحة، كما سبق ذكره في الثمرة السابقة.

خامساً - الوراثة

يدلّ قوله تعالى ﴿أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، على أن الوراثة ثمرة مترتبة على الصلاح الذي هو ثمرة عن إقامة العُمران - كما سبق بيانه -، وأن تلك الوراثة تحدث تبعاً للمشيئة الربانية ﴿... إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ سَوَاءً ۗ وَالْعُقَبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨]، كما حدث ذلك مع قوم موسى عليه السلام عندما كانوا مستضعفين، صابرين، فأورثهم الأرض بعلّة الصبر على الظلم والاستبداد الفرعوني، وعلّة المسير تجاه تحقيق العُمران باتباع موسى عليه السلام

حينها ﴿وَأَوْزَنَّا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمِغْرِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا...﴾ [الأعراف: ١٣٧]^(١)، كما تشهد السيرة الشريفة على ذلك، فعندما كان المجتمع المسلم الأول يسير باتجاه تحقيق العمران، وخصوصاً في مجال الحذر من العداوة ومواجهتها، نالوا العطاء الرباني، فاورثهم الأرض ﴿وَأَوْزَنَّاكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيرَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطْوَاهَا...﴾ [الأحزاب: ٢٧]^(٢)، يلاحظ أن هذه الثمرة تخص الكيان الجمعي، وأنها تشمل المجالات المادية.

سادساً - الرفعة

لما كان العمران يدل على العلوّ ويحققه، كانت ثمرة الارتفاع مؤكدة من البناء العمراني، بدليل قوله تعالى: ﴿... يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١]، حيث إن الأمة التي تمكنت من تحقيق العمران تكون قد حققت شرطي الإيمان والعلم، لأنهما من المقومات الأساسية له، لذا فهي موعودة بارتفاع المكانة المعنوية، لكل من الكيان الجمعي والفرد فيهما.

سابعاً - الظهور

تأتي هذه الثمرة مكتملة للثمرة السابقة، ألا وهي الارتفاع، لأنها تدل على علو مع غلبة ونصر، ولما كان تحقيق العمران يبني على تطبيق الدين الحق، والدين الحق

(١) قال صاحب المنار عن هذا الميراث: "تعدد في القرآن التعبير عن استخلاف الله قوما في أرض قوم بالإيراث، أي وأعطينا القوم الذين كانوا يستضعفون في مصر بما تقدم بيانه جميع الأرض التي باركنا فيها بالخصب والخير الكثير، مشارقها من حدود الشام ومغاربها من حدود مصر تحقيقاً لوعدنا" المنار، ٨٥/٩

(٢) يقصد بهذه الآية غزوة بني قريظة، التي انتهت بنصر المؤمنين، ووراثتهم لأرض بني قريظة وديارهم، وأموالهم، والوعد بوراثة أرض أخرى في المستقبل، اختلف في تحديدها، ينظر: ابن هشام، ت ١٥٠هـ، السيرة النبوية، تحقيق: جودة، محمد جودة، القاهرة: دار ابن الهيثم، ط ١، ٢٠٠٦م، ص ١٢٦

مصيره الظهور، كانت الأمة التي تحققه موعودة بالظهور، وذلك بناء على ما أخبرنا به تعالى في أكثر من موضع بجملة ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣] وقد ورد الظهور ثلاث مرات في سور (التوبة، والفتح، والصف)، وجاء تأكيد في قوله تعالى ﴿... حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَرِهُونَهُ﴾ [التوبة: ٤٨]، وإن هذا الظهور يتعلق بقضايا معنوية ومادية تخص الكيان الجمعي، بما يبشر بالغلبة والنصر، والارتفاع في سلم الحضارات.

المطلب الثاني - ثمرات البناء العمراني التطبيقية:

في هذا المطلب يتم استشراف ملامح الواقع في الأمة المسلمة، إن أقامت المشروع العمراني، ويتم بيان أثره عليها وعلى العالم، وهي مؤسسة على فرضية حسن استثمار المقومات، ومقاومة المعوقات، وحسن تطبيق الآليات، في المجالات السليمة، وفق السنن الإلهية، والقيم الإيمانية، وسيتم إدراجها بترتيب إدراج المقومات والآليات ذاته، المنطلق أساساً من الترتيب القرآني في إيرادها. وإن عرض هذه الثمرات إذ يستشرف الواقع؛ فهو ينطلق أيضاً في هذا الاستشراف من نتائج الدراسة السابقة التي بنيت على تأمل الآيات وتدبرها، وتأمل ما ورد من دراسات حولها.

أولاً - تحقق وجود إنسان العمران

لما كان مجال البناء العمراني الأول هو صناعة إنسان العمران (فرداً ومجتمعاً)، ذلك الإنسان المؤمن المتوازن صاحب القدرات والمهارات المستثمرة - كما سبق ذكره -^(١)، فإن أهم ثمرة للمشروع العمراني تظهر في الواقع هي تحقق نسبة بشرية في الأمة قادرة على الحفاظ على كيان المشروع العمراني، والوقوف في وجه

(١) سبق ذكره في مبحث المجالات، ص ٢١٩

التحديات الداخلية والخارجية المستمرة في مسيرة الاستخلاف، وقد أشار لهذا المعنى ماجد الكيلاني، حين استنبط من آيات الغلبة المذكورة في سورة الأنفال النسبة الفاعلة والمؤثرة في المجتمع، حيث قال: "يجعل القرآن الكريم لهذه النسبة حدين اثنين: حداً أعلى يقوم على العزيمة، وكمال التربية والإعداد، وهو أن تبلغ نسبة المؤمنين إلى غير المؤمنين: واحد إلى عشرة، ﴿... إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ...﴾ [الأنفال: ٦٥]، وحداً أدنى يقوم على الرخصة، ويراعي الضعف في بنية المؤمنين التربوية وهو واحد إلى اثنين ﴿الَّذِينَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ ...﴾ [الأنفال: ٦٦]"^(١)

ثانياً - صلاح الكون:

إن صلاح الكون يأتي من إصلاح العلاقة معه، وتشمل حسن علاقة "إنسان العُمران" مع مخلوقات الله جميعها، في السموات، وفي الأرض، من بشر وغيرهم، ويأتي من قراءة تلك المخلوقات قراءة انتفاع واستثمار، إلى جانب قراءة الاستدلال والاحتجاج والامتنان، مما يؤدي إلى تحقيق الاستفادة الممكنة من كل العناصر المسخرة، كلاً حسب طبيعته ومواصفاته التي جُبل عليها، ووظائفه التي خُلق لها، وهذا يعني حصول عمق إدراك للسنن الكونية، وما يتبعها من قوانين الفيزياء والكيمياء والفلك وغيرها، وبالتالي التمكن من العلوم الطبيعية الشاملة، وما يدعمها من علوم أخرى، وهذا ينبني عليه عدة أمور:

- تحقيق التفوق العلمي المادي في العالم.
- الاكتفاء الذاتي، والاستغناء عن الآخر في مقومات الحياة.

(١) الكيلاني، ماجد، هكذا ظهر جيل صلاح الدين، مرجع سابق، ص ٢٥٣

- إمكان تحقيق السيادة، واستقلال القرار، بسبب عدم الحاجة للآخر.
- ازدهار الاقتصاد، بسبب استثمار كافة الثروات.
- إمكانية نفع العالم في ضروريات حياتهم وفي حاجياتهم، وفي الكماليات أيضاً.
- مقومة الفساد والإفساد المادي في العالم.
- ارتفاع فرص نجاح الدعوة إلى الله في العالم، بسبب نفعهم قبل دعوتهم.

ثالثاً - الازدهار العلمي:

وهذه الثمرة تأتي بسببين رئيسيين: الأول تعديل منهج التفكير، بالربط بين القراءتين؛ كتاب الله المسطور، وكتابه المنظور – كما ذكر في الفقرة السابقة - والثاني الاستثمار الأمثل للمؤهلات المودعة في ذات الإنسان – كما ذكر في الفقرة الأسبق -، إضافة لعناصر كثيرة مساعدة، وهذه الثمرة ترتبط مع السابقة، التي تتعلق بتصحيح النظر للكون، ارتباطاً ثنائياً، فهي انعكاس لها أولاً، ومؤثرة فيها ثانياً.

رابعاً - تعديل النظر لمقاصد الأسرة:

إن تخصيص الأسرة بثمرة من ثمرات العمران، يأتي لسببين: الأول ما تبين في هذه الدراسة من دور الأسرة في تحقيق الاستخلاف، ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ...﴾ [البقرة: ٣٥]، وبالتالي دورها في مشروع العمران، والثاني دورها المؤثر في مؤسسات المجتمع، ولكونها اللبنة الأولى في البناء الجمعي ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً...﴾ [النساء: ١] لذا فإن هذه الدراسة تقترح تعديل النظر لمقاصد الأسرة، بمعنى الانتقال من الجزئيات إلى الكليات، أي توسيع النظرة من مقاصد التكاثر والتعفف والتحصين والاستمتاع - وغيرها مما يذكر في كتب الفقه والمقاصد - إلى

المقصد الرسالي الكبير، الذي يجعل من قضية السكن والمودة والرحمة ركائز أساسية داعمة لدور الأسرة في الاستخلاف، من خلال مشروع العمران، باعتبار أن المقاصد الأخرى لا تحقق هدفها المرجو، ولا تؤدي دورها في العمران إن لم تنضو تحت عناصر (السكينة والمودة والرحمة)، وإن ترسيخ هذا الأمر ينعكس على كثير من الأمور التربوية والتعليمية والاجتماعية والفقهية.

خامساً - الانتصار على الأعداء:

تتحقق هذه الثمرة نتيجة تفعيل مقوم الحذر من العداوة، من جهة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَآَنفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ ءَنفِرُوا جَمِيعًا﴾ [النساء: ٧١] ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ وَآَحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا ءَلْبَلُغُ ءَلْبَيْنٍ﴾ [المائدة: ٩٢] وتحقيق الازدهار العلمي، والتفوق المعرفي، من جهة أخرى، وذلك بعد تحقيق العمق الإيماني، وهذا يعني تحقيق مقتضيات (نصرة الله) حتى يتم نيل نصره ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧]، وإن هذه الثمرة تنعكس على كافة المجالات في حياة الأمة، لأن العداوة لم تحتل أرضاً فقط، وإنما غزت العقول والقلوب، وأثرت في مختلف المؤسسات، وإن الانتصار على الأعداء يعني تحرير العقول من الشبهات، والقلوب من الشهوات، وإصلاح يعم الأمة، ويقضي على الفساد والاستبداد، وتحرير لما اغتصب من البلاد.

سادساً - امتلاك الإرادة الحرة

بمعنى استقلالية قرار الأمة عن أي مؤثرات عالمية، وامتلاك أمرها، وعدم السماح للكيانات الأخرى بالضغط عليها، والتأثير على سيادتها، وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ ءَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ

مِنْ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَنَّهُ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ [آل عمران: ٢٨].

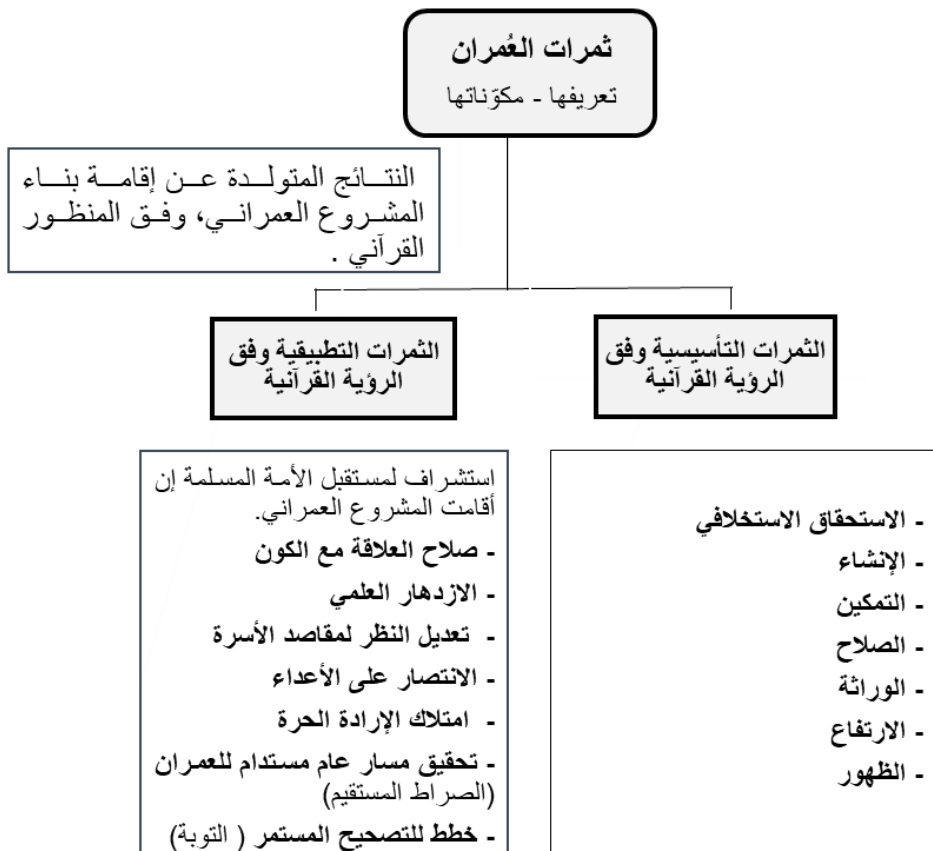
سابعاً - تحقيق مسار عام مستدام للعمران (الصراط المستقيم)

وهذه الثمرة تعني حقيقة الخروج من الظلمات إلى النور، وهي مصداق قوله تعالى ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ - وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٦]، وتكون بترجمة مقتضيات الصراط المستقيم لمناهج عامة؛ تحكم المسيرة الجمعية والفردية، وتنتشر في الأنظمة العامة والخاصة للأمة، ويقودها المنهج الرباني ﴿الرَّكَتَبُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١].

ثامناً - وجود خطط للتصحيح المستمر

هذه الثمرة هي ترجمة لحال التوبة المستمرة عند المؤمنين، ولكنها هنا توبة جمعية واعية شاملة ممنهجة، مترجمة لخطط مجملة ومفصلة، تسعى للبقاء على مسار الاستقامة، وتضمن دوام مسار العمران ﴿وَأَلَوْ اسْتَقَمُّوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ [الجن: ١٦]، وتضمن دوام تحقيق مسيرة العمران ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ [هود: ٦١].

خلاصة مبحث ثمرات العمران في الرؤية القرآنية



خلاصة الفصل الثالث

العمران

السعي نحو إصلاح الأرض مادياً ومعنوياً،
فردياً وجمعياً، انطلاقاً من حق الكون المسخر
للإنسان، بالارتكاز على القيم الإيمانية المنطلقة
من الوحي، ابتغاء تحقيق قيمة الاستخلاف.

الثمرات

الثمرات: هي النتائج
المتولدة عن إقامة
المشروع العمراني.
- الثمرات التأسيسية
وفق الرؤية القرآنية
الاستحقاق الاستخلافي،
الإنشاء، التمكين،
الصالح، الوراثة،
الارتفاع، الظهور
- الثمرات التطبيقية في
الواقع
صلاح العلاقة مع الكون

الآليات

الآليات: هي الوسائل والإمكانات
المحرّكة والدافعة لتحقيق البناء
العمراني
الآليات المعنوية:
- تعميق وتوجيه الصلة بالوحي
- تعميق الصلة بالكون
- تنمية المؤهلات المعنوية للإنسان
الآليات المادية:
- النفير العملي
- النفير الجمعي
- إقامة فروض الكفاية
- حماية المنجزات وضمّان
ديمومتها

المعوقات

المعوقات: هي الأمور
التي تعترض مسيرة
المشروع العمراني،
وتعمل على تثبيطه،
وصرفه.
المعوقات الرئيسية
- إغفال المقومات
المعوقات الثانوية:
- إغفال الموجهات
- إهمال المجالات

الخاتمة

تناولت هذه الدراسة موضوع "العُمران" في القرآن الكريم، باعتباره مقصداً عالياً من مقاصد القرآن، بعد مقصدي التوحيد والتزكية، وهدفت إلى إثبات وجود ذلك الموضوع بشكل متكامل في القرآن، وسعت للبيان أن القرآن أشار للمفهوم المقصود به، ودعا له، واحتوى مقوماته، وموجّهاته، ومجالاته، ومعوّقاته، وآلياته، وبَيّن ثمرات تحقيقه، وبعد دراسة ما ورد حول مفهوم العُمران في الفكر الإنساني، ثمّ النظر والتأمل في الآيات القرآنية المعنية، وفي الأقوال التفسيرية والفكرية حولها، توصّلت الدراسة إلى النقاط التالية:

(١) إن مصطلح "العُمران" اشتهر من اختيار ابن خلدون له، وقد قصد به الاجتماع الضروري للنوع الإنساني لتحقيق ما أَراده الله من اعمار العالم بهم واستخلافه إياهم، وكان قد ورد المفهوم في التراث - قبل ذلك - للدلالة على أمور متعددة؛ هي: (تخطيط البلدان، والبنيان، والمكان الجغرافي، والسياسة الشرعية، والجانب القيمي)، بعد ذلك عاد الاهتمام به في العصر الحديث، بدءاً من تفسير ومجلة المنار، إلى يومنا هذا، ليدل على دلالات عدّة، هي: (النهضة، والصالح والإصلاح، والبناء، والحضارة، وحفظ المصالح، والهندسة الحضارية للإنسان، والشهود الحضاري، وتحقيق مقتضيات التوحيد).

ومهما تنوعت الدلالات فإن جميعها دارت حول معنى الإصلاح، الناتج عن الفعل الإنساني، الذي يركز على منظومة مترابطة؛ من المقومات والضوابط هي: تجديد الفكر، والاستعانة بفقهِ السنن التاريخية، وبناء المجتمع الحضاري، وفق رؤية مقاصدية شرعية.

٢) تمت ترجمة مصطلح العمران في الدراسات العربية إلى مفردات أجنبية، مما أثار نقداً، لأن تلك المفردات أبعدته عن مضمونه المرتبط بقضية الاستخلاف، مثل الترجمة إلى لفظ (culture) الذي يدل على الثقافة، ولفظ (Civilization)، الذي يدل على الحضارة غالباً، وعلى المدنية أحياناً، كما قام الغربيون بترجمة المصطلح إلى عدة مفردات، منها كلمة (Urbanism)، التي تعني تخطيط المدن، أو علم التخطيط الحضري، وكلمة (Civilization)، التي تعني الحضارة والتمدن، وكلمة (Colonization) التي تعني استعمار، والتي تطوّرت دلالاتها لتأخذ منحى يدل على السياسة التوسعية.

٣) الدراسة اللغوية المعجمية لمادة (عَمَرَ) ومشتقاتها بيّنت أنها غنية بالمعاني، التي تشكل منظومة العمران، بما تحتويه من مقاصد، فالعمران إصلاح وإقامة وحفظ وعبادة وجمال وتواصل وقصد، في المكان والزمان، وهي مقاصد تحقق العلو المعنوي والمادي عبر الزمن، لذا يمكن الاجتهاد وجمع تلك الدلالات بتعبير يشير إلى المعنى اللغوي لمادة (عَمَرَ) هو (الْعُلُوّ والبَقَاء عبر امتداد الزمن).

وجاءت تقاليد مادة (عَمَرَ) تحمل معنيين متضادين: هما (الخصب والخير)، و(الملاسة والانجراد)، فهي تحمل إشارات لمقومات العمران ومعوقاته معاً، كما أن التطور الدلالي يوضح أنها اقترنت من معنى الحضارة الذي يدور حول حركة وأعمال وتشديد تحت مظلة العدل، بمعنى أنها اكتسبت دلالة مادية وأخرى معنوية.

٤) الدراسة السياقية لمواضع ورود مادة (عَمَرَ) بيّنت أن الآية المحورية في الموضوع هي: ﴿... هُوَ أَنشَأَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ وَأَسْتَغْمِرُكُمْ فِيهَا ...﴾ [هود: ٦١]، وبيّنت أن ذلك الاستعمار يشمل الإصلاح المادي والمعنوي للأرض، وأنه يقوم به الأفراد ضمن مجتمعاتهم، كما بيّن تأمل بقية مواضع الورد أنه يمكن نسجها في منظومة

متكاملة، توجّه مسيرة العمران، وذلك وفق مايلي: سياق ورود اسم العلم (عمران) يشير لدور الفرد والأسرة في الإصلاح ضمن المجتمع، وسياق ورود (العمرة) يشير لدور النسك في عمران المكان والقلوب، وسياق ورود (عمارة المساجد) يبين الأهمية للجانبين المادي والمعنوي الذي تقوم به المساجد في إحياء الفرد والمجتمع، وأهمية الأساس القيمي في بناء المساجد، أما سياق (البيت المعمور) فإنه يربط عمران الأرض بالسماء، وأخيراً ورود المادة بدلالة الزمن يدلّ على أهمية عنصر الزمن في قضية العمران.

٥) الدراسة المعجمية لمقاربات مادة عَمَرَ بيّنت أنها تلتقي مع مفهوم العمران في أحد جانبي المفهوم، فبعضها يتقارب مع أصل العلو، وبعضها يتقارب مع أصل البقاء عبر مر الزمان، أما التقارب مع الأصل الأول فيتمثل بمشتقات (البناء، والإنشاء، والتشييد، والقيام، والتأسيس، والعلو، والارتفاع، والظهور)، وهي تتقارب مع المفهوم اللغوي المباشر للعمران، بينما يتمثل الأصل الثاني بمشتقات (الوراثة، والاستخلاف، والتسخير، والتمكين، والإصلاح)، وهي ترتبط مع دلالة مفهوم العمران، وقد بينت الدراسة أن تلك المقاربات قد حملت دلالات مادية ومعنوية في آن معاً.

٦) الدراسة في الاستعمال القرآني لمقاربات مادة عَمَرَ بيّنت أن بعض المقاربات وردت بدلالات مادية فقط وهي: (البناء، والتشييد، والتسخير)، بينما جاء بعضها بدلالات معنوية فقط، وهي: (التأسيس، والعلو، والارتفاع، والظهور، والاستخلاف)، وحمل بعضها دلالات معنوية ومادية معاً، وهي: (الإنشاء، والقيام، والتمكين، والإصلاح، والوراثة)، وبالنظر إلى خطاب التكليف في تلك المواضع تبين أن بعضها اتجه نحو الكيانات الفردية أو نحو الكيانات الجمعية المحدودة، وهي: (البناء،

والتشييد، والتأسيس)، بينما كانت معظمها ترتبط بالكيانات الفردية والجمعية معاً، وهي: (الاستخلاف، والإنشاء، والقيام، والعلو، والارتفاع، والظهور، والوراثة، والتسخير، والتمكين، والإصلاح).

(٧) لدى الربط بين الدراسة اللغوية والسياقية لدلالات المقاربات لمادة (عَمَرَ)، وبين المكوّنات لنظرية العمران؛ نجد أن كل من تلك المقاربات تحتل مكاناً ضمن عناصر القضية العمرانية، وفقاً لمايلي:

■ من مقوّمات العمران: القيام، وراثة العلم، والتسخير، التمكين الابتدائي.

■ من موجّهات العمران: التأسيس القيمي، القوامة بالقسط، الميزان، إضافة إلى مراعاة السنن الإلهية.

■ من معوّقات العمران: التشييد المفتقر للقيم، العلوّ المذموم، ظهور الأعداء.

■ من آليات العمران: الإصلاح المرحلي، البناء، إنشاء النبات، مقاومة معوّقات العمران.

■ من ثمرات العمران: إنشاء الأمم، العلوّ، الارتفاع، ظهور المؤمنين، وراثة الأرض، الاستخلاف، التمكين، الإصلاح الشامل.

(٨) إنّ مقوّمات البناء العمراني المقصودة في هذه الدراسة هي: مجموعة العناصر والأركان الأساسية التي يتألف منها المشروع العمراني وفق المنظور القرآني، وهي تتألف من ثلاثة أركان: (التسخير والتمكين والتكليف).

■ يتجلى مفهوم التسخير في تكوين البعد الخارجي والمادي للعمران، الذي ظهر في تسخير عناصر الكون للإنسان، وتسخير الناس لبعضهم، حيث تبين أن المقاصد من ذكر المسخّرات أربعة: (الاستدلال على وحدانية الخالق، والامتنان له لنعمه العظيمة، والانتفاع بالمسخّرات، وعمارة الأرض)، وأن مقصد عمارة الأرض غاب في أكثر العصور الإسلامية، لكنه كان حياً وفاعلاً في العصور المتقدمة، مما جعل الأمة الإسلامية حينها في أعلى سلّم الحضارات.

■ يتجلى مفهوم التمكين في تكوين البعد الداخلي الإنسان المؤهل للقيام بالعمران، وتمكينه من التفاعل مع العناصر المسخرة، وذلك وفق ثلاثة أنواع من المؤهلات: أولها؛ مؤهلات معنوية ذاتية: تكمن في اختياره خليفة، وفي تعليمه، وتحذيره من العداوة، وهدايته، ومنحه الإرادة والاختيار، ودلالته على مسار التوبة، ثانيها؛ مؤهلات مادية ذاتية: خلقه في أحسن تقويم، وتزويده بالحواس، والإدراك، وقوة الجسم، وتأييده بالزوجية، ثالثها؛ مؤهلات مساعدة: تتمثل في المكان الذي تدل عليه الإقامة والاستقرار، وإتاحة الزمن لتحقيق العمران، وإتاحة الانتفاع بمتاع الأرض.

■ يتجلى مقوّم التكليف في قدرة الإنسان على القيام بواجب العمران، ومهامه المكلف بها، وذلك من خلال بيان: دلالة التكليف، والمستهدف بالتكليف، وموجّهات التكليف؛ وهي على التوالي: (الأمر باستعمار الأرض ﴿وَأَسْتَعْمِرْكُمْ فِيهَا﴾، توحيد مصدر الاستمداد، والتقويم المستمر، واستثمار ثروات الأرض، والاعتبار بالتاريخ، واستثمار المواهب).

٩) موجّهات البناء العمراني المقصودة تعني: العوامل المؤثرة في ضبط اتجاه بناء المشروع العمراني، وفق المنظور القرآني، وتحدد في: فهم ماهية الخطاب

الربّاني وفق مستوياته، وإدراك ومراعاة السنن الإلهية الكونية والاجتماعية، ومراعاة المقاصد والقيم الإيمانية.

- مستويات الخطاب الرباني تجلّت في: المستوى الإنساني العام، والأقوام، وجمع المؤمنين، والأمة المسلمة، والمؤسسات، والفرد المؤمن.
- السنن الإلهية الكونية توجّه التفاعل مع الكون وتضبطه، والسنن الإلهية الاجتماعية توجّه تنظيم الأفراد والمجتمعات.
- منظومة القيم الإيمانية هي الموجه الذي يضمن السير باتجاه تحقيق الاستخلاف.

(١٠) إنّ مجالات البناء العمراني يُقصد بها ميدان تطبيق المشروع العمراني، وقد حُددت في ثلاثة مجالات:

- صناعة الفرد: من خلال تركيزه في جوانب شخصيته كافة.
- صناعة المجتمع: من خلال بناء الأمة.
- مسيرة الإنتاج والإنجاز: وتكون باتجاهين (مادي ومعنوي): أما المعنوي فيكون بحسن بناء شبكة المسخرات البشرية وإدارتها وقيادتها، مما ينتج عنه: الإصلاح التربوي، والاقتصادي، والسياسي، والإعلامي، والعسكري، وأما المادي فيشمل التفاعل مع المسخرات المادية التي ذكرت في كتاب الخالق وهي: (السماء بما فيها، والأرض بما فيها)، الأمر الذي يظهر في: الزراعة، والصناعة، والتكنولوجيا، والبناء، والفلك، والمناخ، والاتصالات، والبحار، والأحياء، وغيرها.

(١١) معوّقات البناء العمراني يُقصد بها الأمور التي تعترض مسيرة المشروع العمراني، وتعمل على تثبيطه، وصرفه، وهي نوعان: الأولى معوّقات رئيسية، وهي

التي تقابل المقوّمات، وتمنع من إقامة البناء العمراني، وتتمثل في ضعف التفاعل مع المسخّرات، وإهمال مقتضيات التمكين، وضعف الاستجابة للتكاليف، والثانية معوّقات ثانوية تقلل من فاعلية البناء، وتتمثل في إغفال الموجهات، من ضعف مراعاة السنن الإلهية، أو إهمال القيم الإيمانية.

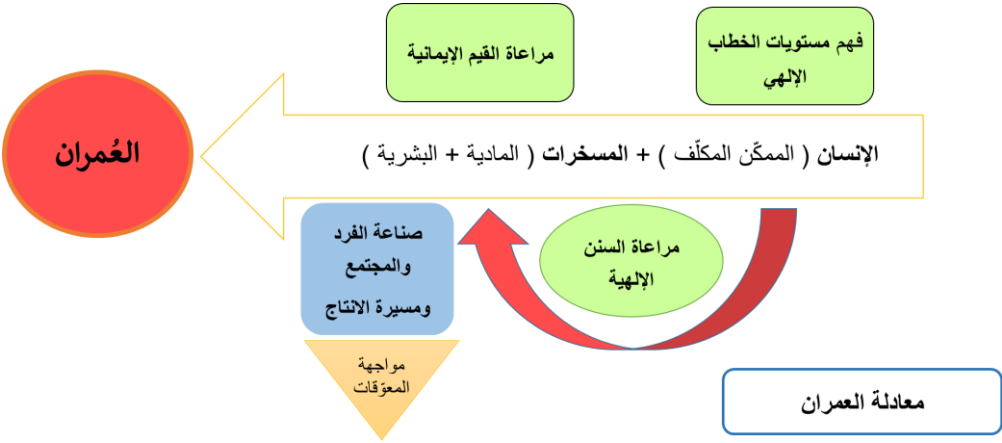
(١٢) آليات البناء العمراني هي الوسائل والإمكانات المحركة والدافعة لتحقيق البناء العمراني، وهي على نوعين: آليات معنوية، وآليات مادية، المعنوية تتمثل في وسائل تعميق الصلة مع الوحي، وتعميق الصلة مع الكون، ووسائل تنمية المؤهلات المعنوية للإنسان، وأما الآليات المادية فتتمثل في النفير العملي، والنفير الجمعي، وإقامة فروض الكفاية، وحماية المنجزات وديمومتها.

(١٣) إن ثمرات البناء العمراني تعني النتائج المتولدة من السعي في دربه، وهي على نوعين:

- ثمرات مبنية على المفاهيم القرآنية، وتتمثل في : الاستحقاق الاستخلافي، والإنشاء، والتمكين، والصلاح، والوراثية، والارتفاع، والظهور.
- ثمرات مبنية على فقه الواقع وتتمثل في " صلاح الكون، والازدهار العلمي، وتعديل النظر لمقاصد الأسرة، والانتصار على الأعداء، وتحقيق مسار عام مستدام للعمران (الصراط المستقيم)، ووجود خطط دائمة لتصحيح المسير (التوبة)

(١٤) أثمرت الدراسة عن التوصل إلى معادلة تجمع بين أطراف مكونات البناء العمراني، يُقترح تسميتها بمعادلة العمران، ويمكن تمثيلها بالشكل التالي:

معادلة العمران



التوصيات

تتلخص التوصيات في مجالات ثلاثة:

أولاً- المجال التعليمي:

- ١- إعادة النظر في المناهج التعليمية الشرعية، في المراحل الدراسية كافة، بما يعزز مكانة الوحي كمصدر للعلم، وكموجّه للعمل الإنساني، وبما يعمّق العلاقة مع الكون، ويدفع نحو حسن استثماره، ويمهد لتعزيز فكرة العُمران في الذات.
- ٢- سد الفجوة بين المناهج التعليمية الإنسانية والعلمية، من جهة، وبين المناهج الشرعية، من جهة أخرى، بما يخلق تناغماً بينهم، وبما يساعد في رسم خطط بنائية، تنعكس على الواقع.
- ٣- توجيه نظر البحث العلمي نحو قضايا العُمران، وتعميق الدراسات الشرعية والعلمية والإنسانية فيه، بما يربطها بالحاضر والمستقبل.
- ٤- إصدار تفاسير تركز على القيم.

ثانياً - المجال التربوي :

- ١- ترسيخ قيمة الاستخلاف في الضمير الفردي والجمعي، وتحفيز موضوع " النفير الفكري" لإدراك قيمة الاستخلاف.
- ٢- وضع برامج لبناء إنسان العُمران (الفرد)، بما يحقق التوازن في شخصيته الإيمانية، وبما يكتشف قدراته ومواهبه، ليصير قادراً على العطاء والبناء.
- ٣- وضع برامج لصناعة الكيان الجمعي لإنسان العُمران، بما يجعله مؤهلاً للنفير العملي والجمعي.

ثالثاً - المجال العملي الحركي:

- ١- رصد الفروض الكفائية اللازمة في الأمة المسلمة، والعمل على إحيائها في المجتمع.
- ٢- بناء المهارات العلمية والعملية لدى أفراد ومؤسسات الأمة، لإنجاز الفروض الكفائية.
- ٣- اليقظة الدائمة للعداوات الداخلية والخارجية التي تحاول إحباط المشروع العمراني، وإفشاله، وإنشاء منظومة حماية وقائية له، في المجالات الفكرية، والعقدية، والتربوية، والعملية.

المراجع

- ❖ أحمد، (ت ٢٤١ هـ)، مسند الإمام أحمد، المحقق شعيب الأرنؤوط، عمّان: مؤسسة الرسالة، ط ١، ٢٠٠١ م
- ❖ ابن الأزرق، أبو عبد الله، (ت ٨٩٩ هـ) بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق: علي سامي النشار، بغداد: وزارة الإعلام، بدون تاريخ.
- ❖ أسمر، علي، النهضة في القرآن الكريم بناؤها ومقوماتها من خلال سورة الكهف، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، ط ١، ٢٠١٨ م.
- ❖ الأنصاري، فريد، (ت ١٤٣٠ هـ)، بلاغ الرسالة القرآنية، القاهرة: دارالسلام للطباعة والنشر والترجمة، ط ١، ٢٠٠٩ م.
- ❖ الأنصاري، فريد، (ت ١٤٣٠ هـ)، الفطرية - بعثة التجديد المقبلة، من الحركة الإسلامية إلى دعوة الإسلام، المغرب: دار السلام، ط ٣، ٢٠١٣ م.
- ❖ الياس، انطون، وإدوارد، قاموس الياس العصري، بيروت: دار الجيل، ١٩٨٨ م.
- ❖ ابن باديس، تفسير ابن باديس، (ت ١٣٥٨ هـ) بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٥ م.
- ❖ بافضل، أحمد صالح، الفروض الكفائية سبيل التنمية المستدامة، الدوحة: وزارة الوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر، ٢٠١٤ م.
- ❖ البخاري، محمد بن اسماعيل، (ت ٢٥٦ هـ)، صحيح البخاري، تحقيق محمد زهير بن ناصر، بيروت: دار طوق النجاة، ط ١، ٢٠٠٢ م.

❖ البتّاني، محمد بن جابر، (ت ٣٠٦ هـ)، زيج الصابئ، بيروت: دار ومكتبة بيبلون، ٢٠١٩ م.

❖ البطيوي، عزيز، سنن العمران البشري في السيرة النبوية، عمّان: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ٢٠١٨ م.

❖ البعلبكي، منير، ورمزي، المورد الحديث، قاموس انكليزي عربي، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٩ م.

❖ البقاعي، إبراهيم، (ت ٨٨٥ هـ)، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، تحقيق: عبد السميع محمد أحمد حسين، الرياض: مكتبة المعارف، ط١، ١٩٨٨ م.

❖ البقاعي، إبراهيم، (ت ٨٨٥ هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، بدون تاريخ.

❖ بكري، عفراء، نبذة عن أرنولد توينبي، موقع سطور، ٢٥-٧-٢٠٢٠ م.

❖ بوخلخال، عبد الوهاب، قراءة في فكر مالك بن نبي، قطر: إدارة البحوث والدراسات الإسلامية، كتاب الأمة، العدد ١٥٢، ذو القعدة ٢٠١٢ م.

❖ التركي، محمد، ابن خلدون من منظور الآخر: لمحة حول القراءات الألمانية، تونس: المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون – بيت الحكمة، المجلد ٢، ٢٠٠٦ م.

- ١٨٩٩ XIV Jahrhunderts in soziologische Essays, Innsbruck

❖ الترمذي، محمد، (ت ٢٧٩ هـ)، سنن الترمذي، تحقيق بشار عواد، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨ م.

❖ تلوت، جميلة، مقصد الأسرة في القرآن: من الإنسان إلى العمران، بحث ضمن كتاب: مقاصد القرآن الكريم، القاهرة: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ط١، ٢٠١٨ م.

❖ ابن تيمية، (ت ٧٢٨ هـ)، جامع الرسائل، تحقيق: رشاد سالم، الرياض: دار العطاء، ط١، ٢٠٠١ م.

❖ ثامر، هيا، مقاصد القرآن الكريم عند ابن عاشور، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر، عدد ٢٩، ٢٠١١ م.

❖ جمال، بروال، نظرية الحضارة عند اسوالد اشبنجلر – مقارنة تحليلية في دورة الحضارة، الجزائر: مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد ٥٤، ٢٠١٩ م.

❖ الجوهرى، أبو نصر، (ت ٣٩٣ هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، بيروت: دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٨٧ م.

❖ الجيوسي، عودة، الإسلام والتنمية المستدامة – رؤى كونية جديدة، عمان: مؤسسة فريدريش ايبرت، ٢٠١٣ م.

❖ الحاكم، أبو عبد الله، (ت ٤٠٥ هـ) المستدرك على الصحيحين، تحقيق

مصطفى عبد القادر، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠ م.

❖ الحازمي، عبد الرحمن، وآخرون، السهر بين المحاذير الشرعية والمخاطر

الصحية والاجتماعية، الرياض: (الجزيرة.com)، موقع الكتروني، ٢٧/٧/٢٠٢١ م.

م.

❖ حامدي، عبد الكريم، مقاصد تشريع الأحكام، بيروت: دار ابن حزم، ط ١،

٢٠٠٨ م

❖ احجيج، حسن، مقدمة بحث: نظرية المعرفة عند دوركايم، موقع حكمة

الالكتروني، ٧/١٠/٢٠١٥ م.

❖ الحداد، حميد، ثوابت عمرانية إسلامية بين ابن أبي الربيع وابن خلدون،

مقال: دورية كان التاريخية (علمية، عالمية، مُحَكَّمة)، العدد الثامن والعشرون،

٢٠١٥ م.

❖ الحديثي، رضا، مدرسة الصحابة، الجزء الأول (التاصيل)، اسطنبول:

talents، ٢٠٢٠ م.

❖ حسنة، عمر عبید، (ت ١٤٢٤ هـ)، مقدمة: كيف نتعامل مع القرآن، لمحمد

الغزالي، مصر: دار نهضة مصر للنشر، ط ١٤، ٢٠١٤ م.

❖ حسنة، عمر عبيد، (ت ١٤٢٤ هـ)، إنسان القرآن .. أنموذج إقامة العمران

وبناء الحضارة، بيروت: المكتب الإسلامي، ٢٠١٦ م.

❖ ابن حيّان، جابر، (ت ٤٦٩ هـ)، كتاب الخواص الكبير، جامعة الملك سعود،

قسم المخطوطات، ف ٥٦٨-٣ / ١٩٧٩ م.

❖ أبو حيّان، (ت ٧٤٥ هـ)، البحر المحيط في التفسير، بيروت: دار الفكر، ٢٠٠٠

م.

❖ حيدوسي، عمر، السنن الإلهية وتفسير القرآن الكريم في العصر الحديث،

رسالة دكتوراه في جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، ٢٠١٢ م.

❖ الخالدي، صلاح، مظاهر النهضة في القصص القرآني، من أبحاث المؤتمر

القرآني الثالث، القرآن الكريم ومقومات النهضة، جمعية المحافظة على القرآن

الكريم، ط ١، ٢٠١١ م.

❖ الخطيب، سليمان، لقاء حول كتاب "فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي، تم

بثه في قناة المجد الفضائية ٢٠٠٩ م.

❖ ابن خلدون، عبد الرحمن، (ت ١٤٠٦ هـ)، مقدمة ابن خلدون، تحقيق:

الدرويش، عبد الله، دمشق: دار العرب، ط ١، ٢٠٠٤ م.

❖ الخلف، عواد - سعد، قاسم، الجامعون بين العلوم الشرعية والعلوم

التجريبية، دبي: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط ١، ٢٠١٥ م.

- ❖ خليل، عماد الدين، مفهوم الإعمار وعلاقته بالنهضة في ضوء القرآن الكريم، أبحاث مؤتمر القرآن الكريم ومقومات النهضة، عمّان: جمعية المحافظة على القرآن الكريم، ط ١، ٢٠١٢ م.
- ❖ الخوارزمي، موسى، (ت ٢٣٢ هـ)، الجبر والمقابلة، تحقيق: علي مصطفى مشرفة، ومحمد مرسي أحمد، القاهرة: مطبعة بول باريه، ١٩٣٧ م.
- ❖ ابن دريد، أبو بكر، (ت ٣٢١ هـ)، الاشتقاق، بيروت: دار الجيل، ط ١، ١٩٩١ م.
- ❖ الدقور، سليمان، التفسير الموضوعي إشكالية المفهوم والمنهج، بحث الكتروني منشور، من أبحاث مؤتمر التفسير الموضوعي، الشارقة، ٢٠١٠ م.
- ❖ الدقور، سليمان، القرآن ومعادلات صناعة الإنسان، عمّان، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، ط ١، ٢٠١٥ م.
- ❖ الدقور، سليمان، القصص القرآني، أهدافه وخصائصه ومنهج الكتابة فيه، عمان: دار النفائس، ٢٠١٨ م.
- ❖ الدمرداش العقالي، الشيماء، مقدمة كتاب تجديد الفكر الديني في الإسلام، محمد إقبال، ترجمة: محمد يوسف عدس، القاهرة: دار الكتاب المصري، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ٢٠١١ م.
- ❖ ديبور، ت.ج، تاريخ الفلسفة في الإسلام، ترجم محمد عبد الهادي أبو ريده، بيروت: دار النهضة العربية، ط ٣، ١٩٥٤ م.

❖ الرازي، التفسير الكبير، (ت ٦٠٦ هـ)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ٣، ١٩٩٩م.

❖ راشد، رشدي، ترجمة: نقولا فارس، رياضيات الخوارزمي، تأسيس علم الجبر، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١٠م.

❖ الراغب، أبو القاسم، (ت ٥٠٢ هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان الداودي، دمشق بيروت: دار القلم، الدار الشامية، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

❖ ابن أبي الربيع، شهاب الدين، (٢٧٢ هـ)، سلوك المالك في تدبير الممالك، تحقيق: عارف عبد الغني، دمشق: دار كنان للطباعة والنشر، ١٩٩٦م.

❖ رضا، محمد رشيد، (ت ١٣٥٤ هـ)، تفسير المنار، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

❖ ريسلر، جاك، الحضارة العربية، ترجمة خليل أحمد خليل، بيروت: منشورات عويدات، ط ١٩٩٣م.

❖ الريسوني، أحمد، الإعلام المعاصرين الترشيد والتضليل، مرصد ومدونات عُمران، ٢٠٢٠/٥/٥م.

❖ الزبيدي، محمد الحسيني، (ت ١٢٠٥ هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، بدون تاريخ.

- ❖ الزركلي، خير الدين، (ت ١٣٩٦ هـ)، الأعلام للزركلي، بيروت: دار العلم للملايين، ط ١٥، ٢٠٠٢ م.
- ❖ الزمخشري، الكشاف، (ت ٥٣٨ هـ)، بيروت: دار الكتاب العربي، ط ٣، ١٩٨٦ م.
- ❖ الزويد، حجي ابراهيم، مقال: دلالة الفعل الماضي على الحال والاستقبال في القرآن الكريم، شبكة الفصحى لعلوم اللغة العربية، ٥-٤-٢٠٠٧، ٨:٥٩ pm.
- ❖ زيدان، عبد الكريم، (ت ١٤٣٥ هـ)، السنن الإلهية في الأفراد والمجتمعات، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ٣، ٢٠٠٢ م.
- ❖ الزيود، اسماعيل، إرهاصات النهضة في المجتمع العربي: دراسة سوسولوجية في ضوء نظرية (التحدي والاستجابة)، بحث منشور في مجلة: دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد ٤٠، العدد ١، ٢٠١٣ م.
- ❖ ابن السبكي، تاج الدين، (ت ٧٧١ هـ)، جمع الجوامع، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٧ م.
- ❖ سجادي، ابراهيم، آفاق التفسير الموضوعي، في: مجموعة من الباحثين، دراسات في تفسير النص القرآني، بيروت: مكتبة مؤمن قريش، ج ١، ٢٠٠٧ م.
- ❖ السرجاني، راغب، ابتكار المسلمين علم الجيولوجيا، موقع قصة الإسلام، ١/٥/٢٠٠٦ م.

- ❖ السعدي، عبد الرحمن، (ت ١٣٧٦ هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، عمان: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠ م.
- ❖ أبو السعود، تفسير أبي السعود، (ت ٩٨٢ هـ)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ.
- ❖ سعيد، جودت، اقرأ وربك الأكرم، بيروت: دار الفكر، ط ٢، ١٩٩٣ م.
- ❖ سعيد، جودت، حتى يغيروا ما بأنفسهم، القاهرة: مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع، ط ٤، ١٩٩٨ م.
- ❖ ابن السكيت، يعقوب بن اسحق، (ت ٢٤٤ هـ)، كتاب الألفاظ، تحقيق: فخر الدين قباوة، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٨ م.
- ❖ سلطان، جاسم، إشكالية منظومة القيم في الإسلام، مادة مرئية على اليوتيوب،
- ❖ ٢٠١٧/١٢/١١ م.
- ❖ السيوطي، جلال الدين، (ت ٩١١ هـ)، الاتقان في علوم القرآن، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤ م.
- ❖ الشاذلي، عبد المجيد، تصحيح المفاهيم بالنسبة للخطاب الفردي والجماعي، مقال في موقع فضيلة الشيخ عبد المجيد الشاذلي، ٢٠١٥/٨/٧ م.

❖ الشاطبي، أبو اسحق، (ت ٦٩٠هـ)، **الموافقات في أصول الشريعة**، بيروت: دار المعرفة، ط ٢، ١٩٧٥ م.

❖ الشريف الإدريسي، محمد بن محمد، (ت ٥٥٩ هـ)، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، بيروت: عالم الكتب، ط ١، ١٩٨٨ م.

❖ الشعراوي، محمد متولي، (ت ١٤١٨ هـ)، **تفسير الشعراوي**، القاهرة: مطابع أخبار اليوم، بدون تاريخ.

❖ شهاب، محمد، **رواد علم الاجتماع**، كتاب الكتروني، موقع: كتب عربية. www.Kotobarabia.com

❖ شهوان، راشد، **تأصيل علم السنن الربانية**، عمّان: مجلة القسم العربي، العدد ٢٥، ٢٠٠٨ م.

❖ الصالح، صبحي، (١٤٠٧ هـ)، **الإسلام ومستقبل الحضارة**، دمشق: دار قتيبة، ط ٣، ١٩٩٠ م.

❖ صالح، هاشم، **ابن خلدون في مرآة الغرب**، مقال منشور في صحيفة البيان الالكترونية، ١٠ نوفمبر ٢٠٠٦ م.

❖ الصدر، محمد باقر، (ت ١٤٠٠ هـ)، **اقتصادنا**، بيروت، دار التعارف للمطبوعات، ط ٢٠، ١٩٨٧ م.

❖ الصدر، محمد باقر، (ت ١٤٠٠ هـ)، **السنن التاريخية في القرآن**، ترتيب

- ❖ محمد جعفر شمس الدين، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ١، ٢٠١١ م.
- ❖ الصمدي، خالد، منظومة القيم الكونية، محاضرة الكترونية مرئية في موقع اليوتيوب، منشورة بتاريخ ١٨/١٢/٢٠١٦ م.
- ❖ طاهر، ناجي، العمران والحضارة عند ابن خلدون، موقع الرشاد، واحة الفكر، ٢٠٢٠/٥/٥ م.
- ❖ الطبري، ابن جرير، (ت ٣١٠ هـ)، تفسير الطبري، عمّان: مؤسسة الرسالة، ط ١، ٢٠٠٠ م.
- ❖ الطراونة، فاطمة، عوامل تدهور الحضارة الغربية - دراسة سوسيولوجية تحليلية- في ضوء نظرية الفيلسوف الألماني أوزوالد شبنجلر، عمّان: دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد ٤٣، ملحق ٣، ٢٠١٦ م.
- ❖ الطرسوسي، ابراهيم، (ت ٧٥٨ هـ)، تحفة الترك فيما يجب ان يعمل في الملك، تحقيق: عبد الكريم الحمداوي، بدون تاريخ
- ❖ عابدين، طه - قاري، ياسين - علي، فخر الدين، الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية، الدمام: مكتبة المتنبي، ط ١، ٢٠١٧ م.
- ❖ عارف، نصر محمد، الحضارة، الثقافة المدنية: دراسة لسيرة المصطلح ودلالة المفهوم، عمّان: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩٤ م.

- ❖ عارف، نصر محمد، مفهوم النظام المعرفي والمفاهيم المتعلقة به، عمّان: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ٢٠٠٠ م.
- ❖ ابن عاشور، الطاهر، (١٣٩٣ هـ)، تفسير التحرير والتنوير، تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤ م.
- ❖ عبد الباقي، محمد فؤاد، (ت ١٣٨٧ هـ)، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، نشر دار الحديث، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٧ م.
- ❖ عبده، محمد، (ت ١٣٢٣ هـ)، الإسلام دين العلم والمدنية، القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٩٨ م.
- ❖ ابن العربي، محمد، (ت ٨٢٥ هـ)، تيسير البيان لأحكام القرآن، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ٣، ٢٠٠٣ م.
- ❖ عرجون، محمد الصادق، (ت ١٤٠٠ هـ)، سنن الله في المجتمع من خلال القرآن، موقع الباحث العلمي، قاعدة بيانات علوم القرآن، جدة، ١٩٨٤ م.
- ❖ عزت، هبة رؤوف، في ظلال رمضان، بيروت: جسور للترجمة والنشر، ٢٠١٥ م.
- ❖ أبو العزم، عبد الغني، معجم الغني، موقع الموسوعة القرآنية.
- ❖ عضيبات، ولاء، مقال: الفرق بين التخطيط الاستراتيجي والتخطيط التشغيلي، موقع "عربي" الإلكتروني، ١٥/٣/٢٠٢٠ م.

❖ عطية، جمال، مقال: قراءة معاصرة لفروض الكفاية، موقع رابطة العلماء

السوريين الالكتروني، ١٣/٦/٢٠٠٤ م.

❖ العظم، عليا، العمارة والبيئة في القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة، فكر

وتطبيق، كتاب المؤتمر المعماري الأردني الثاني، عمّان: نقابة المهندسين

الأردنيين، ٢٠٠٠ م.

❖ العلواني، رقية، الاستغفار بداية منهج تغيير وإصلاح، مقطع في موقع

اليوتيوب، أ.د. رقية العلواني ١٥/١٠/٢٠٢٠

❖ العلواني، طه جابر، (ت ١٤٣٧ هـ)، بين مقاصد الشريعة ومقاصد القرآن

العلياء، مقال في موقع أكاديمية العلواني الالكتروني، تاريخ الزيارة ٢٠/١١/٢٠٢٠

❖ العلواني، طه جابر، (ت ١٤٣٧ هـ)، كتاب: التوحيد التزكية والعمران،

محاولات في الكشف عن القيم والمقاصد القرآنية الحاكمة، بيروت: دار الهادي،

ط١، ٢٠٠٣ م.

❖ العلواني، طه جابر، (ت ١٤٣٧ هـ)، مقاصد الشريعة، بيروت: دار الهادي

للطباعة والنشر، ط١، ٢٠٠١ م.

❖ عمارة، محمد، (ت ١٤٤١ هـ)، معالم المنهج الإسلامي، القاهرة: دار الشروق،

ط١، ١٩٩١ م.

❖ عمارة، محمد، (ت ١٤٤١ هـ)، روح الحضارة الإسلامية، القاهرة: دار النيل للطباعة والنشر، ط ٢، ٢٠١٣ م.

❖ عمارة، محمد، (ت ١٤٤١ هـ)، هذا هو الإسلام، الدين والحضارة، عوامل امتياز الإسلام، شهادة غربية، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ط ١، ٢٠٠٥ م.

❖ عمر، أحمد مختار، (ت ١٤٢٤ هـ)، معجم اللغة العربية المعاصرة، بيروت: عالم الكتب، ط ١، ٢٠٠٨ م.

❖ الغزالي، أبو حامد، (ت ٥٠٥ هـ)، إحياء علوم الدين، بيروت، دار ابن حزم، ط ١، ٢٠٠٥ م.

❖ الغزالي، أبو حامد، (ت ٥٠٥ هـ)، جواهر القرآن، تحقيق: الشريف، محمد، عمان: مؤسسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامي، ٢٠١٨ م.

❖ الغلبزوري، توفيق، السنن الكونية والاجتماعية في القرآن الكريم، فاس: جامعة القرويين، بدون تاريخ.

❖ الغمراوي، محمد أحمد، في سنن الله الكونية، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والنشر، ط ١، ١٩٣٦ م.

❖ غنيمات، مصطفى، الفكر الاجتماعي عند ابن خلدون، عمّان: إسلامية المعرفة، ع ٥١، ٢٠٠٧ م.

❖ ابن فارس، أحمد، (ت ٣٩٥ هـ)، مقاييس اللغة، دمشق: دار الفكر، ١٩٧٩ م.

- ❖ الفاروقي، اسماعيل، (ت ١٤٠٦ هـ)، التوحيد – مضامينه على الفكر والحياة، القاهرة: مدارات للأبحاث والنشر، ٢٠١٤ م.
- ❖ الفراهيدي، الخليل (ت ١٧٠ هـ)، معجم العين، بيروت: دار ومكتبة الهلال، بدون تاريخ.
- ❖ الفراهي، عبد الحميد، (ت ١٣٤٩ هـ)، مفردات القرآن، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط ١، ٢٠٠٢ م.
- ❖ فريق إدارة. كوم، أشهر وأفضل ١٠ مقاييس عالمية، ٢٩/١٢/١٩٠٢ م.
- ❖ الفيروزآبادي، مجد الدين، (ت ٨١٧ هـ)، القاموس المحيط، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٨، ٢٠٠٥ م.
- ❖ القاسمي، محمد جمال، (ت ١٣٣٢ هـ)، محاسن التأويل، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧ م.
- ❖ القحطاني، مسفر بن علي بن محمد، سؤال التسخير الكوني للإنسان، رؤية مقاصدية، الرباط، أعمال الندوة العلمية الدولية – مقاصد الشريعة والسياق الكوني، ٢٠١٢ م.
- ❖ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (ت ٦٧١ هـ)، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط ٢ م.

❖ القره داغي، علي محي الدين، مقال، عشرة مبادئ للإصلاح في سورة الفاتحة، صحيفة الوطن، ٢٠١٩م.

❖ القزويني، زكريا، (ت ٦٨٢ هـ)، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ط ٣، ١٩٧٨م.

❖ القطّان، منّاع، (١٤٢٠ هـ)، مباحث في علوم القرآن، مؤسسة الرسالة، ط ٣٥، ١٩٩٨م.

❖ قطب، سيد، (ت ١٣٨٦ هـ)، تفسير: في ظلال القرآن، القاهرة: دار الشروق، بدون تاريخ.

❖ قطب، محمد، (ت ١٤٣٥ هـ) القصة القرآنية، القاهرة، دار قباء، ٢٠٠٢م.

❖ ابن قيم الجوزية، محمد، (ت ٧٥١ هـ)، بدائع الفوائد، بيروت: دار الكتاب العربي، بدون تاريخ.

❖ ابن قيم الجوزية، محمد، (ت ٧٥١ هـ)، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، بيروت: دار المعرفة، ١٩٩٨م.

❖ الكحيل، عبد الدائم، مقال: آيات الله في السماء، موقع أسرار الإعجاز العلمي، موقع الكتروني، بدون تاريخ.

❖ الكلابي، مكي، وآخرون، الإضافة في اللغة العربية دراسة تركيبية دلالية، مجلة جامعة كربلاء العلمية، المجلد السابع، العدد الثاني، إنساني/ ٢٠٠٩م.

- ❖ كلاوي، رامي، حوار حول هدي الإسلام في التنمية المستدامة، دبي: دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي- إدارة البحوث، ط ١، ٢٠١٢ م.
- ❖ كهوس، رشيد، القواعد الكلية في السنن الإلهية، مجلة المنار الجديد، القاهرة ٢٠٠٩ م.
- ❖ الكواكبي، عبد الرحمن، (ت ١٣٢٠هـ)، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، حلب: المطبعة العصرية، بدون تاريخ
- ❖ الكيلاني، عبد الله، السياسة الشرعية، عمّان: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط ١، ٢٠١٩ م.
- ❖ الكيلاني، ماجد عرسان، (١٤٣٦ هـ)، الأمة المسلمة، بيروت: العصر الحديث للنشر والتوزيع، ط ١، ١٩٩٢ م.
- ❖ الكيلاني، ماجد عرسان، (١٤٣٦ هـ)، أهداف التربية الإسلامية، المدينة: مكتبة التراث، ط ٢، ١٩٨٨ م.
- ❖ الكيلاني، ماجد عرسان، (١٤٣٦ هـ)، هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس، دبي: دار القلم للنشر والتوزيع، ط ٣، ٢٠٠٢ م.
- ❖ لاكوست، إيف، العلامة ابن خلدون، ترجمة ميشال سليمان، بيروت: دار الفارابي، ط ٢، ٢٠١٧ م.

❖ الماوردي، أبو الحسن، (ت ٤٥٠ هـ)، أدب الدنيا والدين، دار مكتبة الحياة، ١٩٨٦ م.

❖ مبارك، محمد، فقه اللغة وخصائص العربية، دمشق، دار الفكر، ط٢، ١٩٦٤ م.

❖ محمد، صخري، ملخص شامل حول نظريات علم الاجتماع، الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والاستراتيجية، موقع الكتروني، ٢٠١٨/٦/٢٩

❖ محمود حسين، شاكر، مقاصد القرآن في الاجتماع والعمران عند محمد رشيد رضا في تفسير المنار، دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد ٤٧، عدد ٢، ملحق ٢، ٢٠٢٠.

❖ مراد سلامة، السيد، مقال: فروض الكفايات ودورها في نهضة المجتمعات، موقع شبكة الألوكة، الالكتروني، ٢٠١٧/٢/٧ م.

❖ المراغي، أحمد، (ت ١٣٧١ هـ)، تفسير المراغي، القاهرة، شركة مكتبة ومطبعة الباب الحلبي، ١٩٤٦ م.

❖ المرزوقي، أبو يعرب، لماذا تراجع العرب والمسلمون، مقال في صحيفة (عربي) الالكترونية، ٢٠٢١/١/١٥ م.

- ❖ مزيلخ، عاشور، أفق الخطاب النقدي ومنطلقاته المعرفية والفكرية والفلسفية في مشروع إقبال الحضاري، عمان: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، إسلامية المعرفة، العدد ٨٤، ٢٠١٦.
- ❖ ابن ماجه، محمد، (ت ٢٧٣ هـ)، سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، بدون تاريخ.
- ❖ مسلم، مصطفى، (ت ١٤٤٢ هـ)، التفسير الموضوعي لسورة التحريم، شبكة الألوكة، آفاق الشريعة، دراسات شرعية، تاريخ الإضافة: ٢٠١٢/١٢/١٦.
- ❖ مسلم، ابن الحجاج، (ت ٢٦١ هـ)، صحيح مسلم، بيروت: دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ.
- ❖ مصطفى، ابراهيم، مجمع اللغة العربية، كتاب المعجم الوسيط، الاسكندرية: دار الدعوة، بدون تاريخ.
- ❖ مشُوش، صالح بن طاهر، علم العمران الخلدوني وأثر الرؤية الكونية التوحيدية في صياغته، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ٢٠١٢ م.
- ❖ ملكاوي، فتحي، رؤية العالم والعلوم الاجتماعية، عمّان: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، مج ١١، ع ٤٢، ٤٣، ٢٠٠٦ م.
- ❖ ملكاوي، فتحي، منظومة القيم العليا، التوحيد والتزكية والعمران، عمّان: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ٢٠١٣ م.

❖ المليجي، محمد السيد، دور المسلمين الأوائل في بناء الحضارات، ليبيا: مجلة الجامعة الأسمرية الإسلامية، ٢٠٠٨ م.

❖ المناوي، عبد الرؤوف بن تاج العارفين، (ت ١٠٣١ هـ)، التوقيف على مهمات التعاريف، القاهرة: دار عالم الكتب، ١٩٩٠ م.

❖ ابن منظور، محمد بن مكرم، (ت ٧١١ هـ)، لسان العرب، بيروت: دار صادر، ط ٣، ١٩٩١ م.

❖ مهورباشة، عبد الحلیم، علم الاجتماع في العالم العربي من النقد إلى التأسيس - نحو علم العمران الإسلامي، عمّان: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط ١، ٢٠١٨ م.

❖ المهييري، محمد، آيات الله الكونية في القرآن الكريم، تونس: جامعة الزيتونة، ١٩٨٠ م.

❖ النابلسي، محمد راتب، قوانين القرآن، موسوعة النابلسي الالكترونية، ٩-١٣-٢٠٠٧ م.

❖ ابن نبي، مالك، (ت ١٣٩٣ هـ)، مشكلات الحضارة، عمّان: وزارة الثقافة، ط ١، ٢٠١٨ م.

❖ النّجّار، زغلول، الأرض في القرآن الكريم، بيروت: دار المعرفة، ط ١، ٢٠٠٥ م.

❖ النّجّار، زغلول، السماء في القرآن الكريم، بيروت: دار المعرفة، ط ١، ٢٠٠٧ م.

❖ النّجّار، عبد المجيد، فقه التحضر الإسلامي/١، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٩م.

❖ النّجّار، عبد المجيد، عوامل الشهود الحضاري/٢، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٩.

❖ النّجّار، عبد المجيد، مقاصد القرآن في بناء الفكر العمراني، عمّان: مجلة الفكر الإسلامي المعاصر، العدد ٨٩، ٢٠١٧ م.

❖ النّشار، علي، (١٤٠٠ هـ) تعليق على كتاب بدائع السلك في طبائع الملك، حلب: دار السلام للطباعة والنشر، ط١، ٢٠٠٨م.

❖ النصيرات، جهاد، شخصية القائد في ضوء سورة الأحزاب، مكتبة عين الجامعة، مكتبة الكترونية، ٢٠١٥ م.

❖ نظام الملك، الطوسي الحسن، (ت ١٠٧٢ هـ)، سيرالملوك، قطر: دار الثقافة، ١٩٨٧م.

❖ هاشم، مازن، مقاصد الشريعة الإسلامية، مدخل عمراني، عمّان: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ٢٠١٤م.

❖ ابن هشام، (ت ١٥٠ هـ)، السيرة النبوية، تحقيق: جودة، محمد جودة، القاهرة: دار ابن الهيثم، ط١، ٢٠٠٦م.

❖ ابن الهيثم، الحسن، (ت ٤٣٠هـ)، كتاب المناظر، شبكة مشكاة الإسلامية،

٢١٦١٩، تاريخ الإضافة ٢٠٠٥ م.

❖ هيشور: محمد، سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها، المنصورة: دار

الوفاء، ط١، ١٩٩٧ م.

❖ هيئة تحرير مجلة الفكر الإسلامي المعاصر، مقاصد القرآن الكريم في بناء

الحضارة والعمران، الأردن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، مجلة الفكر

الإسلامي المعاصر، إسلامية المعرفة سابقاً، ٢٠١٧ م.

❖ ياسين، يونس محمود، الإصلاح السياسي من منظور قرآني، عمان: جمعية

المحافظة على القرآن الكريم، ط١، ٢٠١٤ م.

❖ يحيى، محمد يحيى، مقال: العداوة والمعتدون في القرآن الكريم، أسيوط:

مجلة كلية اللغة العربية، ١٩٩٠ م.

المراجع الأجنبية:

❖ EREK ،Urbanism: Meaning and Benefits ،IEREK – International

Experts for Research Enrichment and Knowledge Exchange ،٢٦-٧-

٢٠١٨.

The Theory of Umran in the Qur'an

Abstract

The study tackles the subject of “Umran” (creating life on earth) in the Holy Qur'an, as it is a supreme purpose of the Qur'an, following the purposes of unification and purification, and it aims to prove the existence of that subject in an integrated manner in the Qur'an, and seeks to show that the Qur'an referred to the intended concept, called for it, and enclosed its components, directives, fields, obstacles, and mechanisms, and the results of its investigation.

To achieve the intended objective, the study used the complete inductive approach to the places of occurrence in the Holy Qur'an, the deductive approach in extracting the semantics of the verses, the inductive approach in linking verses, and the constructivist approach that attempts to draw a map of the Umran project, based on the contemplation of the Qur'anic verses.

The study reveals that the Holy Qur'an contains an integrated theory on the subject of Umran, as it represents a reform project, the components of which were manifested in three areas: (subjugation, empowerment, and assignment), and its directives appeared in three areas as well namely: (understanding the levels of divine discourse, realizing and observing the divine Sunnah, and observance of faith values), as for its fields, it manifested itself in three fields as well, namely: (building the individual human being, building society, and the process of production). And how to invest the components by taking into account the directives within the fields of fields on

the other hand, the study also shows that the realization of the Umran project produces two types of fruits, the first is foundational based on Quranic concepts, and the second is applied that appears on the ground.

Key words: Al Umran, Al Khilafat, Reform of the land, Civilization, Intents of the Qur'an, Resurrection of nations, Human development.

الصفحة	العنوان
٤	الإهداء
٥	الشكر والتقدير
٨	التقديم
١١	الملخص باللغة العربية
١٢	المقدمة
٢٧	التمهيد الإطار المفاهيمي والتأصيلي للدراسة
٢٧	أولاً - الدلالات اللغوية والمفهومية لمفردات الدراسة
٣٦	ثانياً - مفهوم العُمران في الفكر الإنساني
٦٥	ثالثاً - موضوع العُمران في إطار الرؤية المقاصدية للقرآن
٧١	الفصل الأول دراسة العُمران في القرآن دلالةً ووروداً
٧١	المبحث الأول: الدراسة اللغوية والسياقية لمادة (عَمَرَ)
٧١	المطلب الأول: الدراسة المعجمية لمادة (عَمَرَ)
٧٨	المطلب الثاني: دراسة دلالات مادة (عَمَرَ) في الاستعمال القرآني
٨٥	المطلب الثالث: الدراسة السياقية لمادة (عَمَرَ) في القرآن
٩٥	المبحث الثاني: الدراسة اللغوية والسياقية لمقاربات مفهوم العُمران
٩٦	المطلب الأول: الدراسة المعجمية لمقاربات (عَمَرَ) الواردة في القرآن
١٠٤	المطلب الثاني: الدراسة السياقية لمقاربات مفهوم العُمران في القرآن

٨٧	خلاصة الدراسة اللغوية والسياقية للألفاظ المقاربة لمعنى العمران
١٤١	نتائج الدراسة اللغوية والسياقية في ضوء موضوع العمران
١٤٤	الفصل الثاني مقومات البناء العمراني في الرؤية القرآنية وموجّهاته ومجالاته
١٤٤	المبحث الأول: مقومات البناء العمراني في الرؤية القرآنية
١٤٦	المطلب الأول: مقوم التسخير
١٤٧	أولاً - مجالات التسخير
١٥٠	ثانياً - المقاصد من ذكر المسخرات
١٥١	ثالثاً - مظاهر التسخير في الواقع
١٥٩	المطلب الثاني: مقوم التمكين
١٦٠	أولاً - المؤهلات المعنوية الذاتية
١٦١	١- العلم
١٦٥	٢- الزوجية
١٦٦	٣- الحذر من العداوة
١٦٨	٤- الهداية
١٧١	٥- الإرادة - حرية الاختيار
١٧٢	٦- التوبة
١٧٣	ثانياً - المؤهلات المادية الذاتية: التكريم والخلق في أحسن تقويم
١٧٦	ثالثاً - العناصر المساعدة
١٧٧	١- المستقر (المكان)

١٧٧	٢- المتاع (الانتفاع)
١٧٨	٣- الحين (الزمن)
١٧٨	المطلب الثالث: مقوّم التكليف
١٧٩	أولاً - دلالة التكليف
١٧٨	ثانياً - المستهدف بالتكليف
١٨١	ثالثاً - موجّهات التكليف
١٨٢	١- الاستمداد
١٨٢	٢- التقويم المستمر
١٨٣	٣- استثمار ثروات الأرض
١٨٣	٤- الاعتبار بالتاريخ
١٨٤	٥- استثمار المواهب
١٨٦	خلاصة مبحث مقومات العمران
١٨٧	المبحث الثاني: موجّهات البناء العمراني في الرؤية القرآنية
١٨٨	المطلب الأول: فهم ماهية الخطاب الإلهي ومستوياته
١٨٨	أولاً - تحديد المقصود بإنسان العمران
١٨٩	ثانياً - بيان مستويات الخطاب القرآني
١٩٠	١- مستوى الخطاب الإنساني العام
١٩٢	٢- مستوى خطاب الأقوام
١٩٢	٣- مستوى خطاب جمع المؤمنين
١٩٥	٤- مستوى خطاب الأمة المسلمة

١٩٦	٥- مستوى خطاب المؤسسات
١٩٩	٦- مستوى خطاب الفرد المؤمن
٢٠٠	المطلب الثاني: فهم السنن الإلهية ومراعاتها
٢٠٠	أولاً - تحديد المقصود بموجه السنن الإلهية
٢٠٣	ثانياً - السنن الكونية موجهة للمشروع العمراني
٢٠٣	ثالثاً - السنن الإنسانية موجهة للمشروع العمراني
٢١٥	المطلب الثالث: مراعاة القيم الإيمانية
٢١٧	أولاً - قيمة التوحيد
٢١٨	١- التوحيد بين الاعتقاد والممارسة
٢١٩	٢- التوحيد والفعل الجمعي
٢٢٠	٣- التوحيد بين الضمير الفردي والجمعي
٢٢١	ثانياً - قيمة التكريم
٢٢٣	ثالثاً - القيم المكملة الرحمة - العدل - القسط - الميزان - الأمانة - القوة
٢٢٧	خلاصة مبحث موجّهات العمران
٢٢٩	المبحث الثالث: مجالات البناء العمراني في الرؤية القرآنية
٢٣٠	المطلب الأول: صناعة الفرد (إنسان العمران)
٢٣١	أولاً - البناء الفكري
٢٣٣	ثانياً - البناء الوجداني
٢٣٥	ثالثاً - البناء الصحي
٢٣٦	رابعاً - بناء العلاقات

٢٣٨	خامساً - بناء المهارات والقدرات
٢٣٩	المطلب الثاني: صناعة المجتمع (مجتمع العمران)
٢٤١	أولاً - مفهوم الأمة
٢٤٢	ثانياً - مهمة الأمة المسلمة
٢٤٢	ثالثاً - سبيل إخراج الأمة المسلمة
٢٤٣	رابعاً - أهمية إخراج الأمة المسلمة
٢٤٥	خامساً - مكونات الأمة
٢٤٩	المطلب الثالث: مسيرة الإنتاج العمراني
٢٤٩	أولاً - مسار الحركة والتفاعل مع المسخرات
٢٥٠	١- التفاعل مع الأرض
٢٥٢	٢- التفاعل مع السماء
٢٥٥	ثانياً - مجال تنظيم الحركة الفاعلة
٢٥٦	١- مجال التعليم: الشامل، والمنهجي، والتطبيقي
٢٥٨	٢- مجال الإعلام المؤثر
٢٤٩	٣- مجال اقتصاد الماعون
٢٦٠	٤- مجال السياسة الرشيدة
٢٦٢	٥- مجال الإدارة الحكيمة
٢٦٣	٦- مجال القوانين المهيمنة
٢٦٣	٧- مجال التنمية المستدامة
٢٦٥	٨- مجال القوة العسكرية
٢٦٧	خلاصة مجالات البناء العمراني في الرؤية القرآنية

٢٦٨	خلاصة الفصل الثاني
٢٦٩	الفصل الثالث معوقات البناء العمراني وآلياته وثمراته - في الرؤية القرآنية
٢٧٠	المبحث الأول: معوقات البناء العمراني في الرؤية القرآنية
٢٧٠	المطلب الأول: المعوقات المادية للبناء العمراني
٢٧٠	أولاً - ضعف التفاعل مع المسخرات
٢٧٠	١- ضعف التفاعل مع المسخرات المادية
٢٧١	٢- ضعف التفاعل مع المسخرات البشرية
٢٧٢	ثانياً - إغفال مقتضيات التمكين
٢٧٢	١- الجهل
٢٧٤	٢- التفكك الأسري
٢٧٤	٣- الغفلة عن العداوات
٢٧٦	٤- الابتعاد عن منهج الهداية
٢٧٧	٥- غياب الإرادة
٢٧٨	٦- التقصير في مسار التصحيح (التوبة الجموعية)
٢٧٨	٧- إغفال منهجية التفاعل مع مخلوقات الله
٢٧٨	٨- الإهمال الصحي
٢٧٩	٩- الركون لمتاع الحياة الدنيا
٢٧٩	١٠- عدم الاستقرار في الأرض
٢٨٠	١١- هدر الأوقات
٢٨٠	ثالثاً - إهمال الاستجابة للتكليف

٢٨١	المطلب الثاني: المعوقات القيمية للبناء العمراني
٢٨٢	١- الخلل في فهم مستويات الخطاب الرباني
٢٨٣	٢- ضعف مراعاة السنن الإلهية
٢٨٥	٣- إهمال القيم الإيمانية
٢٩١	خلاصة معوقات العمران
٢٩٢	المبحث الثاني: آليات البناء العمراني في الرؤية القرآنية
٢٩٣	المطلب الأول: الآليات المعنوية للبناء العمراني في الرؤية القرآنية
٢٩٤	أولاً- تعميق وتوجيه الصلة بالوحي
٢٩٤	ثانياً - تعميق الصلة بالكون
٢٩٦	ثالثاً - آلية تنمية المؤهلات المعنوية لإنسان العمران
٢٩٧	١- إعادة النظر في واقع المنظومة التعليمية والتربوية
٢٩٩	٢- مراعاة علم النفس في تربية الفرد والمجتمع
٣٠١	٣- العناية بمنظومة الأسرة
٣٠٣	٤- العمل على صناعة كيان جمعي
٣٠٤	٥- آلية المواجهة الواعية للعداوات في الواقع
٣٠٧	٦- تتبع خريطة الهداية في القرآن (الصراط المستقيم)
٣٠٩	٧- إعداد خطة استراتيجية لإدارة التغيير (التوبة الجماعية)
٣١١	المطلب الثاني: الآليات المادية للبناء العمراني في الرؤية القرآنية
٣١١	أولاً - النفير العملي
٣١٢	ثانياً - النفير الجمعي

٣١٣	ثالثاً - إقامة فروض الكفاية
٣١٤	١ - تحقيق الاكتفاء الذاتي
٣١٧	٢ - تحقيق التنمية المستدامة
٣١٩	٣ - مراعاة الأولويات
٣١٩	رابعاً - حماية المنجزات وديمومتها
٣٢٠	١ - مراعاة الزمان
٣٢١	٢ - حماية المكان
٣٢٢	٣ - القوة الدافعة
٣٢٢	٤ - القوة الرادعة
٣٢٤	خلاصة آليات البناء العمراني في الرؤية القرآنية
٣٢٥	المبحث الثالث: ثمرات البناء العمراني في الرؤية القرآنية
٣٢٥	المطلب الأول: ثمرات البناء العمراني التأسيسية
٣٢٥	أولاً - الاستحقاق الاستخلافي
٣٢٦	ثانياً - الإنشاء
٣٢٦	ثالثاً - الصلاح
٣٢٧	رابعاً - التمكين
٣٢٧	خامساً - الوراثة
٣٢٨	سادساً - الرفعة
٣٢٨	سابعاً - الظهور
٣٢٩	المطلب الثاني: ثمرات البناء العمراني التطبيقية

٣٢٩	أولاً - تحقق وجود إنسان العمران
٣٣٠	ثانياً - صلاح الكون
٣٣١	ثالثاً - الازدهار العلمي
٣٣١	رابعاً - تعديل النظر لمقاصد الأسرة
٣٣٢	خامساً - الانتصار على الأعداء
٣٣٣	سادساً - امتلاك الإرادة الحرة
٣٣٣	سابعاً - تحقيق مسار عام مستدام للعمران (الصراط المستقيم)
٣٣٣	ثامناً - وجود خطط للتصحيح المستمر
٣٣٤	خلاصة مبحث ثمرات البناء العمراني في الرؤية القرآنية
٣٣٥	خلاصة الفصل الثالث
٣٣٦	الخاتمة
٣٤٣	معادلة العمران
٣٤٤	التوصيات
٣٤٦	المراجع
٣٦٨	الملخص باللغة الإنجليزية
٣٧٠	الفهرس

تم بحمد الله تعالى وفضله